

آلهة مصر



تأليف : فرانسو ديماس
ترجمة : زكي سوس

آلهة مصر

تأليف
فرانسوا ديماس

ترجمة
زكي سوس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول :	
مصائد معرفتنا	٧
الفصل الثاني	
كيف نعالج موضوع جماعة الآلهة المصرية	٢٢
الفصل الثالث	
الآلهة المحلية فى مصر العليا	٣٦
الفصل الرابع	
الهة البلتا ، المحلية	١٠٧
الفصل الخامس	
التحديد اللاهوتى	١٤١
الفصل السادس	
الاشراك والتوحيد	١٥٠

الفصل الأول

● مصادر معرفتنا

تمجز المخلفات المادية وحدها عن تعريفنا بالآلهة التي تعبد لها أحد الشعوب ، وأنه لأمر هام ، دون مراء ، أننا مازلنا قادرين على تأمل أبولو أو زيوس على الصورة التي شكلها لهما الاغريق . وقد كان من الممكن أن تكون معرفتنا خواء لو لم نتملك بعد الأناشيد الهومرية والنصوص الأدبية المتعددة ، أو ما يتصل منها بعلم النقوش ، تلك التي تسمح لنا بتصوير الفكرة التي كان الأقدمون يشكلونها عن آلهتهم ، وما كان من الممكن — مهما كانت القرائن القوية — أن نجزم بأن الميسينيين (١) كانوا يعبدون آلهة الأولمب الكلاسيكية ، قبل أن يتاح لنا فهم كتابتهم ؛ على أن مصر القديمة قد تركت لنا لحسن الحظ الى جانب العدد الوفير من الآثار المنطوية أغلبها بالنقوش كثيرا من الوثائق الأدبية ، بفضل جفاف مناخها القريد ، وهي تشمل : أدراج البردي ، ولقائف ورق الغزال والألواح الخشبية ؛ التي نستطيع عن طريقها ، أن نتفد الى حد كبير الى عالم معتقداتهم وآرائهم الدينية .

ومع هذا ، فلن يكون هذا الكتيب عجالة عن الديانة المصرية أو بياننا عن أساطير آلهة النيل . بل أننا سنقتصر على بذل محاولة لوضع شيء من التصنيف لجماعة آلهة مصر القديمة Panthéon (٢) الوفيرة العدد ثم فحص طبيعة كل

(١) الجزء الجنوبي من بلاد الاغريق القديمة ولديه نشأت أقدم حضاراتهم (المحرر) .

(٢) معبد كان يضمه الاغريق والرومان لكل آلهتهم ويطلق على مجموع كل آلهة

قطر ، فيدل على علم أساطير مكتمل — (المترجم) .

اله على حدة ، ونحن نجتاز البلاد ، على قدر ما يستطيع المرء ان يتبينتها . وسيكون للأساطير شأن في ذلك كما يكون لعلم اللاهوت في معناه الصحيح . وسنحاول في فصل ختامى أن نرى الى أى حد استطاع الكهنة المصريون ان يذهبوا في معرفتهم بالعلم الالهى (١) .

ومن الخير ، بادىء ذى بدء ، أن نتسامل : كيف نقلت إلينا المصنفات الدينية القديمة التى نستحوذ عليها ؟ فإن لهذه التنصيلات أهمية بالغة فيما يتعلق بتفسيرها . ونحن نعرف من النصوص ومن الآثار ، أنه كانت توجد مكتبات فى خيابة المعابد . وقد كان بعضها فى متناول أيدى الكهنة كمكتبة ادفو التى توجد فى غرفة صغيرة ، على مقربة من

(١) من الصعوبة بكان كتابة أسماء الآلهة على الوجه القويم أو أسماء الأعلام التى نستحدث من لغة أجنبية وتفسير هذا وفق بعض المبادئ البسيطة ، الهدف منها تسهيل استخدام الكتاب . عندما يكون النقل بالأفريقية موجودا فأننا سنستخدمه لأنه وضع فى الزمن الذى كان المصريون أنفسهم لا يزالون ينطقون به . ولكن من الواضح أن هذا كان نطقا فى عهد متأخر لا يسمح لنا أن نصل - على الأقل مباشرة - إلى الصيغة الصوتية فى المصور القديمة . أما فيما يتعلق بالأسماء الأخرى ، فإنه على الرغم من البحوث الحديثة التى لا تكف عن عرض نظريات جدد ، لم يفسح استنفاء عظيم ، فأننا سننتج أسلوب الكتابة الذى يتبع فى الكتب الفرنسية حتى تصاحب مطابقة القارئ أو ارتفاع الصوت بألفاظ على الطباعة . ولقد وجدنا النهج بالتزام القواعد الآتية : العين السامية (شكر للزلف أنها occlusive laryngeal sourde أى : صوت انفجاري حلقى مهموس والواقع أنه متوسط بين الشدة والرخاوة وهو Spirante laryngeal sonore المصمى حلقى مجهور - المترجم) تبيينها النبرة accent circonflexe على حرف اللين المجاور . وقد تصفت الانفخات البسيطة بالحرف (هـ) h والانفخات القوية بالحرف (خ) kh الذى يقابل Ch فى اللاتينية . وحرف القاف وهو occlusive velaire sourde شديد لهوى مهموس أدنى بالحرف q, dj, dj مطابقان الحروف الاستثنائية التى تختص بها اللغة قبل أن تضعف هذه الحروف فى لغة العصر المتأخر . ان حشو كتيبا بإعلامات الطباعة التى يتعهد بها تعديل أصوات الحروف ، diacritiques ، التى يصير على منظم القراء نعرها . لا حدود منه . ولا يلقى الأنصائيون أى عناء فى الوصول إلى صيغة الأصول .

ملحوظة - لقد حرصت على كتابة صيغة الأسماء الأصلية كما وردت فى الأصل المصرى إلى جوار الصيغة اليونانية الشائعة فى الكتب العربية وذلك لقراءة الصيغة الأصلية للغة العربية كما سيجىء - (المترجم) .

مدخل بهو الأعمدة - والبعض الآخر كان يودع في أكثر
الأمكنة خفاء في المعبد كما هي الحال في دندرة ، حيث يوجد
مخبأ السجلات الذى يقع مدخله على ارتفاع ثلاثة امتار فى
أحد الهياكل التى تحيط بقدس الأقداس ، كانت المكتبات
المفتوحة تضم على الأخص كتب الصلوات التى كان الكهنة
يحتاجونها عدة مرات كل يوم - بينما كانت المكتبات الأخرى
تفلق فى حرص عظيم على البرديات الدينية او القانونية
التي تحدد امتيازات الكهنة المالية - وقد كانت هذه
البرديات وثائق أصلية أو نسخا منها أعدت فى زمن لاحق -
وفى عهد الرومان كان يحتفظ فى أسنا بنصب لتحتوي
الثالث توضح نقوشه نظام تقديم القرابين -

وأيما كانت طبيعة النصوص او قوامها المادى ، فانها
كانت تصدر عن « بيت الحياة » - وهو تلك المؤسسة الرائدة
التي يرجع تاريخ ظهورها الى عصور سحيقة - ولكننا لم
نعرف القليل من وجوه نشاطها الا منذ منتصف الألف سنة
الثانية - ففي العصر المتأخر ، كان كل معبد فى مصر يملك
بيت الحياة الخاص به والمتصل ببيت حياة معبد العاصمة أو
المعابد الكبرى والمعابد المجاورة أو تلك التى كانت ترتبط
به بروابط متصلة ، كذلك التى كانت على وجه خاص
تربط بين كهنة ادفو وكهنة دندرة ، إذ أن حاتحور وحورس
اللذين درجا على تقديم العبادة لهما ، كانا يعتبران فى
الأساطير زوجين ، ولا يستطيع المرء أن يفسر - الا بفضل
وجود جهاز موحد - تطابق صيغ الأسرار المحجوبة (١) التى
تتعلق بالمولد الالهى والتى كانت تتلى فى الدير البحرى ثم
فى الأقصر بعد ذلك بمائة عام وكذلك النصوص التى توجد
فى هيكل ميلاد « نخت نبف » (٢) نختنبو الأول) فى دندرة

(١) mystère - مجموعة المبادئ العقيدية أو الشعارات التى لا يجب أن يبرهنها

غير الذين نالوها -

وتلك التي توجد في هيكل ميلاد فيله ، وهما يكادان يكونان معاصرين ولكن تفصل بينهما مسافة تقرب من ثلاثمائة كيلومتر . وقد كانت هناك هيئة لإدارة بيت الحياة كان من أخص مهامها العديدة العكوف على دراسة الآلهة . وقد كانوا يعرفون كيف يحددون للفنانين أشكال هذه الآلهة والمواد التي تصور منها . وقد حرص المصريون دائما أشد الحرص على تشكيل صور الآلهة وإقامة المعابد وفق الارشادات التقليدية . وكانوا كذلك على معرفة بعلم اللاهوت الذي كان يحاول النفاذ الى طبيعة الآلهة وتحديد وظائفها وخصائصها . وكانوا يضعون الصلوات التي تقوم بالحفاظ على وجودهم ، وشغلوا انفسهم بكل العلوم الملحقه اللازمة لوجوه نشاطهم حتى الطلب الذي كان هدفه حماية الانسانية . وكانت « بيوت الحياة » هذه تقوم كذلك بنسخ الكتب المقدسة وتوزيع نسخ متقنة منها على مكتبات المعابد . لقد كانت نوعا من مؤسسات التعليم العالي ، تنهض بنفسها بوضع طلباتها ، بعد أن تكون قد رجعت الى أعظم الادراج (١) صحة وأكثرها جلالة .

وعلى هذا كانت توجد في مصر حركة نقل مباشرة بالغة الأهمية للنصوص الأدبية والدينية ، ومع أننا لا نعرف الكثير عن تاريخها الا أننا نستطيع التكهن به . وكما أنه يوجد نوع من الصور الرسمية للمخطوطات الأدبية في المدارس ، فقد كانت توجد في « دار الكتب » الملحقه بكل معبد ، مخطوطات دينية تسترعى الانتباه على وجه خاص . ومن سوء الطالع لم تصل اليها أية مكتبة كهنوتية عتيقة ، كاملة . وليس لنا الفرصة المتاحة لعلماء اليونانية أو اللاتينية ، لأن التقاليد الاغريقية واللاتينية استمرت دون انقطاع حتى وصلت اليها . وكم مع نصوص اغريقية ثمينة لم نعرفها الا عن طريق مخطوطات ترجع للقرن الخامس

(١) جمع لوج بمعنى ما يكتب فيه وهو « ملف » البردي .

عثر ! وعلى هذا فان علم لاهوت مصر القديمة يجب ان يعاد تصنيفه من عناصر متفرقة هياتها لنا الصدفة خلال الحمائر التى تجرى خلسة او الحفائر الرسمية او الصدف التى لا ضابط لها - صدف الحفظ والصيانة - ان مدنا كانت على درجة عظيمة من الاهمية من وجهة النظر الدينية مثل ممفيس او هليوبوليس قد توارت بطريقة تكاد تكون تامة لأنها كانت قريبة جدا من التجمعات السكنية الحديثة الكبرى . فلم يصل اليها من هذه المراكز الدينية كبيرة الاهمية سوى القليل جدا من النقوش ، بل انه لم تبق لنا بردية واحدة منها . وعلى النقيض من ذلك فانه توجد فى حوزتنا بردية فى الجغرافية الدينية والأسطورية ، فى حالة من الصون رائمة ، عثر عليها فى المقاطعة الثامنة عشرة ، ضئيلة الشأن ، فى مصر العليا - ويجب أن تكون هذه الحقائق ماثلة أمام أذهاننا ، عندما نريد أن نعرض صورة شاملة لآلهة البلاد .

ما هى الوثائق الأساسية وما الوسيلة الملائمة لفحصها ؟ هذان هما السؤالان اللذان يجب أن نبذل الآن محاولة للإجابة عليهما فى ايجاز .

ان النعوت التى تصاحب أسماء الآلهة ، فى اللوحات التى تزخرف جدران المعابد تتيح فى الكثير الغالب ، اعادة تشكيل علم أساطيرها بل وعقيدتها الدينية . وتتضمن نصوص أعظم استطالة أناشيد صلوات وشعائر ، على الأخص عن آمون أو أوزيريس ، ومسرحيات دينية مثل الشعائر المحجوبة التى تتصل بالمولد الالهى أو تلك التى تدور حول انتصار حورس ، وتقاويم عن الصلوات فى دندرة وادفو وكوم امبو وكذلك عناصر تتيح لنا اعادة وضع مصنف عن الجغرافية الدينية بعنوان : « كتاب البلدان الواقعة فى مصر ووصف كل ما له اتصال بها » . وهكذا كانت رغبة المصريين القدماء فى تخليد عبادتهم بتوضيح قصصها على الحجر ، هى

التي اتاحت بهم ان يتغلبوا للخلف خنير، من الكتب التي نانا من الممكن أن تتوارى الى الأبد - وفي حالات استثنائية اجتمعت لنا شذرات من النص المنقوش على الحجر وشذرات من النص المخطوط . كما هي الحال في موضوع « حمايه المهند الالهى والملكى » -

من الملائم ان يميز جيدا الموضوع الذى تحتله النفوس فى المقابر . وعندما يكون الموضوع هيكل العبادة وتطوره ، فاننا لا نستطيع أن نجد غير الشماثر العامة أو مشاهد الحياة اليومية ، التي لا يستطيع أن يصل الى مفزاها الرمزي . الا من تلقنوا العلم به ، ان وجدوا . وعندما تظهر شعيرة فتح الفم فى مقبرة الوزير رخميرع ، فى طيبة ، فانها تكون فى موضع لا يثير فيه للزائر أن يقرأها دون أن يصعد اليها على سفالة وإذا كان رئيس كهنة تحوت فى هرموبوليس الحكيم والقديس بتوزيرس ، يريد أن يحفر فى الموضوع الاساسى فى هيكله الجنائزى ، الشميرة المحجوبة الاوزيرية عن البعث بواسطة الذهب ، فانه يضعها فى صيغة رمزية تماما ويشوه النقوش التي تصحبها ، الى حد لا يستطيع معه أحد فهمها الا من تلقن سرها ، وذلك هو ما فعله بالتحديد فى بداية الأسرة الثامنة عشرة واضع أنشودة أوزيريس المحسولة فى متحف اللوفر : فقد دفعه وجوب اقامة النصب الذى يحملها فى مكان يمكن أن يصل اليه عدد ما من غير المؤمنين ، الى العناية بحذف كل ما كان يشير اشارة بينة الوضوح لشماثر بعث الاله ، المحجوبة -

أما فى المواضع التي عرف أنه لا يمكن الوصول اليها ، من الأبنية الجنائزية وغرف الدفن فى الأهرام والقبور المنحوتة فى الصخر فى وادى الملوك ، Syringes (١) أو

(١) أطلق الاغريق لفظ syringe وسمناه Plute de Pan « ناي الاله بان » على القبور المنحوتة فى الصخر تحت الأرض فى طيبة للملك حصر الاقدمين - وقد تعرفوا على الاله «بان» فى الاله بان الذى كان الهه القطمان والرعاة - يرسم يقرئين على رأسه وبوجهه مذهب والجزء الأسفل من جسمه يشبه نظيره فى النيس بما فيه الذيل ، يرقص ويمزف على الناي syringe — syrinx - (المترجم)

المدافن الملكية المتأخرة المقامة فى أفنية المعابد كتلك التى توجد فى تانيس ، فانهم لم يترددوا فى نقش الكتب اللازمة لبقاء الملك الى الأبد أو نقش أجزاء منها • ولهذا فانه مازال يمكننا أن نقرأ نصوص الأهرام والكتب الجنائزية الملكية التى ترجع لعهد الامبراطورية الحديثة : كتاب الأبواب ، كتاب الكهوف ، كتاب ذاك الذى يوجد فى الآخرة ، كتاب النهار والليل وأوراد الشمس •

والواقع ، أن مشكلة العبادة الجنائزية التى كانت ضرورية للخلود لم توضع بالنسبة للملوك كما كانت توضع بالنسبة للأفراد • فقد كانت الأوقاف الملكية الباذخة تطمئن الى أن الملوك لن يحرموا بتاتا من هذه الخدمة الدينية • ولكن عندما أدرك المرء أن الفراعنة أنفسهم لم يكونوا قط فى حصى من النسيان كما لم تكن معابدهم بمنأى من الدمار أو النهب ، فقد اتجه الظن الى أن العبادة التى تؤدى للسلف وتقام فى المعابد الحاضرة يمكن أن تكون بديلا فى مثل هذا الموقف البغيض • ولاشك فى أن اعتبارات من هذا القبيل - الى جانب ظروف الدلتا الجغرافية - هى التى دعت فى المصور المتأخرة الى دفن الملوك فى أفنية معابد الآلهة حتى يستطيع أولئك وهؤلاء التبرك بالعبادة(*) • وكان الأمر على نقيض ذلك فيما يتعلق بالأفراد العاديين ، فقد كان من اللازم أن يلج الكهنة أو أشخاص أولو علم وتقوى هياكلهم لتلاوة الصيغ المخصصة ، مع ذكر أسمائهم حتى يمكن جلب القرايين • وكذلك كان من اللازم أن يكون الوصول الى هذه الهياكل ميسورا وألا تشي بأى سر من أسرار شمائر أوزيريس المحجوبة التى وجدت منذ زمن باكر جدا • ولقد عنوا بأن يصوروا على تابوت الميت الكتب الخفية الهامة لبقائه • ولدينا مجموعة طويلة جدا يطلق عليها « نصوص

(*) امتد هذا الى الأفراد الذين حرموا على وضع تماثيل لهم فى أفنية •

النواويس (١) « اخذت من كتاب (نصوص) د الاهرام
المدنية » ووضعت بحيث تلائم الافراد ، وهذه المجموعة
كاملة بفضل النسخ العديدة المتماثلة التي توجد بين ايدينا
على عدد كبير جدا من التواييت الخشبية المغشاة بالبحص التي
ترجع للدولة الوسطى . وتتصف هذه المجموعات من الصيغ
الموضوعة للميت بالثراء الكبير ، لأنها مأخوذة من اصول
جد متباينة : فعندما تحاول أن تطابق بين شخصيتي الميت
والاله الخالق للبدايات الأولى (٢) ، فإنها تنقل مقتبسات من
مصنفات تتعلق بالخلق . وعندما تلحقه بنموذج الاله
حورس فإنها تستخدم شعائر محجوبة دينية قديمة تشيد
بانتصار هذا الاله . وهكذا نستطيع أن نكون فكرة عن
اللاهوت والأساطير في هاتيك المصور القديمة .

ولو أن كمية أدراج البردى التي عثرنا عليها لا تمثل ،
دون أي زيغ ، الا نسبة ضئيلة من تلك التي كانت توجد
قيما مضى ، وعلى الرغم من أن بعضها جاعنا بالغ التشويه ،
فإنها مازالت تؤلف مصدرا عظيما لمعلوماتنا عن الهة قدام
المصريين . ومع هذا ، فإن ملاحظة تفرض نفسها من
البداية : فبينما وصلت اليينا كمية عظيمة من مصر العليا
ومن الفيوم فإننا لا نكاد نملك منها شيئا من الدلتا وذلك
لأن المناخ فيها أكثر رطوبة ولأن سكانها ، وهم في جميع
الآزمنة أكثر كثافة قاموا بالكثير من أعمال النهب في المواقع
الأثرية . وقد بقيت معارفنا محدودة من الناحية الدينية

(١) في كتاب د الهرم الدين ، خصصت لفظ ثايروس ليؤدى « نوى »
للطرفة بينه وبين لفظ Cereuil-coffin تابوت .
(راجع الهرم الدين - ص : ١٦) وذكرت أن اللفظ الثاني Nounz أخذ عن
العربية - (المترجم) .

(٢) Dénurge - الاله الخالق ورد في الفلسفة الإللاطونية . وفي القرون الأولى
من المسيحية ظهر مذهب فلسفي كان أتباعه يسمون الهرقة في المرتبة الأولى من بين
الفصائل الدينية ولهذا أطلق عليهم Gnostics . وكانوا يؤمنون بالهين عظيمين : الأول
هو الاله المتعالي والثاني هو الاله الخالق déniurge - (المترجم) .

عن مراكز مثل (صا الحجر) (مائيس) و (تل بسطة)
(بوباسطس) وابو صير ، التي اختفت معابدها أو خادت
رغم ضخامتها ، والتي لا يوجد أى درج من البردى يوضح
لنا لاهوتها ، لأن مصادرنا تتألف بصعوبة من تلميحات
الى الهتها جاءت فى وثائق عثر عليها فى أماكن أخرى
أصابها ضرر أقل .

لقد توافرت نسخ كتاب الموتى حتى العصر المتأخر . وان
يمكن من الضروري إصدار طبعة كاملة دقيقة لها . وما أسرع
ما تتيح محتويات فصوله المتغايرة التعمق فى معرفة الإله
المصرية التى تشكل على الدوام النماذج التى يسمى الميت الى
التوافق معها أو اذابة كيانه فيها ! . ويوجد المرم فيها أناشيد
وبعوثا عن الخلق تملئها تفسيرات متعاقبة ، وإشارات عن
مختلف الآلهة التى يطمح الميت فى إتخاذ سبلاتها . ولكن
هذا الحشو ، المأخوذ جزئيا عن نقوش النواويس ، يتضاءل
إمام كتابات أكثر أصالة .

ومن بين أعظمها أهمية الأناشيد التعبدية : تلك التى
كانت تتلى للآله « خعنبى » وهو النيل الذى يفر من مصر بفيضه ،
فى عيد الفيضان ، والأنشودة التى كانت تغنى لآمون اله
طيبة ، ملك الآلهة ، المحفوظة فى مخطوط جميل بمتحف
القاهرة ، والأناشيد التى كان المرم يترنم بها للاله بتاح ،
اله الحاضرة القديمة ممفيس ، فى المعبد الذى خصص له فى
الكرنك على مقربة من آمون . ولو أن خزانة علمها اللاهوتى
لا تضارع ، فإنها تتعمق الى غور أقل فى المعرفة الإلهية
بالموازنة بمصنفات أخرى مماثلة يرجع مصدرها ، على
الدوام ، الى كهنة طيبة ولكن تتجاوز فى طولها الحد الذى
يمكن أن تنشده معه فى الأعياد . مثل بردية ليدن الشهيرة
التي تتضمن « مائة نشيد لآمون » فهي تبدأ باستغلال المعنى
الرمزى للأرقام التى تستهل بها المقطوعات ، لتنفذ الى
مجموعة من تفسيرات مجملتها غالبا ما تكون ذات عمق عظيم

رسمو عظيم ، عن الإله « الحصى » ر « الاحد » • وتكملها
أناشيد برديان تشستر بيتي Chester Beatty ، التي لم
يتردد جاردنر في وصفها بأنها تنتمي الى «مذهب التوحيد» •
وفي استطاعتنا أن نضفي عليها اسم القصائد اللاهوتية او
الفلسفية •

تملك متاحفنا عدة نسخ رائعة الجمال من الشعيرة
الالهية اليومية لآمون وقرينته «موت» وكذلك شعيرة لامنحتب
الأول المؤله • وتمثل مراثى ايزيس ونفتيس أمام جسمى
أوزيريس و « كتاب صد ابوفيس » التين الذى يحاول ابتلاع
مركب الشمس وبردية هاريس Harris (نسجيرية وعناصر
مسرحية دينية تؤدي أدوارها عند التتويج الملكى ، مجموعة
من الوثائق الهامة التي تعين على تعمق جوهر الالهة ، على
وجه أفضل ، عن طريق العبادة التي كانت تقدم لنا •
وهناك قصص قد لا تبدى احتراما للآلهة أكثر مما يفعل
أحيانا هوميروس أو أرسطوفان ، لكنها تسرد مفامرات
أسطورية متتابة ، مثل قصة حورس و « ست » (Soth)
أو قصة رع وايزيس • وهى بذلك تجنبنا الاقتصار على
القصص الاغريقية ، عندما توجد ، كمجالة بلوتارخ عن
ايزيس وأوزيريس •

وليست البرديات التي يطلق عليها برديات بصيرة
موريس وبرديات تبتونيس Tebtunis (١) أو بردية يوميلهاك
Jumilhac سوى كتب دراسية عن الجغرافية الدينية
المحلية ، وتمدد بردية هاريس الكبرى - التي يتجاوز طولها
أربعين مترا - منشآت رمسيس الثالث الدينية ، بينما
تستهل المراسيم الكهنية التي تتعلق ب « بانجم » أو ب « نسي
- خنسو » بأناشيد لآمون التي تمثل جزءا من اللاهوت
الخاص •

(١) ام البرجات بالقيوم •

ويجب ان يضاف الى هذا مصنقات تكاثر عددها في عهد الامبراطورية الحديثة : كمجموعه القطع المختارة التي كان الهدف منها تدريب الكتاب الاحداث على صوغ الاسلوب الجميل . وهي تحوى عددا لا باس به من الشذرات الدينية . ونوضح حتى قصص الحروب ورحلات الصيد الملكية كيف انها وضعت من خلال منظور ديني ، لقد كان الشعب بأجمعه اسير شبهة اسطورية نرغمه على تنظيم حل وجوه نساعة حتى اسرها بساطة ودينوية في ظاهرها ، بحيث تتناسق مع السادج الالهية . فقد كانت هذه الوسيلة الوحيدة التي تتيح لها فرصة للنجاح . ووصل الامر الى انه لا توجد وثيقة مهما كانت ضئيلة ، لا يمكن ان تهيب عنصرا يفيد منه بحثنا . وكثيرا ما تتيح لنا شذرات من تمثال والقاب اشخاص منقوشة على اجزاء الخلفى من تمثال مهشم ، وكل هذه المواد التي تودعها المتاحف في المخازن ، ان نقوم بعمل أبحاث دقيقة قيمة وقد تفقدنا . على سبيل المثال ، الى أصغر معابد الدلتا التي لا نعرف عنها الا القليل . ويعرف المرم الأهمية التي يمكن أن توجد في أيامنا في القيام بدراسة منظمة لأمكنة العبادة . التي مازال المرم في أوربا يغشاها في أوقات معلومة من السنة للاحتفال بعيد . وقد يستطيع المرم الرجوع أحيانا الى أبعد أزمنة ما قبل التاريخ .

وكذلك فعلى الرغم من الخسائر الهائلة التي لحقت بالأدب القديم والفضوات المظلمة في معلوماتنا ، فاننا بالعزى نرزع تحت كوم الوثائق الأدبية والجنائزية ، أو التي تعالج الحياة اليومية والمنقوشة على الأحجار في الوقت الذي نضع فيه قائمة لآلهة مصر . وما أكثر الصور المتناقضة التي قدمت لنا عنها فعلا منذ ما يقرب من مائة عام ! . وقد ذهب أوائل مترجمي النصوص الدينية من أمثال دي روجيه De Rougé وبروجش Prugsch — الذين تأثروا بما خلفه لنا الكتاب

الاغريق في العصر المتأخر واستمدوا علمهم بطريق مباشر على الأخص من نقوش المسابد التي اقيمت في العصر اليوناني الروماني ، الى أن الدين المصري عقيدة بالغة السمو ، باله أوجد وخالق يتجلى في طائفة من الالهة الثانوية التي تتساوى مع البشر في أنها من خلقه . ولا شيء أعظم مغزى في هذا المجال من كتاب صغير وضعه بيريه Pierret ونشر في عام ١٨٧٩ بعنوان « عبادة عن الأساطير

المصرية *Essai sur la mythologie égyptienne* » حيث تسترعى الانتباه تلك النصوص التي يذكرها المؤلف والتي مازالت ترجمتها ، في مجموعها ، قيمة . وقد حدث في ختام القرن رد فعل عنيف بتأثير المذهب الوضعي (١) . لقد حاول ماسبيرو - كقارئ للنقوش العتيقة وعلى الأخص نصوص الأهرام التي كشف عنها ونشرها ، أن يوضح أن الديانة المصرية لم تكن الا نوعا من عبادة اشياء مؤلهة *Fétichisme* (٢) . وأن تلك الالهة التي كانت لها رموس وحوش كانت حيوانات تتصورها أخيلتهم . وكان مما يبعث الرضى في النفس أن يراود المرء التفكير أنه في عصر في مثل هذا القدم ، كان ذكاء الانسان أقل تقدما وأنه ظل سائرا في مدرجة الرقى دون انقطاع حتى وصل في النهاية على أيدي الاغريق الى تصور آلهة ذات خصال انسانية خالصة . واختلط بهذا مذهب فريزر عن الطوطمية « *totémisme* » (٣) .

(١) *Positivisme* : الوضعية - مذهب « أوجست كوت » الذي يفكر الميخائيليتا

ويقيم المعرفة على الوقائع والتجربة - (المترجم)

(٢) *fétichisme* ، هو في مبدئه الاعتقاد بأن الاستحواذ على شيء ما يمكن أن

يجلب للحائز عون أو حماية الروح أو الملائكة الطاموس الذي يستقر في ذلك الشيء . واللفظ

fétich, fétich, fetiche الذي أطلقه البرتغاليون على الهة غربي إفريقيا ، عن

feticus ، اصطلاحى المستق من اللفظ اللاتيني *facticus facere* يفتح - (المترجم)

(٣) *Frézer* : (الطوطمية والزواج بغير ذوى القربى ١٩١٠)

الطوطم أى نوع من الاشياء العجى أو الجناد تعتبره بعض العشائر وعلى الأخص في

أمريكا الشمالية الرمز لرابطة وثيقة غير منظورة . و *totémisme* استخدام الطوطم

كأساس نظام اجتماعي فيه التزامات ومحظورات .

كانت مصر حقل أحلام لهواة الطواطم بشارات كل واحدة من مقاطعاتها - وعلى هذا النحو كان التفكير الدينى المصرى يتناول بالشرح ، عن طريق تفسيرات صاغها المحدثون لفهم عادات غير معروفة تماما على الوجه الصحيح . فى كثير من الأحيان ، عند شعوب متأخرة فى أيماننا ! وفى غضون هذا الزمن كانت تتراكم وثائق ، نشرت ، فى اناة ونسخت وعلق عليها - لقد كشفت ومازالت تكشف فى اطراد لا يننى يتزايد ، عن لغة مرنة ومعقدة مازلنا حتى الآن على شوط بعيد من تعمق كل ظلال معانيها ، وعن تفكير فى نهج عقلى لا يختلف فى جوهره عن تفكيرنا ، وعن فن فيه دقة بالغة ، قادر على أن يلج بنا فى عالم من المعانى والرموز كثيرا ما تكون دقيقة ، وعن أدب رائع فى لطف معانيه النفسية واشراق ديباجة أسلوبه ورفعته الخلقية ، وعن فكر سياسى وفكر قضائى نجح فى خلق حضارة استطاعت خصائصها الذاتية أن تقوم بالحفاظ على نفسها خلال تطور دام ثلاثة آلاف عام ونيفا - فما وجه العجب اذن فى أن يتمشى الدين الذى يتكشف بالبحث المطرد ، مع الصورة التى تقدمها لنا وجوه النشاط العقلية الأخرى فى مصر القديمة ؟

انه من غير المجدى أن نغامر بأنفسنا فى نظريات عنى بوضعها الفلاسفة منذ عهود التاريخ المتعددة - وعلى شريطة أن نظل متواضعين أمام النصوص والآثار وأن نهيب أنفسنا ليلهمانا - دون أن ندرى - المعرفة بدلا عن أن نفرض عليها ، بأى ثمن ، تصوراتنا التى سبق اصطناعها فأننا نرى أن صورة تتشكل فى أنفسنا شيئا فشيئا ، قد تصححها قراءتنا اليومية والوثائق الجديدة أو تكملها ، ولكن خطوطها الأساسية تظل باقية -

على ان علينا ، ونحن تشكل معارفنا ، ان نشير من الان الى وجود بعض العفويات ، ذلك انه على الرغم من روعة المصادر الا انها تكون احيانا في شذرات متناثرة حتى ان معلوماتنا تكشف عن فجوات محيرة محزنة ، فنحن نملك . على سبيل المثال ، نقوس معبد اقيم خصيصا للاله « سبك » sobek ، ومجموعة من الأناشيد تتغنى بحمده * ومع هذا فاننا نجهل من كانت الاساطير تجعله ابا له حتى ان الاشارة الواحدة التي توجد لدينا عنه في درج من البردى ينسب الى الأدب وليس للكهنوت ، مازالت بالنسبة لنا اشارة بانفسه الغموض * .

ان مسألة الترتيب الزمني مشكلة رئيسيه * ونحن لا يخذل بوجود حل لها ، لعدم وجود وناثق مننايمه * ومن الجلي ان معاصرا لهوميروس لم يذن يفكر في الالهه تفجير معاصر لهركلليس * ولكن كيف السبيل الى معرفة ما اضافته كل جيل الى الايمان الذي يتعلق باله ؟ فعندما يظهر نعت الهى لأول مرة ، لا يوجد شئ يبرهن على انه لم يكن له وجود زمنا طويلا قبل ذلك * فقد يكون سحيق القدم * وبخلاف هذا ، كان يصاد انتساخ نصوص عتيقة ويحتفظ بها لاهي تؤلف جزءا من الثروات الدينية التقليدية حتى لو ان الراى عن الموضوع قد تطور * ومن المؤكد ان نصوص الأهرام تتضمن صيغا عتيقة تماما لم تعد تمثل العقلية المتطورة عند أولئك الذين أشاروا بنقشها ، وما كان مصرى الأسرة الخامسة محب البذخ والباحث عن أدب سلوك لا يقصوم على العدالة وحدها بل وعلى الاحسان أيضا وواضع فكرة عن الاله بالغة السمو ، بالغة التهذيب ، ما كان ليقوم بنسخ الامانات المنحطة الموجهة لبعض آلهة الملحة الأوزيرية ، في فقرات معينة ، الا لأنها كانت تقليدية * على نحو ما تفعل الكنيسة الرومانية في زمننا عندما تدمج في صلاتها شذرات من التوراة ؛ لم تعد تتطابق مع عاداتنا ولكنها استخدمت في الواقع ؛ لأنها تنتمى الى قواعد الايمان التي

جاءت فى التوراة والانجيل ويجب أن تفسر فى معنى مجال النص الذى استخدمت فيه .

وعلى هذا يجب أن نحاول وصف تطور المعتقدات .
فاذا لم يكن هذا فى استطاعتنا ، فيجب على الأقل بذل الجهد لتأريخ الخصائص البارزة التى نتبينها . ولكن فى هذا أيضا ، ما أكثر ما يوجد من صنوف عدم التيقن ! لم يكن أفلاطون يرى فى الآلهة ما كان يقره معاصروه . وليست البحوث الدينية للمهندسين المعماريين « سوتى » Souti و Hor او التطورات الخلقية التى قدمها « بكى » Beki الا أعمال حكماء وأناس بذلوا الجهد لفهم عقيدتهم والحياة وفقا لها على قدر ما يستطيع من التعمق . انهم لم يكونوا سوى اقلية ، دون اى ريب . وكذلك كما يرى فى أيامنا يجب ان نضع موضع الاعتبار ان ما هو الهى يتركز فى الضمير الدينى فى أسمى صوره ؛ فلا يتبدد الى نثار من الصور التى تستحيل أحيانا الى مجرد خرافة خالصة . وهنا نعبّر حدود الدين والآلهة ونهبط الى تلك الأرواح وتلك الشياطين التى ملأ بها خيال المصريين المحموم فى زمن الامبراطورية الرومانية المتأخر ، أدراج البردى السحرية . وليس لنا أن نغامر بأنفسنا هنا فى ولوج تلك الأصقاع التى تكتنفها الشكوك .

الفصل الثانى

● كيف نعالج موضوع جماعة الالهة المصرية مناهج علماء اللاهوت القدامى

عندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الالهة فى مصر القديمة ، فانه يقع فى شيء من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات والحيوانات الالهية او المقدسة والالهة التى تتخذ ، فى كثير او قليل ، شكل الحيوان . ويدور فى خلد المرء تجاه مثل هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنموت والشعارات المميزة ، فى حدود متفاوتة ، ان يفكر فى « ديانات مصرية » وتلك نظرة سطحية تماما للأشياء ، يمكن ان تؤدى كذلك للتحدث عن « ديانات مسيحية » . وليفكر الانسان لحظة فى الدهشة التى تلم بصينى ، عالم بالأمور التى تتصل ببلده ولكنه يجهل كل ما يتعلق بنا ، حين يكون عليه ان يدرس الدين الكاثوليكي الرومانى فى فرنسا .

سيدرك بادىء ذي بدء مقدار العبادات المحلية . فكم عدد كنائس المذراء الذى لا يستطيع المرء احصاءه وكم عدد القديسين الذين تطلق أسماؤهم على أكثر كنائسنا تواضعا فى الريف ، والذين يستحوذ كثير منهم على خصائص محددة تمام التحديد ؟ منهم من يعيد الرشد الى أولئك الذين فقدوه بشرط ان يولجوا رءوسهم خلال ثقب منحوت فى بلاطة فى كنيستهم . وآخرون يشفون أمراض الأطفال خاصة ، وسكان القرى يحجون الى كنائس منعزلة فى الخلاء ، تقع قريبا منهم

وذلك فى اوقات معلومة من العام . ان اكثرها هياكل للمعذراء
جاءت فى اعقاب معابد للالهات - الامهات التى ترجع الى
عهد ما قبل المسيحية . واذا كانت العبادة التى تؤدى فى
هذه الكنائس تتشابه تقريبا ، فان كلا منها يحتفظ مع ذلك
بمراسم خاصة به ، وترجع الى ازمة لا تعيها الذاكرة . انه
لحق ان الاشارات والرموز الدينية هى التى تحتفظ
الانسانية بذكرها أطول زمن .

هل يمكن ان يكون ذلك سببا للتحدث عن « ديانات »
بصيغة الجمع ؟ . اننا نعلم ان الامر ليس كذلك لانه يوجد
كثيرون بيننا مازالوا يعيشون ذلك الدين بطريقة شخصية
وروحية . ان صورة حمل او حمامة او وعل لا تزعجهم كما
كان المصريون المثقفون والمهذبون لا يضيّقون بالمعجل « أبيس »
او كبش خنوم . فلنحاول اذن فى البداية ان نرى كيف
تنظم جماعة الآلهة المصرية . واذا كنا لا نستطيع ان نمش
ذلك الدين روحيا ، فانه فى قدرتنا على الأقل محاولة فهمه .

وفى البداية نقول ان ما يلفت النظر فى مصر ، هو
الدور الذى تقوم به الآلهة المحلية . فقد كان لكل مدينة
الهة او الهتها . كانت مدينة بوتو (١) فى أقصى الشمال
تعبد الهة لها شكل ثعبان وتستوى على ساق بردى . وفى
منديس كان يسود الهه له مظهر تيس . وفى هليوبوليس كان
أتوم يتخذ شكلا آدميا على الأقل فى العصر التاريخي . وفى
اطفيح كان لحاتور الهة الحب وجه امرأة ، وان برزت من
شمرها المستعار ، أذنا بقرة . وكانت هيراكليوبوليس
(اهناسيا المدينة) تقدم عبادة للاله الكبش حرسافس (حرى
شف) . وكان تحوت وله رأس أبى منجل رب هرموبولس
(الأشمونين) . وفى أسيوط كان افويس (Ophois) (أوبواوات)

(١) ابلو بالقرب من تل الفراعين - احفظت بالاسم .

يبدو في مظهر ابن أوى - وكان لحورس ادفو حيوان مقدس هو الصقر الذى هيا مصبوره وضع راسه على جسمه البشرى . وكان خنوم فى اسنا او فى الفنتين يبدو براس كبش . اما الآلهة المسماة بحورس بالنوبة فكانت دائما تتميز بمدنها التى نشأت فيها . وعلى هذا ، فان لهذه الجغرافية الدينية بالغ الأهمية . لقد قامت الأمكنة المقدسة فى مصر بدور جد عظيم . ولا بد أنها وجدت منذ ابعد عهود ما قبل التاريخ ، وحتى اذا كانت الآلهة التى تعبد فيها تغيرت . فانها ظلت عزيزة لدى القوى غير المرئية وواصل الناس - على الرغم من حركة التاريخ الدائمة - تقديم العبادة لها .

على أننا نكتشف هذه التغيرات أكثر مما نعرفها . فنحن نؤمن أن أوزيريس حل محل عنجتى (Andgety) فى أبى صير (أبو صير بنا) ، فى الدلتا ومحل خنتى منيتو Khenty Amentyou أى الذى يرأس سكان الغرب . فى أريدوس بمصر العليا . وفى ابان المصر التاريخى ، فى الدولة القديمة ، استعمل رع على اتوم فى هليوبوليس . ولكن حتى فى هذه الحالة الممتازة ، لا نصل الى ادراك السبب الذى دعا مدينة معينة الى اتخاذ اله جديد . يجب ان يكون هناك شيء فى امكانه تقديم المون لنا . انه الأصل المشتق منه أسماء الآلهة . ان بعضها ينتمى ، فى جلام ، الى اللغة المصرية . ان رع هو الاسم الشائع للشمس . وأمون مستمد من الأصل « امن » أى الخفى ، وأتوم من « تم » ، أى الكامل ، وأفويس ممناه فاتح الطرق . ونفتيس سيدة المسكن ، وحاتور مسكن حورس ، وفى الواقع أنه لا يوجد ما يؤكد لنا أن هذه ليست الا البسة مصرية أضفيت على آلهة سابقة . وعلى أية حال ، فان بعض الأسماء الالهية ينم عن أصل سابق للمصرية : ان حمبى (HAPY) اله النيل فى الفيضان ليس مصرياً على اليقين (١) .

(١) لدى من الأسانيد ما يجعلنى اختلف المؤلف فى هذا . وقد ادرت حاشية لمر آخر الكتاب من مرجع هذه الاسماء للغة العربية - (المترجم) .

و « مين » اله فقط يبدو انه جاء من الاقاليم الصحراوية ،
التي يقطن بها الزنوج فى الجنوب ، واحتفظ دون ريب
باسمه الاجنبى . ويبدو من غير الممكن تفسير نايت
وأوزيريس باللغة المصرية .

ولكن ملاحظة يجب ابدؤها هنا . هي ان كثيرا من
الآلهة لا تحمل اسمها الحقيقى . وقد كان الاسم يحمل عند
الاقدمين ذات الشيء وجوهره . ويمنع من يعصره بمصر
القدرة على هذا الشيء . وعلى هذا كان من الاهمية البالغة
الا يباح باسمه الحقيقى الى اى كائن مهما كان . وقد عرف
التاريخ كيف يتكشف اسماء آلهة وعبادات مازالت متشابكة
الخيوط . وقد قدم « لاکو » افتراضا بارعا لو تأكدت صحته
لألقي الينا ببعض الضوء . فقد لاحظ أن الكتابة الصحيحة
القديمة لأسماء خنوم واتوم وانوبس (Anubis) وأمون وسيدو
(Sopdow) ومننتو (Montou) وما اليها كانت توجد فى اخرها
(و) ، من شأنها أن تجعل حامل الاسم ينتسب بالقرابة
لحيوان معين . وعلى هذا يكون معنى خنومو « ذاك الذى
ينتسب للكبش » ، وانوبو (Anoupon) « ذاك الذى ينتسب
لابن اوى » وهكذا .

ومن سوء الطالع أن أصل الأسماء الالهية — فيما
عدا اسم خنوم — لا يطابق اسم أى حيوان معروف فى اللغة
المصرية أو فى أية لغة أخرى من مجموعتها الحامية —
النسامية (١) .

لنقلع عن الأمل فى أن نصل الى حالة عتيقة . سابقة
للغة المصرية ، يمكن أن يكون فيها القول الفصل (٢) . ان
الدين الذى نعالج موضوعه ، قد بلغ الغاية فى تطوره كما

(١) انها تطابق اسماء الحيوان كما جاءت فى المصادر العربية كالدميرى والجاحظ
والقزوينى وهكذا . أو اسماء الاصنام التى عبدها العرب فى الجاهلية أو لها معنى واضح
فى اللغة العربية . وقد أصبح انتساب اللغة المصرية للحامية غرافة — (المترجم) .
(٢) فى اللغة العربية حل لجميع مشكلات اللغة المصرية القديمة — (المترجم) .

إن الخصائص التي كانت له في الدولة القديمة . خلال الألف
سنة الثالثة ، تماثل في مجموعها الخصائص التي بدا فيها
في العصر المتأخر في وقت مولد المسيحية .

من الأفضل أن نحاول أن نتبين بعض ملامح هذه الكتلة
الضخمة من الآلهة المصرية . وتبدأ بالطائفة العظيمة ، من
الآلهة المحلية التي قمنا بتقسيمها والمعروفة جيدا في كل
مدينة أو حتى في الصحراء . ثم هناك مجموعة ثانية من
المعبودات شائعة في مصر بأكملها . ولها سمات جغرافية
مثل حمبي (Hâpy) ، النيل ، أو زراعية مثل : (Akhel) اخت
آي المرعى ، ونبري (Nepri) ، العنطة وارموثيس
(Ermouthis) ؛ (رنوث ، رنوت ، رنلت) أي العصاد ،
وغيرها مألوفة ، تويرس (Touéris) (تا - ورت) ، أي فرس
النهر الانثى ، وهي تسمى الحبالى ، ومسخت (Meakhenot)
وتسمى حالات الوضع - وبس (Bên) قزم عجيب الشكل ،
يحمى من المؤثرات الخبيثة .

وقد انضم الى هذه الآلهة الوطنية ، في غضون التاريخ ،
بعض المعبودات الأجنبية التي استمرت من الشعوب المجاورة
وتمصرت الى حد ما : ووصل من المالم السامى بعل وعنات
Anat (١) وهشتاروت . ووصل من سكان أعالي النيل ، ددون
(Dedoun) وانوكس (Anoukis) (عنقت) . ووصل غيرها من
ليبيا . وأحيانا رفع بعض الناس وبعض الملوك الى مرتبة
الآلهة السماوية : اموئيس (امحتب) ، المهندس المعمارى
ذائع الصيت للملك زوسر ، وامنوئيس (امنحتب) بن
حابو وزير امنوفيس (امنحتب) الثالث وسيزوستريس
(سنوسرت) الثالث أو امنوفيس (امنحتب) الأول .

(١) كتيبت ، عنق ، في اللغة المصرية واقدم ذكر لها يرجع لعهد الامبراطورية
(الترجم) .

وأخيرا اذا ولجنا المعابد وسمح لنا أن نقرأ النقوش
التي تزخرفها ، او فتحت لنا المكتبة المقدسة ، فان امرين
يكون لهما وقع فى نفوسنا : الأمر الأول هو أن الآلهة المحلية
فى بعض المدارس اللاهوتية العظيمة توجد فى اسمى رتبة
فى جميع المصنفات اللاهوتية : قرع اله هليوبولس ، وتحت
(Thot) اله هرموبولس ، تقدم لهما العبادة فى كل مكان .

وعندما يلم المرء بعلم لاهوتها فانه يتبين خصائص لها
فى كل مكان . ثم اننا ستجد معبودات ليست لها أية عبادة
محلية محددة وقديمة . ولكن اسمها جلى فى اللغة المصرية ،
وهى العناصر الأربعة التى آلهت : الأرض والسماء والهواء
والماء والمحيط الأزلى تصوروها فى أشكال مختلفة ، نون
(Noun) ومثير (Methyer) ، ومميار العالم : ماعت (Maat)
والتصور العقلى ، سيا (Sia) ، والكلمة الخالقة حو (Hon) .

وأخيرا نخص بالذكر آلهة الامبراطورية المظلم ، بتاح
(Ptah) وآمون وآتون . وقد ارتقت بتطور التاريخ الى
اعظم المصائر رفعة ، رأت الكهنة يممقون اغوار طبائعها
وينسبون اليها علم لاهوت المراكز (الدينية) العظيمة ، التى
عرفت كيف تضع الآراء عن الطبيعة الالهية وتنصب فى
النهاية فى تيار علم لاهوت عظيم ، يمكن أن يقال عنه انه
شائع لدى كل الانسانية المعاملة . وقد استطاع احد الملوك
أن يقدم لواحد من هذه الآلهة - آتون - فى ادعيته التى
كرسها له كامل تجربته الدينية الشخصية ، دون أن يجعل
له ميتافيزيقا أصيلة .

ومع هذا ، فاننا اذا أردنا التوغل فى خفايا فكر دينى
كامل يلزمنا أن نقوم بخطوة أولى . يجب أن نبذل جهدا
لفهم المناهج العقلية فى التفكير المصرى القديم .

لم تكن اللغة المصرية فى العصر القديم تعرف التجريد
وعندما كانت تريد التعبير عن فكرة ، كانت تستخدم لفظا

معينا محسوسا . وعلى ذلك فان فكرة التفكير والذكاء كان
يمبر عنها بلفظ « قلب » الذى كان يظن المصريون انه
مقرهما . ان جزءا كبيرا من الفاظنا المجردة يرجع الى هذا
المصدر عينه : ان الفاظ فكرة (idée) وفهم (comprendre)
وعقل (raison) كانت فى الأصل أمورا أو عمليات معينة
محسوسة تماما . وفى عصر قطع شوطا فى التقدم ، فى
آخر الألف سنة الثانية ، حاول المصرى صوغ أسماء مجردة ،
substantifs abstraits بأن درج على أن يسبق الاسماء المينة
المحسوسة substantifs concrets أو الصفات بلفظ « شيء » .
الغامض كل النموذج . وعلى هذا فان عبارة « كل شيء ميت »
كانت تعادل « الموت » و « كل شيء سيئ » تعادل « السوء »
ولكن هذا النهج لم يبلغ الناية حقا الا فى اللغة القبطية .
وتظل اللغة المصرية حتى النهاية تركيبية وليست تحليلية .
وعلى هذا فان التفكير الذى تترجم عنه سيكون له القليل من
صفة التجريد . انه لا يزال قريبا جدا من التجربة و يبدو
بالحرى من خلال صور ورموز أكثر منه فى تمايز تحليلية ،
فلا توجد الفاظ لقول : قوة وعناية الهية . . ولهذا كان على
المصرى أن يبحث عن صور لتأدية آرائه . وقد لجأ للتعبير
عن قدرة اله ، الى القول بأنه ثور . دون أن يزعمه عدم
توافق الصورة مع مجال النص : وعلى هذا النحو قال عن
تحوت إله القمر انه « ثور النجوم » ، كما لجأ للإيعاء بالمناية
الربانية لاله الى تصويره فى مسورة راع . ولكن المرء
يرى فى الحال أن هذه الصور ، مع ما فيها من إيعاء ،
يصيبها العسرج على الدوام فى ناحية ما . فالشور رمز
القدرة ، وفى إيجاز ، بهجته وقوته . غير انه يمكن أيضا
أن يكون رمزا للقدرة التناسلية . وعلى هذا يعدل الوضع
بصورة قريبة فيقال ان الاله هو أيضا أسد .

ان هذا المنهاج هو الذى يعسر الفراسة الظاهرية فى
خير من النصوص الديسية * ويصف شاعر لاهوتى امون بى
منظومة تتحدث عن قدرته المطلقة المخيفه على التعاقب بانه
اسد ذو نظرة متوحشة ، وثور فى حالة انتصاب ، وبمساح
يسرق ويذهب بمن يهاجمه * وهذه الصور المتعاقبة تصحح
الواحدة الأخرى ثم تكملها لتشكّل لوحة نهائية تثير المشاعر *
« ان الجبال تهتز من تحته فى ثورة غضبه * والارض ترتعد
عندما تسمع زئيره » (ويمكن ايضا ان يترجم اللفظ :
خواره) (١) * * * انه كفء بقرنيه » *

وعلى هذا ، فانه من خلال عدم التماسك ، الذى اريد
وسمى اليه ، فى هذه الصور التى تضمنها تأليف جدد رائع
وبذل الجهد فى وضعه ، يجب علينا ان نبحث عن الحقيقة
التي لا تنقلها على الوجه الاكمل واحدة منها والتي توجد
فى ناحية ما بين الرسوم المتعاقبة ، غير القابلة للتراكيب ،
التي عرضناها *

وعلى هذا فان المصرى لم يحاول اطلاقا ، على نقيض
الاغريقى ، ان يحدد الحقيقة اللاهوتية بطريقة تحليلية ومن
الداخل * بل يحاول الاحاطة بها من الخارج بواسطة صور
موضوعة الواحدة الى جانب الأخرى ، تكمن هى خلفها *
كان الاله الخالق ، عند علماء اللاهوت القدامى يستحوذ على
الأبدية ، وتفسير هذا بالنسبة لنا أنه لم تكن له على الاطلاق
بداية ولن تكون له نهاية قط * وفضلا عن هذا فانهم لم
يكونوا يتصورون تلك الأبدية كأنها غير متحركة * لقد
كانت بالحرى تنعكس فى حركة السماء التى لا انقطاع لها
ولكن لا حيد عنها والتى يثير انتظامها فكرة تطور مستمر
متعادل ومتماثل مع ذاته * ثم شبهوا الخالق بالشمس
وعرضوا الفكرة على هذا النحو فى منهج معين محسوس :

(١) اللفظ فى اللغة المصرية هو خرو ، ويقابل فى اللغة العربية خوار - (المترجم) *

سيد الأبدية ، الذى لا ينقطع عن عبور الأعوام •
 الذى ليس لزمن حياته حدود •
 الهرم الذى يعاوده الشباب والذى لا ينقطع عن عبور
 الفراغ اللانهائى •
 الاله المسن الذى دأب على جعل نفسه شابا ،
 أمام العيون العديدة وأمام الأذان الوفيرة •

اننا لا نستطيع أن نعرف بدقة لفظ فراغ - لا نهائى
 الذى يترجمه المرء فى غالب الأحيان بلفظ ابدية ، وليس من
 المؤكد على اية حال ان يكون له معنى فلسفى بما ان المؤلف
 يشمر بالحاجة الى تحديده بصور حين يقول : انه لا ينقطع
 عن عبور الأعوام ، ولكنه يردف ، دون حدود • ثم يدخل
 بعد ذلك موضوع العودة الدائمة لشباب الكوكب دون أى
 تلميح الى حمل امه نوت (Nout) به فى بطنها ليلا :
 وهنا نجد صورة الهدف منها الاحاطة بفكرة وليست مجرد
 قسمة أسطورية • ولما كانت الأبدية تدل ليس على حدث زمنى
 لا نهاية له وحسب ، ولكن على امتداد كلى ، فانه يضيف فى
 الحال صورا توحى بحضور الله فى كل مكان وهو الذى يرى
 ويسمع كل شيء وعلى هذا يكون فى كل مكان •

لا توجد جدوى فى مضاعفة الامثلة لهذا المنهاج فى
 التعبير • وستتاح لنا الفرصة لمصادفته عندما نحاول معرفة علم
 لاهوت بعض الالهة معينة • ومع ذلك ، لا يوجد أى فيلسوف
 لم يحس الحاجة الى أن يكمل بالصورة ، وفى بعض الأحيان
 بالأسطورة ، ذلك الذى يكون فيه الوصف المجرد للتجربة
 الداخلية رسما مجملا ، فى معظمه • ان الذى يتميز به
 الأدب الدينى المصرى هو فقط اسهاب واسع فى الشرح
 بالصور والسعى فى تجميعها ، وعدم تماسكها ، فى كل مرة
 يرغب فيها عالم اللاهوت تعمق الطبيعة الالهية • ولكن

توجد وسيلة أخرى لمعالجة الحقيقة ، كانت شائعة عند المصريين وتدهشنا كثيرا - انها تلك التي نطلق عليها في لغتنا ، التورية أو التلاعب بالألفاظ .

ليست الألفاظ عندنا الا نوعا من الدعاية التي كثيرا ما تكون مخيفة . ولكن قدماء المصريين كانوا يظنون أن الأسماء كانت تعبر عن جوهر الأشياء عينه . وفي قصة أسطورية تسعى ايزيس ، الى معرفة اسم رع للاستحواذ على قدرته ومن الواضح أن الاله يرفض الافصاح عنه . انه يعرف أن كيانه يرتبط باللفظ الذي يدل عليه . ان الجدل الذي قام حول الكليات (١) في العصور الوسطى بين أشياء حقيقة الافكار في العقل الالهي وبين اصحاب مذهب الاسمية (٢) الذين كانوا يرون فيها مجرد ألفاظ ، يبين تماما أن الفكر المصري كان يسير في دائرة بلغت درجة كبيرة من الرقي . لقد اقام في سمو نظرية عامة ، تصورا دائما يصادفه المرم لدى كثير من الشعوب القديمة . حتى ان ادراكهم لتمائل الحروف الأصلية في كلمتين لم يجعلهم يستبعدون أن يكون أمرا وليد الصدفة فحسب ، بل كان يكشف لهم كذلك عن وجود ارتباط رئيسي بينهما ، فاذا كانت الحروف الأصلية في اسم أتوم (Atoum) الاله الأزلي ،

هي بمعناها الحروف الأصلية في الفعل تم (Tmm) « كمل » فيكون مرجع ذلك الى أن أتوم (Atoum) هو الاله الذي « أتم نفسه » بذاته ، يخلق نفسه أولا ثم خلق العالم بعد ذلك . واذا كان أصل لفظ « خفي » يشتمل على الحروف الأصلية التي ترد في اسم آمون ، فان سبب ذلك هو أن المعبود ، على

Universel, universaux.

(١)

الاسم الذي كان يعبر به (السكولانيون) للمعبرين عن الآراء أو التأثير العامة التي كانت تستخدم لتصنيف الكائنات والآراء . وللدرسي (سكولاني) يطلق على كل ما يتعلق بفلسفة المدرسة أي تلك كانت تدرس في العصور الوسطى - (المترجم) .

(٢) nominalisme الاسمية .

الالاهي القائل أن الكليات ليست الا أسماء أو ألفاظا وهو يقابل الواقعية والتصورية -

(المترجم) .

القول الصحيح ، « لا يمكن معرفته » . ان أفلاطون في معاوراته وبلوتارخ ، لم يفتهما ان يضعا وجوه مقابلة من هذا النوع . انها تشرح وحدها بعض التطورات في علم اللاهوت المصري .

ان امون ، كما كانت تعلم طائفة الكهنة في طيبة . كان الواحد . وليس غيره من الآلهة الأزلية الا بعض اسمائه . التي تعبر عن صفة من صفاته فحسب . وهكذا كان يمكن ان يقال : خالق الانسانية طرا (تم و) . *mm Wj* . اوجد (مخبر) (*Skhpr*) كل موجود باسمك الذي يحمله اتوم - خبرى (*Atoum-Khepri*) .

واستنادا الى الألفاظ « الانسانية طرا » و « اوجد » يتكون علم اللاهوت فيما يخص قدرة آمون الخالقة . التي يعبر عنها الاسم الذي يحمله في هليوبولس : اتوم (*Atoum*) الذي اتخذ شخصية اله الشمس الذي يتطور الى خبرى (*Khepri*) .

وكانت مدينة طيبة تحمل اسم « مدينة امون » وفي ايجاز « المدينة » كما كان الرومان يسمون روما *Ur* . بها أنها كانت تقع في الموضع عينه الذي ظهر فيه تل الأرض الجرداء خارج المحيط البدائي في الأزمنة القديمة جدا . فقد صارت بهذا ، الطراز الأول لكل البلدان التي استعمرت منها اللفظ عينه الذي استخدم لتسميتها : وهو لفظ مدينة .

وكذلك من الجائز أن مكان العبادة الأصلي لعاتحور كان يدل عليها في الأزمنة القديمة : « تلك التي تنتمي الى أمبوس (*Ombos*) ولكن في اللغة المصرية ، كان لهذا اللفظ نفس الحروف الأصلية التي تجيء في لفظ « ذهب » . وكان ذلك لأن الآلهة كانت من الذهب ، كما كان لحم رع نفسه ، مادة الجسموم الالهية . ويرى المرء بجميع الآراء التي يمكن أن

ترتبط بهذا التماثل في الحروف الأصلية التي تجي في لفظين •

ويجب أن يضاف الى هذه الوسائل الغريبة في نقل المعرفة أو انارتها ما درجوا عليه من عادات نفسية تزعجنا في البداية • كان قدماء المصريين يصفون على ما نطلق عليه مبدأ تماثل الشخصية افاضة أوسع مدى عن مفهومنا ، بما لا يقاس • وفيما يبدو ، لم يفصلوا فكرة المشاركة التي تسمح ، دون سواها ، بتوطيد الروابط بين الجواهر المتميزة • وعلى هذا فقد كان يذهب ظنهم الى ان كائنين يمكن أن يستحوذا على شخصية واحدة • ان أتوم يمكن أن يكون خبري والاثنان معا يمكن ان يكونا أمون • وهم يذهبون بعيدا في مجال تماثل الشخصيات هذا حتى يصل الأمر بهم فيه الى ضمان المحافظة على كل التفسيرات الدينية التي يضمونها جنباً الى جنب في رعاية ، دون احلال بعضها محل البعض الآخر • ان هذا يؤدي بنا الى الظن بأنهم كانوا يعتبرون كلا منها صالحا ، على طريقتهم • ان عاداتنا في أن نستعير في اطراد متزايد القواعد التي توجه فكرنا نحو العلوم الوضعية ، تنكر علينا هذا النوع من العمل ولكنها تمنعنا في الوقت عينه من استشعار ما يكون أمرا عارضا في معارفنا وعلى الأخص في معارفنا الميتافيزيقية ، وأبعد من هذا ، في التعبير عنها •

فلنأخذ هنا مثالا ، يبلغ من الصعوبة ما يجمله يعبر دفعة واحدة عن مصطلح متخيل عن الحقائق العقلية وعن تصورات أديت في الفاظ معينة محسوسة • منذ العهد البدائي ، تصور علماء اللاهوت في هليوبوليس الههم أتوم في صورة خالق ذاته • انه نجح بادىء ذي بدء في خلق نفسه بنفسه وكان هذا نهجا للتعبير عن أبديته • وكان مع صفاته « ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء ذاته » • غير أن سيطرة الشكل الانساني التلقائية على الفكر قد دفع بالكهنة الى

تصور عملية القران بوصفها حلا لخروج الاله من عزلته واحاطة نفسه بكائنات أخرى . ولما كان أتوم وحده ، فقد استتبع هذا أن ينسبوا اليه القيام بعملية استمناء أصيلة . ذلك ما تدفعنا الى قوله الأساطير ، وعلينا ألا نرى فيه خروجا عن الخلق القويم ولكنه التعبير غير اللبق عن فكر تراعى فيه الفكرة العميقة وحدها . وقد نسب أحيانا أيضا الى أتوم القيام بعملية أخرى أقل اهذام للشعور ولكنها فجأة أيضا وهى أنه لفظ من فمه أول زوجين الهيين . والعاقبة لا تثير صعوبة وهى عندنا أقل أهمية أيضا .

حدث بعد زمن وجيز ، ودون ريب فى عهد الأسرة الثالثة ، فى مستهل الألف الثالثة ، بعد أن قام كهنة بتاح (Ptah) ، اله مدينة الجدار الأبيض وهى التى أصبحت منف (فيما بعد) بتحليل الوسيلة التى اتخذت لتنظيم الأشياء والناس وعلى الأخص الملك ، أن قدموا بوضع نظرية تامة للمعرفة ، وفى نهاية الأمر عرفوا نهجا خالقا أصيلا حقا : تحمل الحواس المعرفة الى القلب . وهو يشكل فكرة وينفذها باصدار أوامر نافذة تدرك نتيجتها المادية بالحس . وعلى هذا فالخلق يبدأ بالفكر ويتجلى بالكلمة الخالقة . والاله بتاح ، يفكر ، فى قلبه ، فى الأشياء والكائنات ثم يعطيها أسماء فتظهر للوجود . وهذا الخلق بالكلمة الالهية كان لا بد أن يلقى نجاحا باهرا . ويبدو لنا أنه كانت فيه كفاية ذاتية وأنه حل بجدارة محل الفكرة القديمة التى كانت سائدة فى هليوبوليس . ولكن بالنسبة للمصريين ، لم يكن الأمر على هذا النحو اطلاقا . لقد ظنوا بكل تأكيد أنه على الأرجح لم يكن الا صورة أكثر قربا للحقيقة ، من الصورة السابقة . وقد كان فى هذه الطريقة لمواجهة المعرفة فضلا عن ذلك ، ارضاء لفريزتهم فى المحافظة على التقاليد الأدينية . ان رأيا يطبق على الآلهة يحمل نوعا من التقديس ويفرض نفسه بصفة نهائية . ولا يمكن دحضه فيما بعد . كيف يتاح لهم أن يفسروا منذ ذلك الحين أن التصور الأخير

ليس الا نهجا جديدا للوصول الى الحقيقة وان التصور
القديم يظل صالحا ؟ انها صور متشابكة تبدو لأول وهلة
بلا معنى ، ولكنها حين حللت طريققتها للمعرفة وللتعريف
بالحقيقة بدت تامة الوضوح .

فـ « ان تاسوع بتاح امامه كاستان وشفاه اى انه بذرة
ويدا اتوم . ان تاسوع اتوم فى المواقع ، جاء للوجود ببذرتة
ويديه . ونكن التاسوع هو الاسنان والشفقتان فى هم ذلك
الذى سمى كل شىء ، والذى خرج منه شو (Uhou) وتفنوت
(Tefnout) اللدان جاءا بالتاسوع الى العالم » .

والتاسوع هو جمع الآلهة الذى أوجده الاله الخالق
Demiurge والذى واصل عمله فى خلق العالم . وقد
خلق بتاح آلهة التاسوع بأن دعاها بأسمائها واستخدم فى
هذا الاسنان والشفقتين . ان هذين اللفظين الميمين يوضحان
الوسيلة الخالقة التى استخدمها الاله ، ولذا فانهما يعادلان
الأعضاء التى استخدمها اتوم ، فيما سبق ، للقيام بالخلق .
ان كل صورة من هذه الصور حفظت على هذا النحو
ولا تستبعد واحدة منها ، بصفة نهائية ، لصالح أخرى .

ويجدر بنا تذكر هذه الاعتبارات اذا أردنا ألا ننكر كلية
قدر الفكر المصرى وأن ندرك مدى تأثيره فى نطاق علم
اللاهوت . لقد تمكن من أن يفرض نفسه على حكماء
المصريين وعلى عدد معين من فلاسفة الاغريق ، ذلك لأنه كان
يستحوذ على معارف قيمة . ولكن بمد فقدان التقليد الحي
الذى كان من شأنه أن يسمح باقرار المعنى الدقيق للنصوص
والأساطير . كما يرى فيما يتعلق بالفكر الهندى الحالى -
يتحتم علينا أن نبذل مزيدا من الجهد البالغ ، ودون معاونة ،
لرفع البقاع السميكة الذى ألغته اللغة واتجاه عقلى يختلف
اختلافا عن اتجاهنا ، على هذه المكاسب العقلية القديمة .

الفصل الثالث

● الآلهة المحلية في مصر العليا

وهكذا أصبح إلى ما يتعلق بالآلهة وثقلته من أولئك الذين يفسرو
الأسطورة في تلقى وفلسفة ، لنجز على الدوام الأساليب المسمو
بها في المراسم المقدسة ، على أن تضع في ذهنك أنه لا شيء هـ
أضحية أو أى عمل يمكن أن يلجزه المرء فيه رضا للآلهة أعظم هـ
أن يكون له عظم رأيا صادقا هـ وعند ذلك تصل إلى القرار هـ
شر ليس أقل من الإلهاد وهو التطير هـ

بلوتارخ (أزيد / ١٢

ان خليط الآلهة المحلية الوفير هو أكثر الأشياء التي
تسترعى انتباه ذاك الذى يسمى الى فهم ديانة مصر القديمة هـ
ولا ريب في أن النصوص القديمة لم تحدثنا دون انقطاع عن
آله الة للقطر ، كما تفعل النصوص الحيثية في التحدث عن
آله الة لخيتى هـ ولكن لم تكن توجد قرية لها شيء من
الأهمية ، دون أن تكون لها آلهتها الخاصة هـ ولم تكن حاضرة
كل اقليم أو مقاطعة nome هى وحدها التى لها آلهتها ولكثر
كذلك كان للتجمعات الصغيرة فى داخل المقاطعة الة
مختلفة هـ ومن المؤكد أن هذه الآلهة كانت تفرس دعائه
قوية لنزعة حب الوطن المحلية ، ان لم نقل لنزعة الحرب هـ
ويدور هذا فى حدسنا عن أكثر من مدينة صغيرة هـ ولكن
عندما كان الاله المحلي ، عقب ظروف سعيدة ، يرفع الى رتبة
اله الامبراطورية ، فان الوثائق كانت تتضاعف ويتمدد
زهو المدينة التى ينتمى اليها ، كل حد هـ وعلى هذا النحو ،
أعلنت طيبة عندما أصبحت الحاضرة فى عهد الأسرة الثامنة

عشرة ، أنها المثال الأعلى لكل المدائن ، المدينة الأصلية ،
المدينة التي يجب أن يقدم لها الطاعة العالم بأجمعه : « يجب
أن تنتمي إليها مصر العليا ومصر السفلى » ويجب أن تكون
السماء والأرض والجحيم طوع أوامرهما . وأن تكون لها
الأمواه والجبال ونون مع مخلوقاته وحمبى (مع) زرع
وكل ما يحمله جب (اله الأرض) . وكل ما تسطع عليه
الشمس ينتمى الى « كاهها فى سلام » .

ويرى المرء من هذا المثال وحده ، أن النمو السياسى
لمدينة أو لاله قد خلق فى الحال مبدأ خضوع أو بعبارة
أخرى ، مبدأ وحدة . لقد سبق أن رأينا ما كان « لبيت
الحياة » من أثر على تنظيم علم اللاهوت والعبادة . لقد كان
له نفوذ فعال بالغ بنسبة ما كان للملكية من قوة عظيمة .
وقد أدى نشاط الكهنة المحليين دورا هاما أيضا ، وقد أخذوا
شيئا فشيئا ، يسمون الى اقامة نظام لذلك الجمع من الآلهة ،
وايجاد تماثل بين الآلهة الذين يربطهم الجوار ، بعضهم الى
البعض الآخر ، والى أن يجعلوا من كبير آلهتهم الاله الأوحد .
ويمكننا أن ندرك نتيجة تلك النزعة فى العصر المتأخر فى
ادفو ودندرة واسنا . حتى اننا لا نكاد نعرف عن هذه
الآلهة الا ما وصلنا من كتابات كهنوتية رسمية تمثل ذروة
عمل لاهوتى رسمى متتابع التطور يحجب عنا الآلهة المحلية
الأصلية . ان تنوع الاضافات التى أتت بها العصور
والكهنة تحول بيننا وبين اعادة تكوين الحالة القديمة . اننا
لم نعد نعرف ديانات مصرية ولكن آلهة متباينة لدين موحد
فى مجموعه .

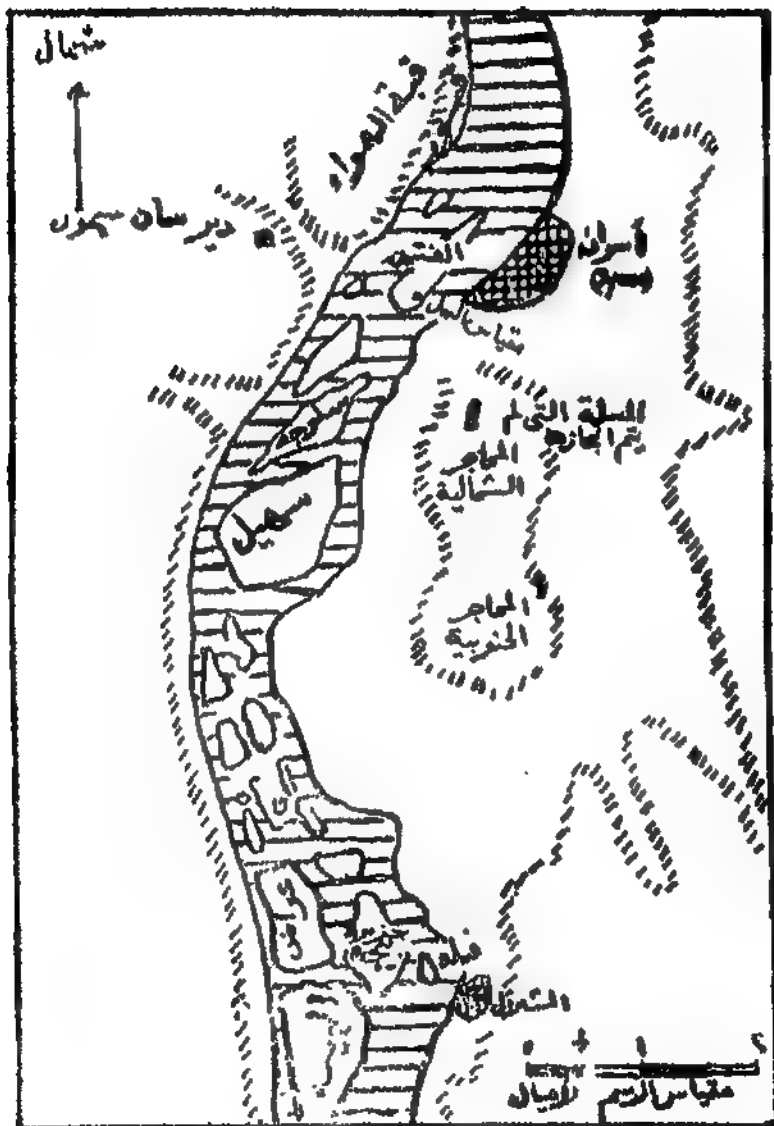
ومما يسترعى انتباه المرء عندما يزور مقبدا مصرية
تنظيم المعبودات فى مجموعات يتألف كل منها من ثلاث .
وقد يرغب المرء فى ارجاعها الى عهد بعيد القدم . لكنه
يتبين أنها تشكيلات متأخرة نسبيا وغير مستقرة . عندما
تواتيه فرصة ليرى كيف تطورت — وهو أمر نادر — وعلى

سبيل المثال ، نجد في زمن الملوك الاغريق ثالث حاتحور دندرة وحورس ادفو واحى ، مكونا تكوينا يبلغ حد الكمال . ومع هذا ، يلاحظ المرء الزيادة التي تقع مرارا عديدة في معبد حورس ، سيد خادى (١) الذى كانت حاتحور تغشاه بنفسها في خلال عام الصلوات . وفي الواقع ، في بداية الدولة الوسطى ، كانت الالهة التي تصحب حاتحور في هيكل منتو حتب هي حراختى الذى يدعى ببساطة سيد دندرة في نفس مرتبة حاتحور ، وحورس سيد خادى وهو يظهر في المكان الذى شغله بعد ذلك بزمن احى الاله الابن . ولا يظهر حورس ادفو . ان فصلا طويلا من نصوص التواويس ، في نفس العهد ، مخصص لاحى . ويبدو فيه احى تماما كاهن لحاتحور ولكنه ابن ايضا لنفتيس وايزيس وابوه رع . ان الخصائص التي يتجمل بها فيه تختلف اختلافا بينا عن تلك التي يبدو فيها ، على وجه عام ، في دندرة في العهد الاغريقى . ويرى المرء ان عمل علماء اللاهوت قد قطع شوطا بعيدا منذ تلك الحقبة القديمة ، ولم يعد في استطاعتنا الرجم بالحالة القديمة التي كانت عليها المعبودات المحلية ، سحيفة القدم . وتتطلب الحال اعمالا عديدة مفصلة وحتى عند ذاك ، لا يكون من المتيقن ان غاية مداها يصل الى شيء أكثر من افتراضات فيها الكثير أو القليل من الحداثة ، من الضروري أن تثير فينا المطابقات الغريبة بين العبادات المحلية الكثير من التبصر - والواقع ، أنه لا يمكن أن يفوت المرء ملاحظة أن التصور الثنائى الذى يبدو أنه كان يلزم التكوين المقلد عند قدماء المصريين ، قد قام هنا بدور عظيم . وكما نرى على جانبى المحور ، في مختلف ردهات معبد ، قيام المزهرفين بوضع الآلهة التي تتطابق في نفس الأمكنة ، فاننا نتخيل كذلك مطابقات غريبة بين مصر الشمال ومصر الجنوب ، واذا كانت توجد اذن الشمال (هليوبوليس) واون الجنوب (أرمنت) فقد لا يستطيع المرء

(١) النوبة القديمة في المقاطعة السادسة ، دندرة .

الشعور بالمطابقة • لأن الالهين جد مختلفان • ومع هذا يجب أن يلاحظ أن قرينة منتو هي مؤنث رع ، الشمس ، سيد هليوبوليس ولقد بذلت الجهود لتوثيق الصلات بطريقة مصطنعة • غير أنها في حالات أخرى ، تظهر واضحة أمام العيون • فأوزيريس يتولى الحكم في (أبو صير) في مصر السفلى وفي أبيدوس في مصر العليا • ويستحوذ آمون على ديوسبولس ماجنا وديوسبولس بارفا في مصر العليا • ولكن جعلت مطابقة لهما ديوسبولس الوطنية في مصر السفلى • ويمتلك حورس « بحدتي » في مصر العليا و « بحدتي » أخرى في مصر السفلى • ولتحوت « هرموبولس » في مصر العليا وهرموبولس أخرى في مصر السفلى • ويستبين الانسان في الحال ما كانت عليه من اصطناع مثل تلك الوسيلة في عرض الأمور • لقد أجبرت آلهة على اتخاذ دور أحد زملائها ، كان في الأصل مختلفا عنها كل الاختلاف ، وذلك لتوطيد التعادل غير الطبيعي بين شطرى القطر •

اننا أحيانا نلاحظ قيام أنواع من استبدال المعبودات • فقد حل أوزيريس في أبيدوس محل اله قديم يدعى « ذاك الذى يرأس سكان الغرب » ، كما حل في بوصيرص محل اله آخر يدعى « هنجتى » • فما سر ذلك ؟ في بلاد الاغريق ، كانت تحمل أمثال هذه التغيرات ، في معظم الأحوال دلالة على غزو • وهنا لا يبدو أنه كان يوجد شيء من هذا القبيل ، وفي أبيدوس على وجه اليقين ، واننا لنجهل تماما السر الذى دعا الى أن يكون لرع المكانة العليا هليوبوليس بدلا من أتوم • ولماذا وصل الأمر بآمون في النهاية الى ابعاد مؤنتو عن طيبة ؟ وقد لا تكون هناك الا مسائل دينية خالصة ولاهوتية ، هي التى أحدثت ذلك • ولكن يتحتم اقامة البرهان على ذلك • ان الأمر الوحيد المتيقن منه هو أنها ليست الوقائع العسكرية هي التى تفسر معظم هذه التغيرات •



منطقة كين أن (Keen An, Eq.)

فلندرج اذن مصر من الجنوب الى الشمال ، وفقا للنهج القديم فى البحث . ولنتطالع ماذا كانت المبادئ التى تقدم فيها . وسيكون ذلك مجرد وصف تاريخى ولن نتمهل طويلا حتى عندما يكون الانتاج الادبى فى احد المراكز الدينية وفيرا ويسمح بتقصى الخطوط العريضة لاحدى العقائد ، وان كان لنا ان نرجع للموضوع فى احوال خاصة جدا . وبعد كل تقدير ، فان هذا على التحقيق هو المنهج الذى يمكن ان نطبقه اليوم لمعرفة الدين المسيحى فى فرنسا . ان علم اللاهوت يجب ان يدرس فى ذاته وخارجا عن المبادئ الخاصة . ومهما تكن خصائص سان - جن *Saint-Gens* أو سانت - آن - دوراي *Sainte-Anne-d'auray* ومقادس لورد *Lourdes* أو لا سالت *Salette* هـ (١) ، فانها لا تمس فى شيء صفات الله (عز وجل) أو حتى علم اللاهوت الخاص بالمذراء .

فى أقصى جنوبى مصر ، كما تنطبق النسميه ، فى المكان الذى يشق فيه النهر ، لآخر مرة ، طريقا عبر سد من الجرائيت صوب ارض طليقة وصوب البحر ، كانت توجد مدينة استعمرت اسمها من تجارة العاج التى كانت تمارس فيها وهى مدينة الفنتين . وكانت تتخذ مأوى لها أقصى جزيرة الى الشمال من الشلال ، وقد ورد ذكرها فى أقدم الوثائق المعروفة . وكان يعبد فيها الاله خنوم . وكان حيوانه المقدس الكبش . ويرسم الاله على الدوام برأس هذا الحيوان (شكل ١٢) . وكانت تعقد له الرياضة فى الشلال وكان أحد الأعمال التى تتصل بالشعائر والذى يجد فيه الرضى بصفة خاصة ، يتألف من سكب الماء الذى يأتى بالخصب أمامه - وهو الذى كان يظن أنه يتفجر من الصخور فى هاتيك الأنحاء - بجرة كانت تحمل اسمه . وقد ألحق به فيما بعد الهتان يبدو أنهما كانتا ترجعان الى عهد بعيد فى

(١) بعض المزارات التى تقب لها معجزات خاصة فى فرنسا وخاصة لورد التى ينبع ظهور المذراء بها فاصبح الناس يعجبون اليها طلبا للبركة أو الشفاء من الأمراض .
(المراجع)

القدم ودون ريب يرجع أصلهما الى أقطار تقع على مسافة
 نائية الى الجنوب . (هما ساتيس وعنقت) ومن الراجح
 أن الالهة ساتيس كانت ترتبط بحاملي الأقواس النوبيين .



١ - أمون - رع

٢ - عنقت

٣ - أنوبيس



٤ - باستت

٥ - ثوتو

٦ - حورقني



٧ - حورسافس

٨ - خنمون

٩ - حورقني

(أشكال الالهة من ١ - ٩)

وبعد ذلك بزمان ، أدى تشابه اسمها مع اسم سوتيس
 Sothis : وهو نجم الشعرى الى أن تتمثل هذه الالهة في هذا

النجم (١) وفي ايزيس - وقد قدم اليها كغطاء رأس تاج الوجه القبلي الأبيض يحف به قرنان (شكل ٢٤) ، وكانت أنوكس (عنقت) تمتلك وحدها جزيرة سهيل إحدى أعظم الجزر اتساعا ، تلك التي تقع في وسط الشلال على وجه التقريب . وكانت لها قسمة أفريقية بارزة تجلت واضحة في غطاء رأس من الريش (شكل ٢) - ولكنها صارت باعطائها مثل ساتيس ، شخصية «عين الشمس» ، الالهة التي انسحبت وهي غاضبة الى الأقطار الجنوبية وكان يتحتم على آلهة مصر البحث عنها ، أن صلتها بغنوم ليست واضحة بصفة قاطمة . كانت ساتيس على وجه اليقين زوجته ، أما أنوكس (عنقت) فربما كانت ابنتهما ، وهذا أرجح من أنها كانت زوجته الثانية . ولكن تاريخ كل هذه التفسيرات ، في الوقت الحاضر ، غامض كل الغموض .

لسنا نعلم متى جاء أوزيريس (شكل ٢١) ليقوم في هذه الأنحاء . ومع هذا فقد كان له في العهد المتأخر قبر في جزيرة بيبج وهو الذي سماه الاغريق اباتون Abaton (١) . ويقع مباشرة الى الغرب من جزيرة فيلة الصغيرة حيث سادت ايزيس (شكل ١١) . ولم يكن في قدرة أى أجنبي أن يجوس خلالها ، وكانت تحذيرات عديدة تحمى راحة الاله . وكانت ايزيس تذهب ، كل عشرة أيام ، في موكب لتؤدي على قبره شعيرة سكب اللبن . وفي فيلة كانت تعبد مع أوزيريس وحر بوقراط (حر باخرد) ومعنى اسمه في اللغة

(١) أشار بعض المؤلفين الى أن عبادة للضرى كانت شائعة عند العرب في الجاهلية . وذكر أبو الفرج والنسفي قبيلة قيس على الأخص راجع : M. Paul Casanova
Quelques Légendes Astronomiques Arabes, considérées dans leurs rapports avec la mythologie égyptienne , Imp. I.F.A.O. 1902.

وجاء في التزويني : « وكان قوم في الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضا دون غيره من الكواكب » وذلك قوله تعالى : « وإله هو رب الضرى » - (المترجم) .

(٢) Abaton - الاسم الذي أطلقه الاغريق على قبر أوزيريس في جزيرة بيبج ومعناه « الذي لا يمكن الوصول اليه » .

المصرية « حورس الطفل » - وإلى جانب هذه الآلهة ، كانت تقدم لحاتحور عبادة فى معبد صغير مستقل ، كان الناس يغنون ويرقصون فيه لأجلها ، أثناء الليل . وبعدام المدخل ذى العمد الذى كان يسير من مرمى السفن الجنوبى حتى الصرح الأول ، كان يوجد فى البداية معبد الاله النوبى أرينسنوفيس (١) . لقد جاء من الجنوب ويعتبر سيد بونت على ساحل الصومال . ويعده المرء متمثلا فى اله آخر نوبى يدعى ددون . ولكن المصريين أعطوه شخصية الههم شو الذى ذهب بعيدا بحثا عن الالهة الغاضبة . وعلى مسافة الى الشمال ، كان يوجد معبد صغير آخر ، أقيم خصيصا لاموئيس (امحوتب) المؤله ، والذى أصبح الها يشفى من الملل ودعاه الاغريق لهذه الواقعة ، اسكليبيوس ، لقد عرف معبد فيله شهرة عريضة . لقد كان يهرع اليه العجاج الذين يتحدثون بالاهريقية ، انفسهم ، وتركوا نقوشا لا عد لها ، على حيطانه . وكان يجرى الهمج وعلى الاخص البلميس Blemmyes (٢) اليه لتقديم العبادة لايزيس التى رفعت فى عهد متأخر الى مرتبة الهة عالمية . وكان يسمح لهم بان يحملوا الى بيوتهم كل فترة صورة مقدسة كان يجب عليهم ان يميدها . وكان يجب الانتظار حتى عهد جستنيان واستخدام العنف ، لاطفاء شعله آخر موطن للوثنية المتيقة فى عام ٥٣٥ م .

(١) اسمه .. Irj hms' ntr - الاله الاغريقى .

(٢) بلميس Blemmyes :

جاء ذكرهم فى د بلنى Plino على انهم شعب اثيوبيا فى عهد نيروا. بان (٢٨٤ - ٢٠٥ م) هذا البلميس وهم رابطة من القبائل تقطن شرقى السودان . من الغزو حيث اجبروا الطمية الرومانية على الانسحاب من دودكانشوانوس Dodekarchaines وهو شمسار وادى النيل من اسوان حتى حراسوكاموس Hierasykumios (المعركة) على بعد ٧٠ ميلا منها (١٢ شويلى ومن هذا اشتق اسمها) واجبر الامبراطور على تاجير قبائل الصحراء الغربية لصدوم . ووافق ايضا على دفع مبالغ من ١٨١ م . ديا للكف عن غزو اقاليه مصر الرومانية واقام معبدا فى فيلة حيث يقسم مندوبون من جميع الشعوب المعنية على مراعاة الاتفاق فى حضرة الهتهم - (المترجم) .

وكانت تقوم على مسافة ابعد الى الشمال ، فى نفس هذه المقاطعة الاولى ، عبادة جد غريبة لدينا عنها معلومات غزيرة لأن معبدا يرجع للعهد الرومانى مازال جزء عظيم منه قائما ، يستوى مشرفا على النهر فوق تل كوم امبو المقدس . هنا يتقاسم الموقع الهان فى شطرين متعادلين وهو مالا يوجد متيل له فى اى مكان اخر فى مصر . وهذان الالهان هما حرويرس ، حورس المبجل (١) (شكل ٩) وسبك (شكل ٢٥) ، الذى كان يمثل فى معظم الاوقات براس تمساح . وكان يوجد معبد فى نفس المكان على الاقل منذ الاسرة الثامنة عشرة وبكل تأكيد فى زمن اعظم بثورا . ولكننا لا نعلم أنه كان يبرز خصائص المعبد الذى نفهم بزيارته . وينهض لدينا دليل للاعتقاد بذلك لانه فى عهد الملكة حاتشبسوت يقدم نقش خفيف البروز لتاسوع الدرنة وضعا غريبا : فانه بينما كل الآلهة يتماقب ترتيبها فى انتظام وتأخذ وجوها نفس الاتجاه ، يحول حورس ، دون سواه ، ظهره الى نفتيس التى تتقدمه ليواجه سبك الذى يتبعه . ومن سوء الطالع لا يصحب أى شرح هذا الخروج على القواعد المعتادة فى رسم المناظر المصرية . ولكن فى اثر تذكارى بذلت فيه العناية ، لا يمكن تفسير هذا الشذوذ الا بوجود صلة ، خاصة تماما ، بين حورس وسبك ربما كان يبررها أمر تفصيلى فى أساطيرهما لم نهتد اليه حتى الآن .

ان لمعبدهما فى كوم أمبو تصميمًا فريدا فى نوعه الى الان فى فن العمارة الدينية المصرية . فهو ينقسم طولاً الى شطرين يوجد فى كل شطر منهما ، هيكل مستقل . ويقابل هذين الهيكلين بابان متماثلان وهناك بابان لكل غرفة من الغرف التى تسبقهما ، للردهة المتوسطة ولردهة القرايين وردهة التجلى ولبهو الأعمدة ، وقد خصص القسم الشمالى بأجمعه لحرويرس والقسم الجنوبى لسبك . ولكل منهما

(١) حرويرس - الصيغة اليونانية لحورر .

اعياده وعبادته الخاصة المتميزة . وقد منحت أسرة لكل منهما . كان لحرويرس شخصية لاهوتية اتخذها زوجة : الأخت الكاملة وكان له ابن ، سيد - القطر - المزدوج - الطفل . وقد قدم لسبك كشرىك له حاتحور وكابن خنسو - حر . ألا يكون سبك اسم التنكر الذى اتخذ ست أمبوس ، والذى أصبح فى نهاية الألف سنة الثانية اله الشر وتوصفه بلوتارخ باسم تيفسون ؟ ليس فى قدرتنا الوصول الى معرفة ذلك ، ثم ان الاناشيد اللاهوتية المعفورة على جدران المعبد الحالى قد استطاعت تخفيف الاختلافات الاصلية التى كانت تقوم بين الالهين ، حتى ان أى تحليل دقيق لا يصل الى كشف الخصائص القديمة الا فى غناء . انها بالحرى تعرض الخصال العامة للألوهية ، أكثر مما تعرض الخصائص المعينة التى تظن أن ألهة المصور العتيقة تميزت بها .

فى رادى جبل السلسلة الضيق ، فى الموضع الذى ينحسر فيه النيل بين جبلين من الحجر الرملى حفرت فى عهد رمسيس مصليات ونقشت فيها اناشيد لاله النيل الذى كان يبدو هنا أنه انفذ الممر قسرا . ولكن يجب ان نهبط مبشرين فى النهر حتى ادفو لنجد مركزا للعبادة معروفا تمام المعرفة بفضل معبد عظيم يرجع الى عهد البطالمة ، ومازال سليما ويكاد يكون فى الحالة التى كان عليها فى زمن الملوك المقدونيين . ولقد خصص لحورس ادفو « ذاك الذى ينتمى الى بحدتى » (١) فى اللغة المصرية . وقد كان ، أساسا ، خصما لست أمبوس . وكان يرمز له بالصقر . وقد كان يوجد عش عظيم لهذه الطيور المقدسة ومعبد للصقر فيما سبق ، فى مواجهة هيكل الميلاد الحالى . وكان الكهنة يقومون فى المعبد بمحاكاة مسرحية شمائية تترسم أحداث قصص الممارك التى شنّها الاله ضد خصمه . والعبادة هنا ترجع

(١) أضفى اسم بحدتى ومعناه الرمش ، على عدة مدن مصرية كانت تستحضر على معان لاله حورس وكان أعظم تلك الواقع أهمية حاضرة الماطلة الثانية من مصر العليا وكان اسمها الشعبى Deb وبالقبيلة dlbw الذى انحدر منه لفظ ادفو ... (المترجم) .

الى الدولة القديمة • ولكن لا مسيل الى الوصول الى علم
اللاهوت سحيق القدم الذى يتصل بحورس بحدتى • ومنه
المؤكد أن أسبابا قوية كانت تربطه منذ عصور لا تعيها
الذاكرة ، بحاتحور الهة دندرة إذ أن هذه الآلهة كانت تقوم
كل عام بزيارته منذ عهد اتباع حورس ، أى قبل توحيد مصر
فى عهد مينا • وفى عهد الاغريق كان يؤدى هذا الاحتفال
فى شهر ابيب فى شيء عظيم من الوقار • ولقد كان يطلق
عليه عيد « الاجتماع الطيب » • وهكذا كانت تقدم حاتحور
كزوجة لحورس • وكان ابنتهما ، « حورس — جامع شمل —
القطر — المزدوج — الطفل » الصغير ، حرسماوى • وشيئا
فشيئا ارتقى اله ادفو الى مرتبة المعبود الاوحد والازلى وكان
علماء اللاهوت يقصون كيف قام بخلق العالم والآلهة الاخرى •
وهذا هو ما كان يحدث على الدوام لكل رب الهى فى اية
مدينة وصل كهنتها الى شيء من الاهمية • ويجب أن يذهب
الطن الى ان هذه الادعاءات لم تنشأ الا فى العصر المتأخر •
وفى الحالة التى نحن بصدددها ، فإن النقوش التى تدلى الينا
بهذه المعلومات ، هى نسخة من مخطوطات يرجع تاريخها ،
فيما يرجع ، الى عهد الامبراطورية الحديثة • وعندما يسير
المرء هبوطا فى مجرى النهر ، فانه يصل اول ما يصل ، وهو
يسير بمحاذاة الشاطئ الأيسر الى مدينة نخن ، الكوم الأحمر
الحالية • ولقد كان لها ، فى غضون عهد ما قبل التسارينخ
البعيد ، أهمية عظيمة يشهد عليها ما عثر عليه من آثار ترجع
الى أسرات طينة (١) والدولة القديمة • ولكنها هوت كثيرا
عقب هذا • ولقد كان يعبد فيها حورس ، ويبدو أنه كان
محظيا ولكن ليس لدينا علم وفير به ، ولما كانت تضى على
الملك شخصية حورس ، فيمكن أن تكون أرواح نخن التى
تطالعنا مرارا عديدة فى الشعائر الملكية ، على شاكلة عيد

(١) تقع مدن طينة قرب « جرجا » الحالية وينسب اليها العصر الطينى الذى سادت
فيه الاسرات : الاولى والثانية وهو عصر التأسيس والبناء الذى سبق ظهور الدولة
(المراجع) •

« حب - سد » او « الميلاد الانهى » هى ارواح الموتى من الامراء الاقدمين .

وفى مواجهتها على التقريب ، على التساسىم الايسن ، كانت توجد مدينة نخب (١) - وكانت تعبد فيها الهه يرمز اليها برحمه بيضاء وكان يطلق عليها نبت اسى سسمى الى محب ، محبت (قندل ١٨) - ومما لا ريب فيه ، ان هذه المدينة كانت عند نشأة الحضارة المصريه رمزا لاخصى الجنوب وكانت تقوم على رعاية الملك الالهة - الوصيه التى تبسط جناحيها فوقه - ولقد وجدت معبودة مطابقه لها فى عهد توحيد القطر المزدوج ، وهى اوتو . (واجت) ، الالهة الأفعى فى اقصى الشمال وكانت بسوم بالاسهر على مذبح مسر السبعلى - ولهذا اصبح فرعون « داك الذى ينمى الى السيدتين » - وكان تاجه يحمل فى المقدمه راس عماد وراس افعى وكانا يثيران ذكراهما ويحميان الملك - ان تاج توت عنخ آمون هو احد مباحج متحف القاهرة - وكانت الاثنتان تشتركان فى احتفال التتويج - وتقوم كل واحدة منهما بوضع تاج اقليمها الاصلى على رأس الملك - وكانتا ترضمان الملك بلبنهما السماوى للحفاظ على ألوهيته - ومع هذا ، فان نخب كانت تحفظ على الدوام ذكرى أصلها المتواضع بان ظلت الهة مدخل الوادى الذى كان يؤدى من الكاب الى مناجم الذهب - ومن ناحية أخرى ، فاننا نجد لها منذ الأسرة الثامنة عشرة شبيهة بن « حكت » الالهة - الضفدعة فى مدينة أنطينوى (Antinoé) (٢) ، وهى تقوم بتيسير الميلاد الملكى - وعلى هذا ، فقد كانت تقوم بدور شبيه بدور القابله وكذلك تعرف فيها الاغريق هوية الهتهم ايلايثويا Iailithyia ، التى أطلقوا اسمها على مدينتها - وقد ارتفعت فى خاتمة المطاف

(١) الكتاب - كانت حاضرة مصر العليا الدينية فى عهد ما قبل التاريخ وظلت إحدى المدن الهامة فى البلاد حتى عهد البطالة - وما زال سور اثناء معابد نخب قائما ويذع على بعد ثلاثة كيلو مترات الى الشمال من محطة المحاميد - (المرجع) .
(٢) الشيخ عبادة .

الى مرتبة آلهة الكون الخالقة بوصفها أم الشمس * وعند
ذاك مثلت بعاتحور وموت ونوت *



١٠ - حرقاف



١١ - ايزيس



١٢ - غنوم



١٣ - غنسو



١٤ - متو



١٥ - مسون



١٦ - نكرتوم



١٧ - نايث



١٨ - نفيت

(الشكل الآلهة والالهات من ١٠ - ١٨)

وكانت تقدم لها عبادة ليس في معبد الوادي ، فسيح
الجنبيات ، الذي مازال الجانب الأعظم من سور فثائه قائما
حتى الآن ، وحسب ، ولكن أيضا في معبد بطلمي حفر نصفه
في الصخر في مدخل الوادي الذي يؤدي الى الصحراء ، وعلى
مسافة أبعد قليلا ، في معبد جميل أقيم في عهد أمنحتب
الثالث * وكذلك كانت تقدم الى تحوت عبادة في الكاب *

وعلى قرابة عشرين كيلومترا هبوطا فى مجرى النهر
من انخاب ، عرفت عبادة كانت تقدم للالهة انوكس (عنت)
ولفزالها فى اير - مرو (١) . ولا شك فى ان مكانها يقع
بالقرب من كومير الحالية .

وابعد قليلا الى الشمال ، عرفت منطلقه اسنا معرب
افضل ، ويرجع ذلك خاصة الى نقوش المعبد الذى مازال بهو
اعمدته من العصر الرومانى ، قانما - وغان يعبد فيه اله
خنوم (شكل ١٢) الذى يتخذ راس كبش كما فى السنين -
ولابد ان عبادته كانت ترجع هنا الى عهد قديم ، لقد حدد
تحتتمس الثالث القرابين التى كان يجب ان تقدم لى بئس
الحفلات الشمائية - ولقد لوحظ مدى قرب الاناشيد
المحفوظة فى النقوش من حيث التفدير والصياغة واللفظ ،
من اناشيد الامبراطورية الحديثة الكبرى التى كانت توجه
الى آمون او بتاح . وكان خنوم هنا ، اكثر من اى مذن اخر
الخزاف الالهى الذى شكل على دولا به ، الانسانية جماما .
وقد صور أحد الحكماء تناقص السكان خلال الثورة التى
أودت بالدولة القديمة ، بهذه العبارات :

« كان ذلك هو الحال : النساء عقيمت ، لم تعد واحدة
منهن تحمل . لقد كف خنوم عن تشكيل الأجنة بسبب حالة
البلاد » . وقد كان عليه لسبب أقوى أن يصوغ الملك - الاله
الصفير فى لحظة مولده . لقد رفعت القوة الخالقة التى
تبث الحياة والتى كان يستحوذ عليها الى مرتبة الاله الذى
يصور الخلق (٢) . وقد كانت طليمة الكبش فيه تعبيرا قويا

(١) كتب اسنا بالمصرية (الكوم الأحمر) ير - مروت ومى كومير التى تقع بين
فيراكوبولس واسنا - (المترجم) .

(٢) *dieu plasmaleur* الله يروانى معناه التكوين والمصوغ أصلا . وأصبح يطلق
على الجزء السائل فى الدم .

وقد جاء نص فى معبد اسنا فيه يشرح واضحه كيف كون خنوم جسم الانسان عطرا
بعد عضو وكيف مزج الدم والنخاع حتى يكون العظم . وكان الدم فى العظم يتصله
حركة قوية . وقد أمد الكائنات التى فى دور التكوين بالنفس (Sauneron, Éna) : «

عن هذه القدرة • غير انه كان يجب شرح الأسباب التي تربطه بالآلهة الشبيهة به في الفنتين وهو ابسليس Hypsels (١) وانطينوى (٢) وهيراكليوبولس (٣) وتمويس Thmouis (٤) وقد شرح علماء اللاهوت ذلك بأنه يمثل المجموع الكلي لأربعة آلهة — كباش • كان يطلق عليها الكباش الأربعة الأحياء ، ولم يكن خنوم الا اله هيراكليوبولس واله ثمويس ومنديس الذى يوزع بذره ، المستخفى عن الآلهة وعن الناس • ولم يكن فى هذا الكفاية وقد اتخذ بنفسه مهمة الخلق بأكملها بوصفه الها أزليا أصبح خنوم — رع :

وقد نسب اليه الزواج من الهة خصب زراعى كان يطلق عليها « نبت وو » أى «سيدة — الاقليم — الخصيب» • ولقد شبهت بالآلهة أرموتس ، الهة الحصاد • وقد نسبت اليهما أبوة حكا الطفل وهو شخصية فيها قدر من الغموض • واننا لا ندرى متى التحقت نايث بخنوم • ولقد اتخذت زوجة خنوم هذه ، فى العصر المتأخر مكان الصدارة ، فى اسنا التى صارت تمثل فى الصعيد ، ما تمثله سايس (صا الحجر) فى الدلتا • وكانت معبودة مصر السفلى العتيقة ذات الحول، فى كل الأزمنة القديمة، أزلية وخالقة • ولم تضم اليها أى اله لأنها كانت تستحوذ على ثنائية جنسية أصيلة • ولا شك فى أن عجالات اسنا اللاهوتية قد نقلت عن

• وكذلك فإن المخلوقات بأجمعها تعلن لك اعترافها بالجميل ، لك بتاح — تانن ، الخالق بين الخافتين ، الذى أوجد فى « اسنا » كل ما هو كائن : ذلك الذى غذى الكائن الصغير داخل بطن أمه الى أن يحين الوقت للانتم • • ولهذا فإنه صاغ البشر وأتى بالآلهة للعالم وصنع الحيوانات سفيرا وكبيرا • وخلق الطيور والأسماك وكل الجنس الزاحف : وجعل الأسماك تلتز ، بأمره ، فى مياه نون ، فى مخرج الكهين حتى تغذى الناس والآلهة ، فى اللحظة المناسبة • وجعل المزروعات تثبت فى وسط الريف وجعل الشواطئ بالأزهار • وأخيرا شق حدودا صفوية فى قلب الجبال وأجبر المتاجم على قلب الحسان التى تحت يها (ترجمة سونيرون) • (المترجم) •

(١) شطب

(٢) الشيع عبادة

(٣) امناسية المدينة

(٤) تمى الامديد

أعمال دينية أصلية في سايس (صسا الحجر) حين شرحت
سيف ان : الآباء ، وهم الآلهات ، البثانن الابهي إلهي بدأ
يدونه في البدء ، كان يوجد داخل المياه الأولى التي خرجت
من تلقاء ذاتها بينما كانت الأرض في ظلمات الأعماق ولم
تدن أية أرض قد ظهرت أو أى نبات قد نما . . . (ترجمة
سونيرون) .

في ذلك الحين كانت تتصور في قلبها عناصر الكون
التي كانت توجد بمجرد تصورها لها . وكانت تسمى في
آن تعدد بوضوح الكائنات ثم تنطق باسمها فتظهر للوجود .
وعلى هذا النحو تلفظت بسبع كلمات خالقة . لقد عملت ،
يادىم دى بدء ، على أن تبرز التل الأول الذي اتخذت فوقه
مكاناً . وكان هذا التل هو أسنا وسائس ، في نفس الوقت .
وبعد ذلك خلقت الشمس ، رع - آمون - خنوم ثم آلهة
هزموبولس الثمانية Ogdoad وفي النهاية ، تحت . وهنا
يجد المرم أفكار خلق الكون السائدة في منف وهليوبوليس
وطيبة ، وقد صيغت لصالح سايس واسنا . وبمجرد أن
تهيء المصادر شيئاً من الوفرة ، توجد نفس النوازع العامة
التي يلحظها المرم في كل مدرسة محلية . وهي الارتقاء
بإله المكان أو الهته إلى مقام الإله الواحد ، فيصبح خالق
العالم والآلهة والناس في نفس الوقت .

إن وجه الغرابة هنا ، هي الأهمية التي اتخذتها نايث
آلهة سايس التي تستعوز لنفسها على المكانة الأولى في أسنا .
ومع هذا ، فإنه ليس مع المؤكد تماماً بأنه كان يوجد أى
تناقض بين خنوم الذي صور الخلق ونايث الخالقة . إن عمل
نايث يتخذ مكانه في الأصل الأسطوري عينه ، بينما يقنوم
خنوم بعد ذلك بذاته بصنع العالم والآلهة والناس . وهكذا
تنظم الفوضى الظاهرة في وسائل الخلق المتباينة هذه ،
والشخصيات الإلهية المختلفة التي ذكرت . ولا شك أن أكثر
علماء اللاهوت دراية ، كانوا يظنون - كما سبق أن أوضحنا

عند دراسة مناهجهم في التعبير أن الحقيقة تستقر في مكان ما ، يقع فيما وراء كل هذه الصور التي حاولوا في عسر شديد تنظيمها حتى مع إبرازهم بعض التناقضات ، مثل ظهور التل الأول في أسنا وسائيس ، في نفس الوقت .

وعلى أية حال ، كانت تايت قد وُطدت قدمها في أسنا في العصر المتأخر ، حتى أن السمكة لاطس . Iates (قشر البياض) (١) ، حيوانها المقدس ، كانت تكرم فيها اعظم مما كان يكرم كبش خنوم وأن الاغريق أطلقوا اسمها على المدينة : لاتوبوليس Latopolis . شاهد اعضاء اللجنة المصرية في عهد بوناپرت في مواجهة أسنا تماما ، على الشاطئ الأيمن ، معبدا يرجع إلى العهد المتأخر خصص للالهة حاتحور . ولو أننا رجعنا إلى البيانات الإيجابية الواردة في نقوش لاتوبوليس ، لما رأينا لهذه العبادة إلا القليل جدا من الصلات بعبادة الالهات العظيمات ، التي كانت تقوم في مواجهتها .

وعلى مسافة لا تبعد كثيرا عن اصفون « مسكن سنفرو » (٢) « المتيق » ، وفي مدينة على الشاطئ تسمى حفات (٣) ، كان يعبد الاله حمن ، وكان يتخذ أحيانا شكلا آدميا وأحيانا أخرى شكلا معنطا كعورس هيراكونبوليس ، وكان له مظهر محارب وتقام له أعياد بحرية تنتهي بمقتل فرس نهر يرمز للشر والعدو . وقد كان له تواصل مع أيزيس ونفتيس التي كان له ابنة منها . ولكن شخصيته لا تزال بمنأى عنا .

(١) لاطس Latas Niloticus سمك في النيل من فصيلة القشور serranidae تعرف له في مصر أسماء كثيرة منها القشر والفرخ وحباب البحر (مجمع الحيوان ، أمين العلوف) - (المترجم) .

(٢) اسم اصفون في اللغة المصرية كاملا هو h(w)t-sntfrw ومعناه قصر سنفرو . وتوجد أمكنة عديدة تحمل اسم سنفرو ثبت أن معظمها يرجع إلى الدولة القديمة .

(٣) حفات - أسمها بر - حقاو (أي بيت الأفعى ، بيت الحفات) . وكتب حفات وحفت الخ . وكانت تقع على شاطئ النيل الأيمن إلى الجنوب من الجبلين دبا عند « الحملة » بين اصفون جنوبا ، وبرحوت غرب Pithynis شمالا .

ولا تتيح لنا الوثائق أن نضفي خصالا معينة على
حاتحور الهة مدينة الجبلين ، وهى باتورس (١) Pathynis
القديمة . وان كانت معارفنا ستزداد عنها فى دندرة ، وقد
كان يعبد على مقربة منها « سبك » بالاشتراك مع « خنوم »
فى مدينة سومنو التى لا نعلم أين تقع على وجه التحقيق فى
المنطقة (٢) .

وتسمح الأناشيد التى يرجع مصدرها الى سومنو عينها
بأن نتبين بعض ملامح شخصية الهها فى شيء من دقة أعظم ،
وإذا فى المصر المتأخر ، دون سواء . ومع هذا فلا بد أن
خصالا ليست بالقليلة كانت أعظم قدما . لقد أصبح ، بادئ
ذى بدء ، حليف أوزيريس وأخذ يغوص فى النهر ليلتقط
منه العناصر المتفرقة من جثمان الاله . وهكذا يتعاون مع
آلهة فريق أوزوريس . ويبتهج الآلهة الآخرون بمحضره
وينحنون أمام الوهيته . وهذا لا يدعو الى الدهشة ، لأنه
دافع عن رع فوق مركبة وأطاح بالمارد أبوفيس الذى يهدد
دون انقطاع بابتلاع الشمس . والأفضل من هذا ، القول
انه رع نفسه . انه يصبح شمساً وينير العالم بأشعته .
ومنذ هذا الحين ، ستوصف أيديته الالهية بتمساح
شمسية : فى كل الأمسيات تبتلعه أمه نوت ويضئ لسكان
الغرب (الموتى) أثناء الليل وبعد استكمال حمله ، يعود
للطلوع فى الصباح . ولقد اتخذ من رع طبيعته الأزلية فهو
الذى ظهر فوق تل البدايات الأولى وجفت الأرض بعد
ظهوره . انه خالق الأرض وكل ما تحمله .

(١) فى أسفل الجبل ، الى الجهة الشمالية يوجد تل هو موضع مدينة عتيقة ، دلة
نقى يرجع للسنة الثانية عشرة من حكم طريان على أنها باتورس ، بر حاتحور أى بيته
حاتحور .

(٢) تقع بين ارمونت والجبلين فى المقاطعة الرابعة واسفر الراى على انها الرزيقات
Gauthier — Dict. Geog. Tome Cinquieme.

وكذلك فقد وهب الثنائية الجنسية ، على غرار عدد معين من الآلهة التي صورت الخلق • ولما كان انحدر عن نون ، فانه هو النيل المخصب الذي يغرق الأرض بفيضه ويجعلها تأتي بنتاج • بل لقد أعلن الها أوجد مرات عديدة •

ويجب أن نصل الى مدينة الطود « طوفيم » القديمة : لنعثر على معبودات توجد عنها وثائق وفيرة ، فهناك نجد أطلال معبد عظيم خصص للاله موننتو • (شكل ١٤) • وقد كان الها في أربع مدائن : الأولى أرمنت واسمها القديم هرمونثيس *Hermonthis* ، وتقع على بعد ما يقرب من خمسة عشر كيلومترا الى الجنوب من طيبة ، على الشاطئ الأيسر والطود التي تواجه أرمنت تماما وطيبة ومدامود ، على مسيرة بضعة كيلومترات شمال الكرنك ، انه رب قديم جدا لهذه المنطقة • وكان حيوانه المقدس الصقر وكان يصور في الكثير الغالب برأس هذا الكاسر • ولم يحدث الا في زمن متأخر ، أن اتخذ أيضا الثور كرمز له • وكان هذا هو الثور الذي عرف - في أرمنت - في المصر الاغريقي باسم بوخيس (١) • وأحيانا كانت صورته تمثل رأس ذلك الحيوان • وكان يربى في حظيرة مقدسة بالقرب من المعبد وكان يشاهده الأوفياء والغريباء ، وكان يمد رفضه أو قبوله الغذاء الذي يهيأ له بمثابة النبوءة ولكن ذلك لم يكن الا تطورا متأخرا لعبادة أكثر قدما •

وفيما يبدو ، لم يكن لموننتو ، أكثر من غيره من آلهة المدن ، تخصص متميز في بداية ألوهيته • ولكن من الراجح أنه بعد الزمن الذي نجح فيه الملوك الذي يطلق عليهم منتوحتب أي أولئك الذي يحملون اسمه ، أن يعيدوا عن طريق الغزو وحدة القطر المزدوج ، قد هذا الها محاربا

(١) اسمه في اللغة المصرية (به) *bh* وترجع مصادره الى العهد المتأخر والعهد

الاغريقي يقابل هيا وهو صتم عبد في الجاهلية - (المترجم) •

يأتى بالتصبر ويحالفه الظفر • ولما كانت لديه ، على الأخص ،
 موهبة الحرب ، فإنه هو الذى يخضع للملك الأقطار
 الأجنبية • انه هو الذى أسرع الى نجدة رمسيس الثانى فى
 لحظات الشدة على أرض معركة قادش ، ولقد سمع فى
 أرمنت ندام ابنه • وقد شبه بالاله المحارب بعن عندما
 نشأت بين المصريين ، فى عهد امبراطوريتهم الآسيوية ، وبين
 الساميين روابط متصلة • وبعد الغزو الآشورى أقيم فى
 مداموه نصب يصور أربعة آلهة بهيئة مونتو برأس ثور ،
 وكل اليها السهر على الدفاع عن الجهات الأربع الأصلية فى
 طيبة ؛ للحيلولة دون انتهاكها مرة أخرى ، وقد صنعت له
 تماثيل من البرونز تمثله فوق الأقواس التسعة - التى ترمز
 الى مجموعة الشعوب المعروفة •



١٩ - بتهيس



٢٠ - اونوريس



٢١ - اوزيريس



٢٢ - اوتو



٢٣ - شاح



٢٤ - ساتيس



٢٥ - سيك



٢٦ - سخمث



٢٧ - سلكيس

(اشكال الآلهة من ١٩ - ٢٧)

ومع هذا ، فقد بقيت ذكرى الزمن الذى كان فيه «به» لجميع انواع النشاط فى المقاطعة • ولقد كان على الدوام يظهر على راس الجماعة الالهية التى تتألف منها حاشية آمون ، تاسوع الكرنك العظيم الذى كان ، فى عهد الدولة الوسطى ، ينتمى اليه ، بادئ ذى بدء فيما يرجع • ولقد كان سيند طيبة • وفى عهد تحوتمس الثالث على الأقل اتخذ الصفات الشمسية باسم مونتو - رع • ولقد آل أمره أيضا ، على مثال اله فقط ، الى أن يتمثل تمثلا تاما بالاله آمون وأن يطلق عليه مونتو - رع • وقد رُبلت له فى العهد الاغريقى الأناشيد التى كانت تتغنى به بوصفه الها خالقاً رحيماً يخلقه • حقا انها كانت تنتهى بأنغام عسكرية تثير ذكرى الوحشية والعنف فى معارك القتال ، ولكن ما نعلمه عن حورس ادفو وخنوم يسمح لنا بأن نفهم كيف جرت الأمور فى مراكز عبادة مونتو •

كان يظهر فى أرمنت وقد أحاطت به معبودتان ، ترجمان ، دون ريب ، الى عهد سحيق القدم : تاننت وايونت اللتان لا نعرف عنهما الا أقل الأشياء ، والأولى تحمل على رأسها ساقى نيات يلتفان فى شكل لولبى ، على هيئة صليب فى أقصى طرفهما الأعلى • ومن الجائز أنهما كانتا معبودتين قديمتين من معبودات الخصوبة فى الريف ويجدهما المرم بالقرب من أرمنت على كتلة من الحجر فى مقدس حاتشبسوت بالكرنك • وعندما أضفيت على مونتو خصائص شمسية ، وبذلت الجهود لممل مقابلة أوثق بين أون - الشمال (هليوبوليس) وأون - الجنوب (أرمنت) ، خلقت للاله زوجة يطلق عليها « شمس - القطر - المزدوج - المؤنثة » رعت تاوى التى شبهت بتاننت • وعند ذاك جاء الاله الابن «حربا رع» الذى صور مولده فى هيكل ميلاد أرمنت ، والمتهم اليوم • وكانت النقوش التى تشرح الصور تنوء بالرمز الفلكى لظهور اله الشمس هذا •

وبقيام الأسرة الثانية عشرة اكتسب آمون (شكل ١) أهمية بالغة في المقاطعة . اننا نتساءل : من اين جاءت هذه الأهمية له ، وقد كان الإله المقمور في قريه طيبه الصغيره في نهاية الدولة القديمة ؟ ونستطيع ان نتبين ذلك مما ورد عنه قديما في نصوص الأهرام . فمما يسترعى النظر انه منذ ذلك العصر البعيد كان اسمه يتبادل ، في صيغة مفايرة ، مع اسم اله فقط « مين » . بل انه في بداية الدولة الوسطى ، يصبح التمييز بين آمون ومين مستحيلا في معبد استراحة (١) سنوسرت الأول بالكرنك ، ومع ان النقوش كانت تستعير في كثير من الأحيان صورة الإله « مين » ، فان اسمه لا يظهر على الإطلاق ويدعى الإله على الدوام آمون . أو آمون - رع . وتشير هذه التسمية الأخيرة الى حدوث امتزاج منذ نهاية الدولة القديمة . وفي الواقع ، يقرأ المرء على ظهر تمثال صغير من الحجر الصلب ، عثر عليه في الكرنك في آخر القرن الماضي ، أسما الملك بيبي الأول يتبعها ذكر « المحبوب من آمون - رع ، سيد طيبة » . ومن الجائز ان الملك وقد أراد كذلك أن يستحوذ لنفسه على الانتساب لآلهة مصر العليا ، عند الى تشبيه آمون بأبيه رع . وكان من شأن العملية أن تكون أعظم يسرا بما أن اسم الإله يطابق الأصل المصري « امح » خفى . وكان هذا « الإله الخفى » يمكن أن يتجلى في كثير من الأشكال ، شكل رع على الأخص أو شكل « مين » .

وعلى أية حال فاننا نجهل المعنى الأول لاسمه . ولقد قوبل باللفظ البربرى أمان ومعناه مأم (٢) . ويمكن أن يعزز هذا التقريب ارتباط أحد حيوانات آمون المقدسة وهو الكبش - على ما يبدو - بعبادات الخصوبة في

(١) - المكان المد للراحة ، أو هو جوسق يعد في طريق موكب عيد تودع به الأمراء

المقدسة - (المترجم) .

(٢) هذا مجرد تشابه صوتي وأحيل القارئ الى التعليق الوارد في آخر الكتاب .

(المترجم) .

الصحراء • ومع أنه لا يوجد لدينا الا القليل من المعلومات القديمة عن آمون ، فإنه يتجلى بجميع خصائص قدرة الهية تاصلت جذورها تماما في رخن صغير من الارض هو — دون ريب — الكرنك الحالي ، حيث يحتمل ان يكون قد ولد وزير آخر الملوك المسماة منتوحتب • ولقد استولى هذا الوزير الذي يدعى امنميس (امنمحات) على الملك وقام بتأسيس الأسرة الثانية عشرة • وعند ذاك ازدهر حظ آمون • وبعد أن أصبح اله الامبراطورية ، لم يتوقف تزايد هيئته : انها حقيقة واقعة ان علماء اللاهوت في طيبة قد كشفوا عن قدرة رائعة في وضع النظريات • لقد امكنهم ان يستغلوا تماما الخاصية التي يهيؤها اسمه : « الخفى » • وتعرفوا هويته في اعظم الآلهة قدرة في جماعة الآلهة المصرية : وأفادوا من أفكار هرموبوليس عن خلق العالم وبما أن واحدا من أعضاء الآلهة الثمانية Ogdoad في هرموبوليس كان يحمل نفس اسمه فقد جعلوا منه الها أزليا •

ومع هذا ، لم يمنعه ذلك من أن يرتبط — على غرار جميع الآلهة المحلية — بجيرانه ليكون معهما ثالثا • وقد كانت هناك الهة كان حيوانها المقدس المقاب وهي موت (شكل ١٥) ، ولعلها « الأم » النموذجية ، كانت تقيم في مكان قريب جدا ، تحيط به من ثلاث جهات بحيرة لها شكل شبه دائري وتسمى أشيرو Achéron (١) • وقد عدت موت قرينته ونسب لهما ابن هو خنسو (شكل ١٣) الذي كانت شخصيته مزدوجة ، على الأقل في العصر المتأخر : « خنسو — في طيبة — نفرحتب » و « خنسو — الذي — يحكم — في — طيبة » •

(١) لما لفظ اشرو الذي جاء في النصوص المصرية فهو اسم البحيرة التي كانت تقع الى الجنوب من معبد آمون بالكرنك والخلق على الهى الذى اقيم بالقرب من تلك البحيرة والذي كان يحوى معبد موت — (المترجم) •

سنمود لنتحدث في اطناب ، عن آمون اله الامبراطورية
عن علم لاهوته المعروف لنا معرفة جيدة من وتائق عديده .
وتوجد ، فضلا عن هذا ، مشكلات عامة جدا تتصل بالديانة
المصرية . ويكفى أن نوضح ، في هذه الاونة ، أن هذا الاله
الذى قدر له أعظم مصير ، تتعمق أصوله تماما ، كالكثير من
الآلهة غيره ، في التربة المحلية التى استمد منها المجد ملوك
حملوا اسمه وعبقريه علماء لاهوت أوتوا القدرة على تعميق
طبيعته .

ولكن طبيعة كانت زاخرة أيضا بكثير من الآلهة غيره .
ومنهم حاتحور (شكل ٨) وأنوبيس (شكل ٣) اللذان عبدا
في مدرج الدير البحرى ، وأوكل اليهما الجبانة . وكانت
حاتحور تتقبل عبادة على مسافة أبعد الى الجنوب فى
« موطن الحق » ، أى دير المدينة الحالى حيث كان يعيش ،
فى عزلة ، عمال الجبانة الملكية . وكان الجبل يرتفع فوق
وادى الملوك ، بما يدعو للدهشة ، وهو يتخذ شكل هرم .
وكانت تقيم به الهة يطلق عليها أحيانا « القمة » وأحيانا
أخرى « سجر » (تلك التى تحب السكون) وهو اسم أجيد
اختياره ، بصفة خاصة ، ليطلق على الهة موتى . وكانت لها
أيضا مغارة تقدم لها فيها القرابين وتقع فى منتصف الطريق
بين دير المدينة ووادى الملكات . وكان خنوم ومعبودات
الشلال تستحوذ كذلك على معبد الشاطئ الغربى ، فى
الأسرة التاسعة عشرة .

وإذا أضفنا الى هذا أنه كان يوجد ، داخل فناء معبد
آمون فى الكرنك ، ذاته ، معبد لبتاح ، ومعبد لأوزيريس
حسب الباب الشرقى ، كما أقيم فى عهد متأخر على مقربة
من الباب الجنوبي معبد فيه أنجبت الآلهة أوبت - نوت
أوزيريس ، وقد تجمعت لدينا معلومات فى تلك المنطقة
ندرك منها الى أى مدى كانت العبادات المحلية وفيرة ومتباينة
فى مصر .

والى الشمال من طيبة ، فى قفط ، كان يسود انه غريب : وكان يصور مرتديا ثوبا شديدا الالتصاق بجسده ، رافعا بيده اليمنى التى كان يدعها تمر فوق كتفه سوطا دون أن يقبض عليه حقيقة . وكان عضبوه « منتصبا » وفى معظم الاحيان تتخذ بشرته اللون الأسود وهو ما يمثل رمز الخصوبة اكثر مما يمثل اللون الحقيقى للشخص . وقد ساد « مين » فى الواقع فى كل انوادى النصاروى الذى يطلق عليه « وادى الحمامات » وكثيرا ما ربطت النصوص بينه وبين اقليم الجنوب . والى الخلف من صورته يوجد فى الكثير الغالب ، كوخ القش الذى كان يستخدم فى الاصل معبدا له . ولأجله يزحف الزنوج وقد غرسوا ريشة فى شعرهم ، فى اتجاه سارية اقيمت . وكذلك ذهب الظن الى انه يرجع الى اصل اجنبى ، أفريقى دون ريب . وليس مستحيلا أن يكون قد جاء عن طريق قفط ، لانها منتهى طريق البحر الأحمر ، عند النيل . وتكن يبدو أن اصل « مين » يرجع الى أخميم التى تقع على مسافة ابعد الى الشمال . ولقد طابق الاغريق بينه وبين الهم « بان » . وكان يقدم له خس مصر عظيم الحجم الذى يعد مصدرا للقوة الجنسية . ولقد استمار منه جاره آمون صورته وشخصيته أيضا . وقد ارتفع « مين » - فى مقابل ذلك - الى مرتبة الاله الأزلى والخالق ، مما كان يتلاءم مع الرمز الانهى للخصب . وقد عدت ايزيس زوجة له كما عد حورس ابنا له . وكانا يظهران أحيانا معه فى النقوش العديدة التى تركتها فى جميع المصور ، البعثات التى كانت تذهب الى وادى الحمامات بحثا عن حجر « بن » (١) .

وفى مدينة قوص الحالية ، التى تتبع نفس المقاطعة ، ولكنها أقل أهمية ، كان يعبد حورس والهة تدعى حكمت . ومع هذا فقد كانت العبادة العظيمة الأخرى المجاورة ، عبادة ست (شكل ٢٨) . وكان الاغريق يطلقون اسما

« أصقاع تيفون » على اقليم نبت أو أمبس الذى ولد فيه ست والذى يقع بالقرب من كوم بلال الحالى . ولقد كان فى العصور البعيدة الها كغيره من الآلهة على الرغم من معاركه التى خاضها ضد حورس وكان كذلك يقوم بدور فى الأساطير الشمسية وفى حماية الملك . ثم شبه بالشر عينه وأخذ ينحى جانبا مع تزايد أهمية عبادة أوزيريس الى حد أننا لا نعرفه معرفة جيدة .



ويقص جوفنال Juvenal (١) أن فى زمنه تقاتل أهل أمبس مع أهل دندرة ، جيرانهم فى الشمال ، وأنهم صراعهم بالتهام لحوم البشر . ألم ينسب أعداء أشياع ست اليهم جرائم شنيعة جميعها اللاتينى الساخر دون نقد واف ؟

★★★

وبمواصلة الابحار هبوطا فى النهر ، نصل الى دندرة تنتورس Tentyris القديمة . وهذا تعبير مصرى معناه « المنتمى للآلهة » . وقد كانت تلحق هذه الصفة فى الواقع باسم المدينة ، وهو أون ، لتمييزها عن المدينتين اللتين تحملان نفس الاسم ، هليوبوليس وهرمونثس . ولقد كانت حاضرة مقاطعة ، ظل اسمها يكتب خلال زمن طويل ، برمز

(١) Juvenal : شاعر ساخر لاتينى ولد فى اكويتم حوالى عام ٤٧ م .
وتولى حوالى عام ١٢٥ . وقد وجه سخرته اللينة قوة وزراية ضد مساوئ روما .
وقصيدة الخامسة عشرة عن مصر وفيها يحدد صنوف الآلهة من حيوان ونبات وروح مجانة عظيمة - (المترجم) .

تمساح يحمل ريشة وكانت هذه وسيلة للدلالة على أنها كانت مقدسة • وكان يقرأ «يك» أو شيء يقرب من هذا وقد عرفت أمثلة نادرة لاله تمساح تطلق عليه تسمية كهذه في أماكن أخرى ، ولشعار مقاطعة دندرة ولاسمها أيضا تاريخ شديد الغرابة يبين الى أى حد كان يمكن أن تختلط فيه المنازعات اللاهوتية والتنظيم الإداري في مصر القديمة • فان سبك الذى كان جزءا من تأسوع أمون في الكرنك ، قد ظهر بهذه الصفة في دندرة حتى عهد الاسرات الوطنية الأخيرة بينما تقص إحدى المجالات التي يحتمل أن تكون قد كتبت بعد ذلك أن سبك هو ست في دندرة وهذا يعنى أنه كان يطارد بلا شفقة في مقاطعة أوزيرية ، ومع هذا فإنه لم يحدث الا في عهد البطالة أن هُشمت صورته التي كانت نادرة واستبدلت بها صور آلهة أخرى • ولقد وصل الأمر الى إعادة تسمية المقاطعة « اتدى » الذى استعير من اسم المعبد الذى ولدت فيه ايزيس. في اليوم الرابع من أيام النسيء ويوجد ذلك المقدس الذى اُشار اليه استرابون ، الى الجنوب تماما من معبد حاتحور •

كانت حاتحور ، فى الوقت ، (شكل ٨) الهة دندرة فى كل العصور القديمة • ونحن نعلم أنها كانت تمجد فيها منذ الدولة القديمة ولقد خصص لها الملك بيبى الاول آثارا تذكارية عديدة : منها تمثال صغير لها من الحجر الجيري الصلب كان يمثله بكساء عيد « سد » ، وتمثال آخر أثنى كثيرا منه ، لأنه من الذهب يصوره راكما وهو يتهبأ لتقديم صورة ابنه الموسيقى « احي » للالهة • لقد كانت معبودة قديمة جدا يجدها المرم فى عهد ما قبل التاريخ ويرد ذكرها فى نصوص الأهرام • وكانت قد هُدت توصف بمبارة « تلك التي تنتمى لدندرة » ويحاول الملك المتوفى أن يصل الى المنطقة السماوية التي تقطن بها • أولم يكن اسمها يعنى « مسكن - حورس » الصقر الذى يحوم فى أبعد مناطق السموات ؟ لقد كانت أيضا بقرة السماء ، المعبودة الكونية

المظيمة ، التي تلد الشمس . وعلى الرغم من غموض
الأسطورة . لأنه لا يوجد لدينا أى قصة متصلة لها ، فقد
سمحت للشمس أن تطلع ، فى ظروف أخرى ، من بين قرنيها .
وقد أعيرت هذه القصة بعد ذلك الى نايث أو الى البقرة
« مثير » ، الفيض العظيم ، وهو خلق لاهوتى خالص .
وتشهد هذه الدلائل القليلة على أنه ، منذ أقدم الوثائق
الدينية ، وجد عمل لاهوتى كان قد وصل الى تقدم عظيم .
وهو ما يدعونا الى الحذر فى أن نتصور اكتشاف علامة
عصور أكثر حداثة حين نلتقى ببعض الدقائق أو التعميدات
اللاهوتية . بل ان الكثير من خصال الآلهة ، التي تحددها لنا ،
فى دقة ، نقوش المعبد الاغريقى - الرومانى ، ترجع الى
أقدم العصور .

فقد شبهها كتاب النواويس بالالهات الأجنبيةات :
« أليست » سيدة بيلوس » ، تلك الآلهة « بعلات » السامية
كتلك التي تسكن سراييط الخادم ، على مقربة من مناجم
الفروز فى شبه جزيرة سيناء و « سيدة بونت » على ساحل
الصومال القصى ؟ فضلا عن هذا ، فقد كانت على الدوام
المعبودة الكونية المظيمة المرتبطة برع . ان الأسباب التي
تربطها بالشمس كانت موضوع أسطورة أتاحت لنا المعابد
التي أقيمت فى العهد المتأخر الى جانب نص أدبى جميل
مكتوب بالديموطيقية أن نميد تشكيلها . كان رع مازال
يعيش على الأرض ويتولى بنفسه حكم البشرية . ولكن ابنته
حاتحور - تفنوت لم تكن تقيم الى جواره فى مصر . بل كانت
تقطن صحارى النوبة الشرقية فى صورة لبوة متوحشة
ومخيفة تقذف عيناها النار وتلتهم لحم أعدائها ودمهم .
ويرغب « رع » فى أن يحضرها اليه ، وذلك دون ريب لأنها
ابنته ولأنه يحبها وكذلك ليجعلها حامية له وقد كان عليما
بقدرتها . ويفهد بمهمة حملها على العودة الى الالهين « شو
وتحتوت » . وكان أولهما ، بصفة خاصة ، مخلصا لرع وكان
يحب اخته تفنوت التي كان يجب أن تصبح زوجته .

وكان تحوت سيد كل سحر وكل كلمة مؤثرة ، قادرا على تهدئة غضب الالهة واستئناسها - ولقد أخذ الاثنان سبيلهما الى قطر بسوجم (١) البعيد حيث تقيم وتحولا الى فردين للوصول اليه - وكان أحد مواضيع حديثهما الكمال الذي بلغته مصر ، بلد ريع والنيل الذي يجتازها والحقول المزروعة يانعة الخضرة والقرى والمدائن التي تجعل منها بلدا منظما - وإذا قدمت اليها ، فستشيد لها المعابد وستقدم لها كل يوم الغزلان والطيائل والطيوس التي تعودت عليها - وسيضاف اليها النبيذ الذي يجلب النشوة ويطرد وساوس القلب - ولن تنقطع الموسيقى والأناشيد وأنواع الرقص فى ساحات أبوابها - ويرفق تحوت الحركة بالقول ويقدم لها اناء النبيذ للمرة الأولى ويضيف اليه الصيغ السحرية -

ولم يكن فى استطاعة الالهة مقاومة مغريات الرسلين الالهيين ، المتضافرة - ويتألف موكب بهيج : من قسود وأقزام غريبة مضحكة ، ويصحبه بس وحيتى وهما يمزقان على القيثارة والمود - - ويصير شو نفسه بوسيقيا ولا يكف تحوت عن أن يصف فى الفاظ ساحرة « البلد - المحبوبة » ، التى يتجهون اليها - وفى البداية يصلون الى فيلة حيث تقوم باستقبال الالهة التى عادت راضية ، سيدات توجن رموسهن بالأزهار وأخذن يحتفلن بمقدمها على صوت المصلصات والطبول وهن يفتنن ويرقصن ، وقد انضم اليهن كهنة يمزفون القيثارة ويحملون على ظهورهم غزلانا ويقدمون أوانى النبيذ وباقات الأزهار والمر وتيجان الورد - وتصبح اللبوة المتوحشة حقا وقد طهرها الماء المقدس الهة الحب : محيا.

(١) قطر بوجم أو بوكم - اختلف علماء الآثار فى موقعه فذكر أحدهم (بروجش) انه يوجد الى الشرق من مدينة الكاب ، بين النيل والبحر الأحمر ويقرر بونكر انه فى جهة أبعد كثيرا الى الجنوب اما سكاپرلى Schiaparelli فيقول انه يوجد فى السودان ، إقليم بورت - ويضيف (جوتيه) الى هذا انه يذكر مرارا عديدة مرتها مع بورت وبلاد الالهة (بلاد العرب) - (المترجم) -

جميل ، شعر تنتظمه عقائص عظيمة وعيشان تلمعان
وصندر نافر .

ثم تستمر الرحلة وتستقبلها اذرع مبسوطة فى كوم امبو
وادفو واسنا وعلى الاخص فى دندرة ، مدينتها : وهى « مقر
القلب » و « أمكنة تفنوت » و « الموضع الذى تحبه تمنوت »
الذى قال عنه تحوت : « ان البهجة تسوده وفيه يقدم لها
النبيد ، دون انقطاع ، قبل اية الهة أخرى . ولقد تبتهار
فى جبينه مثل الحية يوراييس (١) لتدافع عنه . وقد غدت
آلهة الحب ، مع احتفاظها الدائم بالجانب العنيف فى
شخصيتها وهو الذى جعل منها اللبوة المتعطشة للدم . انها
تمثل « باستت » الوادعة تماما ولكنها فى لحظة يمكن أن
تتحول الى « سخمت » الرهيبة التى يتبعها ركب الكوارث .
وقد عبرت الأسطورة عن طبيعة الحب المزدوجة ، الخالقة
والمدمرة على التناوب بطريقة رائعة فى هذه المظاهر
التكميلية للآلهة التى تحاول الأسطورة شرحها . ولقد امتدت
عبادتها الى كل المدائن التى استقبلتها فى مثل تلك البهجة
والتي كانت تقيم الاحتفال بعيد « لقد أعيدت » .

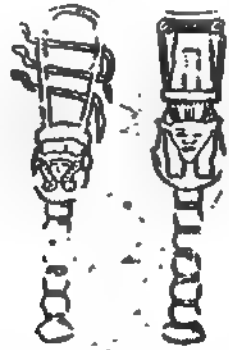
ثم أصبحت الهة الحب ، الى حد جعل الاغريق يطلقون
عليها افروديت . وهو الاسم الذى يشار اليها به فى النقش
الاغريقى المحفور على دائرة الكورنيش فى واجهة معبدها
العظيم . ألم تكن « الجميلة » و « سيدة الحب والبهجة ؟ »
وقد أطلق عليها فى نوع من الأوراد ، سيدة الموسيقى ،
سيدة أغنية الجوقة ، سيدة المديح ، سيدة الفرح (دور)
سيدة رقص الباليه وسيدة الطرب . ومعلمة الرقص . وقد
كانت أيضا سيدة النشوة التى يشمل المرء من أجلها ، ومن
الجلي أن هذه كانت وسيلة للاتصال بها ، وبالإضافة الى ذلك
كان يحتفل لأجلها بعيد النشوة المهيبة ، طوال خمسة أيام
فى شهر توت أول شهور السنة المصرية .

(١) المصيفة اليونانية للفظ icyt الذى يقابل عرتن فى اللغة العربية وهى حية

عظيمة ، تاكل الحيات كما جاء فى المراجع العربية - (المترجم) .

وكان أحد الأشياء الأساسية المقدسة التي تصاحبها
 حдон انقطاع في دندرة أنية النبيذ ولكن كان يوجد أيضا
 التاج والساعة المائية والمصلصلتان (شكل ٣١ و ٣٢) ،
 وأواني اللبن ورمز معقد كان يعبر عن قدرة الالهة الكونية،
 وهيكل الميلاد والصرح ، وأخيرا العقد « منات » الذي كان
 يرمز كذلك للحياة . وكانت تتمثل ، فضلا عن هذا ، في
 « منات » والمصلصلات وكانت هي التي تستقبل الكهنة وتقوم
 بأعدادهم للبهجة الضرورية للدنو منها في الأعمدة المصلصلة،
 في يهو الأعمدة . وكانت تمثل في قمته رأس حاتحور
 عيناها .

ومن الشعر المستعار الثقيل ، كانت تبرز أذنا بقرة ،
 ذكرى الشكل الحيواني الذي كانت تضيفه عليها الأسطورة
 القديمة . وفوق الوجه المتألق كانت تستوى المصلصلة
 « سشات » (شكل ٣٢) التي كانت تبعد الحزن والألم بأقل
 حفيف . ومن هذه الآلة التي كان يمكن أن تكون الالهة
 عيناها ، توجد نماذج قديمة جدا .



شكل ٣١ و ٣٢ - المصلصلة - سخم والمصلصلة مشات في دندرة

ولكن بما أن أفروديت الاغريقية كان يمكن أن تكون
 أيضا الالهة كونية ذات جاذبية شاملة والهة خالقة ، فان
 حاتحور حافظت من البقرة السماوية ، التي كانت في
 البدايات الأولى ، على قدرتها الأزلية . لقد كانت خالقة ،

ليس فقط لأنها كانت تجعل النبات ينمو، بدلا عن ارمونس،
 آلهة الحصاد، ولكن لأنهم جعلوا منها بسبب اسم «الأم»
 (تمت) الشطر الانثوي المقابل لأتوم (تم)، الخيالق.
 ولأن جوفها يحوى مكان الجميل الأبدى لشمس الليل الخفى
 كانت تمود وتولد، صغيرة وجديدة، كل صباح. لقد كانت
 فريدة. وقامت يخلق كل الكائنات وعبي الأخص الآلهة
 والبشر، ولهذا لا يدهش المرء عندما يجدها آلهة - شمسية
 معادلة أنثوية لرع.

وهي تشبه ايزيس، التى تسود معها فى دندرة، حتى
 انها فى أكثر من نقش تستعير من ايزيس عبادة.
 كان من العبادة ان تجيء فى النصوص خاصة بزوج
 اوزيريس: لقد جاءت للوجود فى «أبدى» فى نهار ليلة.
 «الطفل فى مهده» وكان لها كإيزيس عديد من الأسماء.
 وكذلك، أعطيت لها فى الاعتبار العليا لبهو الأعمدة فى معبد
 ادفو، السيادة على ثلاثمائة وستين بلدة فى مصر. ومنبذ
 عهد الامبراطورية الحديثة، أدمج الاعتقاد الشعبى بسبع
 الهات حانحور سبع جنيات فاعلات خير، كان يظن انها تعدد
 مصير الأطفال عند مولدهم. ولقد عينت لها مدائن فى مصر
 عرفت بالعبادة التى كانت تقدمها للآلهة، ولكن فى داخل
 هياكل الميلاذ، حيث يجدها المرم مرارا عديدة، لا تتطابق
 القوائيم مما يدعو الى الظن بأنها آراء جاءت فى حقبة
 متأخرة. ويشهد انتشار هذه العبادة على ما كانت تستحوذ
 عليه «ذهب الآلهة» من تقدير. وعندما نجدها فى
 «القوسية» أو فى «هيراكليوبوليس» فاننا لا نجد
 لاهوتها، كما أن الخصائص المحلية التى تتميز بعبادتها
 تظل فى معظم الأحيان غير معروفة لنا.

لقد كون لها فى دندرة منذ القدم ثلاث مع حورس
 بوصفه زوجا و «أخى» بوصفه ابنا. وكان لحورس معبد
 صغير بالقرب من معبد آلهة المكان. وقد خصص «أخى» بنام

هو أبيهاد أعظم في أقصى الطرف الشرقي للمدينة القديمة .
ولم يتبق منه إلا باب خارجي هائل الحجم - وفي « خادت »
وفي الجانب الآخر من النيل ، كان يعبد حورس - جامع
شمل - القطر المزدوج ، جرسماقوى الذى كان يقوم بيهور
عظيم فى دندرة والذى كانت تقوم حاتحور أحيانا .
بزيارته .

وإذا كنا قد تحدثنا الآن فى إيجاز حتى هريوبولس ،
فلنرجع هذا الى أن عبادات أو ديانات مقاطعات مصر
العليا من المقاطعة السابعة الى المقاطعة الخامسة عشرة أقل
تشويقا - بل ان السبب الوحيد لذلك هو فقر وثائقها
باستثناء الاله «مين» الذى صادفناه فى قفط ، و «أوزيريس»
الذى نحتفظ به للدلتا .

وبالقرب من مدينة « هو » التى كان يطلق عليها قديما
ديوسبولس پارفا ، كانت تعبد فى باطيو الالهة باط التى
كان يرمز اليها فى العصور البدائية برأس آدمى تبرز منه
أذنا بقرة يعلوهما قرنان يلتوى طرفاهما للداخل (شكل
٣٣) . ولما كانت شخصية باط قد طغت عليها شخصية
جارتها القوية حاتحور فقد حول هذا الرمز ، فى الدولة
الوسطى ، الى المصلصلة سشات (شكل ٣٢) . ومن المؤكد
أن الها باسم سبك كان يمد أيضا فى نفس المكان . ولكن
ليس من المعروف أنه كانت توجد أية رابطة بينه وبين
الالهة .



شكل ٣٣ - رمز الالهة باط

وعلى مسافة أبعد إلى الشمال ، اجتذبت مدينة أبيدوس إليها شيئا فشيئا كل انتباه . ومع هذا ، فإن أهم دور كان يلعب في القديم هو الذي كانت تلعبه مدينة « ثيس » (طينة) التي أعطت اسمها إلى أول أسرتين مصريتين . وكان إله الذي يعبد فيها « أنورس » (شكل ٢٠) الذي يضع على رأسه ريشا ويحمل الرمح . وقد أتاح اسمه للمصريين الذي فسروه بأنه : « ذاك - الذي - يحضر - من تكون - بعيدة » بأن يلحقوه بأمطورة عين حورس ، التي انتزعت من صاحبها والتي دعت الحال إلى البحث عنها . كما أنهم شبهوه تشبيها آخر ارتفع به إلى مرتبة الآلهة التي اشتركت في البحث عن عين رع ، وهي الآلهة القصية « حاتحور - تفتوت » . ولم يكن أنورس حينذاك إلا أحد أشكال « شو » . ولكن هذه التطورات التي ترجع إلى زمن متأخر ، على نحو ما ، لا يجب أن تلقى في مدرجة النسيان الإله القديم الذي كان له شأن عظيم في الدولتين القديمة والوسطى بما أن كثيرا من الناس كانوا يحملون اسمه ، لقد كان محاربا قام بحماية رع من دسائس الثنين أبوفيس واتخذ جانب حورس في صراعه مع ست . وفي الأسرة الثامنة عشرة غدا لها كونييا ، آزليا وخالقا . واتخذ شريكة له الآلهة « محيت » التي نجدها تتجسد في لبوة مما دعا إلى تمثيلها « بتفتوت » .

ولكن عندما حل أوزيريس (شكل ٢١) محل الإله « خنتي امنتيو » (ذاك الذي - يرأس - سكان الغرب) الذي يرجع إلى زمن سحيق القدم ، كاله جنازى في أبيدوس فإن شهرته طفت ، شيئا فشيئا على جميع معبودات المقاطعة ، الأخرى . لقد كان لكل ملك من ملوك الأسرتين الأوليين فيما يبدو ، ضريحان : واحد في سقارة والآخر في أبيدوس على سفح المرتفعات الليبية ، في مكان يطلق عليه اليوم « أم العقاب » . وكان من المعتقد منذ حفائر « اميلينو » Amélineau أن المصريين ظنوا أن قبر الإلهم أوزيريس يقع

بقى أعظمها جمالا - حتى اليوم في حالة من الصون عجيبة .
 وهو معبد سبتي الأول الذي الحق به معبد « الأوزيريون » .
 Osirion (١) . وكان المعبد الكبير يشتمل على سبعة
 مقاديس ، خصصت للملك نفسه ثم لبيتاح (شكل ٢٣) .
 وجوراختي (شكل ٦) وأمون (شكل ١) وأوزيرس
 وإيزيس وجورس .

ولما كان الموطن الأصلي لأوزيريس وإيزيس ، على وجه
 اليقين ، هو الدلتا ، فإننا سنجد اليهما في المدينتين اللتين
 تمثلان موطنهما الأصلي .

وفي أخميم الحالية التي كان الاغريق يطلقون عليها
 « بانوبولس » (٢) ، كان الاله « مين » يسود منذ أمد
 العصور القديمة . وانا لنجد هنا نفس الخصائص التي
 تميزه في قفت . ولكن الاغريق جعلوه أيضا معادلا لالههم
 « برسي » Persée أولا لسبب تشابه لفظي بين اسمه ونعت
 « الساهر » (فورسيوس) الذي كان المصريون يصفونه به ،
 ثم دون شك بسبب المصدر الشرقي لأسطورة « برسي » .
 واندروميد Andromède (٣) اللذين يمثلان ، كما يبدو ، بمل
 وعشتار . وكانت « عبرت - اريس » Aperet-Isis قرينة لاله
 الخصب .

(١) يقع قبر أوزيرس (الأوزيريون) على بعد ثمانية أمطار الى الغرب من الحائط
 الخلفي للمعبد العظيم وعلى محوره على التقريب . وقد كشف عنه عام ١٩٠٢ .

وكان في الواقع معبدا جنازيا رمزيا لسبتي الأول إقامة سبتي وأجهزه مرتبات ونقشت
 فيه نصوص جنازية من كتاب الموتى . وكانت تؤدي فيه - في مياه هوفس تحت سطح
 الأرض - الشعائر الخفية التي تمثل مسيرة أوزيريس مع اللهب في العالم السفلي ليلا .
 (المترجم)

(٢) أي مدينة الاله بان المعادل لمين .

(٣) أسطورة برسي واندروميد .

قيل في الأساطير أن الاله أرسلت برسي Persée لقطع رأس الهيدرة Méduse
 من الأخوات الثلاث جورجون Gorgone اللواتي خربن للمعول والقين الرب في الناس .
 وجاء في أسطورة أن قيامه بالهمة كان اعترافا بجميل بوليديكت Polydecte =

وكان يطلق عليها ، على وجه عام ، اسم طريفس *Triphis* (١) الذى يدل على تمثال سيدة ذات مكانة ، وكان لها أيضا معبد على الشاطئ الأيسر للنهر لا يبعد كثيرا عن الدير الأبيض ذائع الصيت . وفى عصر الملوك المقدونيين ، الحق بهما الطفل - كولنيكس *Kolanthès-l'enfant* ليتألف من الثلاثة ثالوث .

وعلى الشاطئ الأيمن ، تمثل قرية « قاو الكبير » المدينة القديمة تبو (كبو) *Tejébou* (٢) التى سماها الاغريق انتيوبولس . ولقد دعا تشابه بين اسم المعبودة واسم المارد انتية *Antée* ، فى الواقع ، الى تماثلهما .

= ملك جزيرة سريف *Sérîphe* الذى آواه هو وامه داناي *Danae* بعد ان القى اكريز *Acrise* ملك ارجوس بها فى البئر خشية من تحقق نبوءة مهيبت الوسى من ان حفيده سيلقى عليه رجل عرشه . وكان عليه ان يذهب الى اقصى العالم وتمكن بمعاونة الآلهة وبالصيلة من قطع رأس المينوتو وقدمها لمنزلها ، الذى تحمل صورتها منذ ذلك الحين على قوسها . وبعد هذا النجاح الرائع وصل الى بلاد القبرق يلتصق فترة من الراحة فى مملكة اثيوبيا . وقد أتته اندروميد *Andromède* ابنة ملك ومملكة اثيوبيا الجميلة اذ ان ثيتون اله البحر كان له حكم يرباطها بسلاسل من حديد فوق صخرة اتهمت على امواج صاخبة لكى يذل كبرياءها - (المترجم) .

(١) كان يبعد فى بانوبولس [مدينة الاله بان (من) - اخميم] الالهة طريفس قرية بان واسمها هو الصيغة الاغريقية للالهة عبرت - ازيوس . وقيل لانه فيما يبدو كان اسمها البدائى عبرت ويحبب عدم الخلط بينها وبين ابيزيس لانهما ذكرا على حدة فى كثير من النواضع . وغطاء الرأس الذى تتميز به هو قرص الشمس وقربا بقرية وهو ما يحمل منها صيغة محلية لحاتحور (جوتييه) .

(٢) كتب اسمها باللغة المصرية وجاء فى اللغة القبطية *TKWOY* و *TKOoy* يقول جاردنر : فى بداية القرن التاسع عشر كانت تمثل قرية قاو الكبير الواقعة على الضفة النيل اليسرى التى تضم ميديا جيلا يرجع الى عهد البطالة . وقد سجلت أحجار للمعبود الى مدينة مسبوطة لبناء قصر واجتاحت للنيل القرية وحل محلها على حافة الصحراء قرية العشمانية الحالية . ويؤيد القول ان تيبو وقاو الكبير وانتيوبولس اسماء مترادفة ان الاله عنتوى الذى يتناول *Antaeus* وجد اسمه على كثير من الآثار التى عثر عليها فى النرويج ولست فى بعضها بسيد تيبو . وكان يقال ان عنتوى هو احدى صور ست - تيفون وفى لوح فى متحف شيكاغو جاءت عبارة ست المظفر سيد تيبو . وعلى هذا تعرف الاغريق عنتوى فى الهمم *Antaeus* الذى مصوره ماردا ليبييا ذبحه جرجل ليجرد تشابه لقتل ولدا فان وصف عنتوى بست - تيفون يبين تشابها بين الاسطورتين : المصرية والاغريقية - (المترجم) .

وفي تلك المدينة ، كان المصريون يقدمون نوعا من العبادة الى طائرتين من الدواجر هما عنتوى Antywey وكانا صغيرين يمثلان حورس وست وقد عقد الصلح بينهما . ولكن يلاحظ أن قرينة الاله الناجم عن هذا الامتزاج كانت تفتس . وعلى هذا فقد كان ست (شكل ٢٨) ، أساما ، هو اله تبو (كبو) Tjebou الرهيب . ولذا ، لم يكن تشابه انتية Antée المارد الليبي الذي هزمه هرقل مع ست تشابها لفظيا خالصا . وفي أمكنة ، لاريب قريبة ، كان يقدم التكريم لسبك وحاجوز .

وكان ست كذلك هو الذي يسود في « شاس - حتب » وهي هوبلس عند الاغريق وشطب الحالية . ولكن يدور في خلد المرم أن ذلك الشخص المقصود كان دون انقطاع هدفا لمطاردات أتباع أوزيريس ، الذين كان يتزايد عددهم في اطراد واتخذت العدة لوضعه في الظل واحلال غيره من الآلهة تحت الأضواء وكانوا دون ريب أقل قدما . وهنا ، قدر لخنوم أن يبلغ الذروة شيئا فشيئا .

وفي المنطقة التي تقع جنوبي أسيوط ، كانت توجد حاتحور في مجد medijed (١) وانتي nty ، أحد مدلولات ست في بيانتي piānty . وكانت تصاحبه الهة ، لبوة ، هي ماتت matyt .

ان مدينة أسيوط التي احتفظت بما كان لها من اسم وأهمية في المصور المتيقة ، كان يطلق عليها الاغريق اسم لوكوبوليس . وفي الواقع ، كانت قد اتخذت بدل الذئب ، ابن أوى أو هجينا بين اين أوى والكلب المستأنس الذي كان يمثل الاله أوفويس (دب واوات) ، فاتح الطرق . ان صورته توجد على الدوام فوق اللافتات الحامية التي تسبق بصفة اجبارية الاله والملك . ولكن علم لاهوته يكاد يكون

(١) مرنكة .

غير معروف لنا ، مع أن صورته توجد في لوح الملك نعرمر ،
ذائع الصيت .

وفي القوصية ، على بعد يقرب من خمسين كيلومترا
في اتجاه انحدار النهر كانت تعبد على الدوام كالحال في
دندرة ، الهة باسم حاتحور (شكل ٨) ، وكانت معبودة ألوية
وخالقة . وأحيانا كان يعد زويجا لها الاله « أوخ » Oukh
الذى يرجع الى زمن بعيد القدم ، والذي كان يظهر في أسماء
الأعلام التي توجد في ذلك المكان . وكان رمزه (شكل ٣٤)
يتألف من ساق عود من البردى ينهض منه صلان تظهر
فوقهما ريشة نعامة ، مزدوجة .



(شكل ٣٤) رمز الاله اوخ

وبهذا نصل الى موطن تحوت ، مدينة الأشمونين عريضة
الشهرة ، ومعنى اسمها جماعة الثمانية Ogdoad (١) إشارة
الى جماعة الثمانية « آلهة الأوائل الذين تعاونوا مع شخصوت
فى خلق العالم . وكان الاغريق الذين رأوا فيه الههم هرمز
يطلقون عليها اسم هرموبوليس . وقد أضيف اليه وصف
«المظمى» ؛ لتمييزها عن المدينة التي تحمل نفس الاسم فى
الدلتا . وبما أنها كانت تقع فى منطقة تكون فيها الأرض
القابلة للزراعة أعظم اتساعا من أية رقعة أخرى فى الوادى ،
فان المدينة كانت عظيمة الثراء والأهمية . ولقد أبرزت
الحفائر عناصر معبد يرجع الى عصر الامبراطورية الحديثة .

(١) Ogdoad ترجمة لاسمها فى اللغة المصرية خن ويقابل فى اللغة العربية ثمانية

(=) - (المترجم) .

ونى الجبانة ، بخلاف أطلال معبد آخر يقع فى عرض الصحراء ، توجد الدهاليز المسيحية التى كانت تدفن فيها طيور ابي منجل المقدس وحى القبور التى كانت تهيأ للناس . كان يقوم هناك قبر « بت أوزيريس » الذى يمتاز بما يوجد فيه من محاولات للمزج بين الطراز المصرى والطراز الاغريقى ، وكذلك بما بقى فيه من نصوص ذات مذايق روحى عميق .

ومع هذا ، فقد ذهب التصور الى ان تحوت (شكل ٢٠) كان فى البداية غريباً عن هرموبوليس ، التى كانت تمبد فى المدم انها يدعى حجور Hedjour (١) وكان حيوانه الممعدس فرداً . ان هذا ليس الا مجرد افتراض . ولقد كانت تعرف انه قديمة اتخذت أماكنها فى الجهات المجاورة وليس بالحرى فى هرموبوليس عينها : وعلى الأخص الهة - أرنية و ثعبان هى « اونوت » . ومن الناحية التاريخية ، فقد ساد تحوت فى الاشمونين منذ أقدم عهد فى طاقتنا أن نرجعه اليه حتى لو أن موطنه الأصلي كان غربى الدلتا . وقد أوقفت عليه كثرة من الحيوانات مثل ابي منجل (ايبس) والقرد . وفى عصر الامبراطورية الحديثة ، كان يطيب للقوم أن يمثلوا الكتساب الملهمين بقرد وضع الى الخلف منهم ، فوق اكتافهم . وكان يبدو أنه على اتصال بالقمر منذ البداية ، وتقدمه احدى صفحات منامراته الأسطورية وهو يقوم بالبحث عن عين القمر التى توارت ، وقد عثر عليها فى مكان بعيد وأحضرها . وفى المظهر الكونى للمعركة التى وقعت بين حورس وست « يملأ » عين حورس التى جرحها اله الشر ويشفيها بلعابه . ان المناظر الفلكية المتأخرة تربطه بوجوه القمر . ولعله يدين بصفته كحاسب للمواقيت لارتباطه بذلك الكوكب فهو الذى يقوم بنقش

(٢) اسمه حج وز وترجع مصادرنا عنه الى الهة من الهة مصر والافريقى وله شكل
قرد - (المترجم) .

أعوام الملك ، خلال الأعياد الملكية المهيبة ، على ساق نخلة
انتزعت غصونها . وأفضل من هذا ، أنه يكتب على فاكهة
شجرة اللبخ (البرساء) (١) المقدسة اسم الملك الذي يجب
أن يصبح وغدا لهذا يانع الخضرة الى الأبد . ولقد اخترع
الكتابة كذلك . ويذهب الظن الى أنه كان يقرأ قصة حورس
وست بما أنه كان الوحيد بين الآلهة الذي يعرف الكتابة .
وكان المرء يجد للبحث عنه لقراءة رسالة أو لختم مرسوم
للالة رع . انه « كاتب التاسوع الالهى ، ذو الأنامل
الماهرة » .

ان تلك المعرفة بالكتابة تضى عليه قدرات رهيبة .
انه ساحر وكان يعتبر فى عهد متأخر أنه وضع صيفا تمنع
أولئك الذين يتلون بها بصوت مرتفع قدرات خارقة للعادة .
ان قصة « ستون خامواس » بأجمعها تدور حول حيازة كتاب .
كان تحوت هو الذى كتبه بيده :

« الصيفتان المكتوبتان فيه ، اذا تلوت الأولى ، فانك
ستسحر السماء والأرض وعالم الليل والجبال والأمواه .
انك ستفهم ما تقوله أطياف السماء والزواحف ، كلها كائنة
ما كانت . واذا قرأت الصيغة الثانية ، لو أنك كنت فى
القبر ، فانك تستعيد الشكل الذى كان لك على الأرض
وكذلك سترى الشمس تطلع فى السماء مع لفيف آلهتها ،
والقمر فى الشكل الذى كان له عندما ظهر » (ترجمة
ماسيرو) .

(١) اسمه العلمى Memusopa Schimperl H. لبخ - برساء - برساء من معجم
الحيوان للدكتور أحمد عيسى .

« قال أبو حنيفة الدينورى : هى شجر عظام مثل الدلب وله ثمر أخضر يشبه التمر
حلو جدا الا أنه كرهه . جيد لوجع الأضراس واذا قشر أرغف قاشره » . قال المقرئ عن
مصر : وبها اللبخ وهو ثمر قدر اللوز الأخضر كان من مساهن مصر الا أنه اتقطع قبل
سنة ٧٠٠ هجرية . وقال Delile ان أبحاث De Sacy خرد أن اللبخ الذى أطلق اسمه على
جملة أشجار أخرى إنما هو الهجلىج والهالج فى بلاد النوبة وبلاد العرب .

وكذلك يرأس تحوت « بيت الحياة » المركز الذى نعرفه
حق المعرفة فى الامبراطورية الحديثة والذى كانت تصنف
فيه وتدرس وتنسخ جميع الأعمال اللازمة للحفاظ على
الحياة ومضاعفتها : وهى الطب بالنسبة للرجال ، والعبادة
بالنسبة للآلهة . ثم هى بالنسبة لهؤلاء وأولئك صنع التماثيل
التي تكون بديلة عن جسومهم وفقا للنسب وللمناهج التي
حددها تحوت نفسه ، فى جميع الحقب العتيقة . وكان هو
أيضا الذى خلق اللغات التي تعبر بها الشعوب الأخرى عن
ذوات نفوسها وفن اجادة الوصف واجادة الكتابة وهو الفن
الضرورى للاقناع ، ولهذا كان الكتاب يدعونه بهذه التعابير
المؤثرة :

يا تحوت ، ضعنى فى هرموبوليس

مدينتك التي يحلو فيها العيش !

اعطنى ما يلزمنى من الخبز والجمعة

واحفظ قمى من الألفاظ

هل يمكن أن يكون تحوت خلفى فى الصباح :

احضرى أيتها الكلمة الالهية

عندما ادخل أمام الاله سيدى

حتى أكون صادق القول (٠٠٠)

انت يا من تجلب الماء الى المكان القاصى .

أقدم وأنقذنى أنا الصامت

يا تحوت ، أيها النبع العذب للانسان الذى أصابه

العطش فى الصحراء

انه مخلوق لذاك الذى يجد ألفاظه

ولكنه مفتوح للصامت

عند حضور الصامت ، يجد النبع (٠٠٠٠)

ان هذا الدعاء الذى أعيد تسخه فى احد كتيبات
البلاغة التى ترجع للأمرة التاسعة عشرة ، ينبىء سلفا عن
روحانية بت أوزيريس السامية *

وكان القمر ، البدين الليلي للشمس ، هو الذى حدا الى
ان يعد تحوت ملحقا ، على وجه ما ، لرع * لقد رفع الى
رتبة الخالق * واذا صدقنا القول، فانه كان فى هرموبوليس،
منذ زمن مديد ، لفيف يتألف من ثمانية آلهة - ربما كانت
مستقلة عن تحوت فى الأصل - قام فى مولد العالم بدور
جوهرى * وبما أن تحوت لم يكن يظهر فيه الا قليلا ، فقد
ظن أن هذه الآلهة كانت سابقة له * لقد كانت ، فضلا عن
هذا ، شخصيات لاهوتية ولم تكن آلهة محلية بتاتا ، وكانت
تجسمها ثنائىة من ذكر وأنتى * وكان يطلق عليها نون
ونونت ، المحيط الأول ، وحج وحجت ، الفراغ الذى لا نهاية
له ، وككو وككت ، الظلمات وأمون وامونت الذى لا يمكن
تعريفه * ولقد كانت تصور هرموس خفادع وثمانين ثير
ذكرى الحياة الصاخبة ولم تفرق تماما عن المستنقعات حيث
تبدأ الأرض فى الظهور * وقد أوجدت الشمس دون أصل
ظاهر وأعدت لها التل الأزلى لتستوى عليه ، لقد نسبوا
مولدها الى زهرة لوتس (١) بدائية كانت جماعة الثمانية
قد أخصبتها ، ولكننا نجد أحيانا أنها قد خلقت بيضة
خرجت ، منها الشمس * وان تراكب الأسطورتين هنا ملء
بالإيحاء ويبين تماما كيف أن المفكرين ، فى نهاية تطور
طويل ، وضعوا الحقيقة وراء الصور التى كانت تسمح ،
دون سواها ، برؤيتها *

ولما كانت هذه النظريات عميقة الجذور فى هرموبوليس،
فقد وجدت توضيحا لها فى أماكن إقليمها المقدسة ، حيث

(١) اسمه العلمى Nymphaea Caerulea Savigny للنوع الأزرق Nymphaea
Lotus Hook للنوع الأبيض - ويطلق عليه - العروس - - اللوتس - - اليفنتين - - الجلجلان
الصرى النور *

يوجد « غدير السكين » و « جزيرة اللهب » و « التل الأزلى » .
و « البيضة المقدسة » المدفونة بالقرب من « الغدير العظيم »
الذى عمل على أن يعزل من جديد « بت أوزيريس » بعد
الاضطرابات التى حدثت فى خلالها تدنيس ذلك المكان
المقدس . وقد جعل علماء اللاهوت من تحوت - لكى يتاح له
التدخل - جزءا لا يتجزأ من الآلهة العظام الخالقة ، التى لم
يكن لفيف الآلهة الثمانية الا مظهرا لها . . من أجل ذلك ،
أطلقوا عليه فى العصر الرومانى طائفة من الصور التى
لا يمكن التوفيق بينها فقالوا انه : قلب رع ولسان تاتنن
وحجرة ذاك الذى اسمه سر خفى . وهذا يعنى أنه تصور
العالم كما تصوره رع واستدعاه للوجود بالكلمة ، كما
استدعاه بتاح ، وبالنظام المحدد، كامون . وقد أخذ يتعاون
- بوصفه الحاسب الدقيق ذا الكلمة النافذة والذكاء
الدقيق - مع ماعت لجعل العالم يؤدى مهمته فى دقة مع
الحفاظ على العلاقات التى تقوم بين الأشياء . وعلى هذا ،
فقد كانت تتوقف عليه القوانين والمدالة والملك والضرائب
وكذلك سير العالم مكان الآلهة المحدد داخل الكون المنتظم ،
ولقد قدم وزير لامنوفيس (امن حتب) الثالث فى ذروة
عهد الامبراطورية الدعاء له فى هذه العبارات :

التحية لك ،

سيد الألفاظ الالهية ،

يا من ترأس الشعائر المحجوبة

وتستقر فى السماء وعلى الأرض .

الاله العظيم منذ الأزل

ذو الأصالة ،

مخترع اللفظ والكتابة ،

يا من تعمل على تزايد الدور

وتؤسس المساكن ،
يا من تحيط الآلهة علما بنورها ،
وكل فن يقسواعده
والأقطار بحلونها
وكذلك العقول •

كان تحوت يوازي عند الاغريق الهمم « هرمز » ، وقد ترجموا له وصفا مصريةا يعنى « على الدوام عظيم جدا » وسموه تريسمجستر « ثلاث مرات عظيم جدا » • ولقد وصلت الينا باسمه مجموعة كاملة من البحوث الفلسفية يطلق عليها « الهرمزية » hermétiques (١) مكتوبة بالاغريقية ومصطبغة بصبغة من الافلاطونية الحديثية • وان تضمنت قدرا هاما من الآراء المصرية القديمة ، الى حد دفع البعض الى أن يروا فيها ترجمة خالصة وبسيطة لكتب فلسفية مصرية تحدث عنها كليمنت الاسكندري ، خلال حديثه عن المعارف التي يجب أن يلم بها الكهنة • وكان لتحوت أيضا ، زوجة • ولما كانت تحمل اسما لاهوتيا هو « نحت تاي » حامية الارضين (جاكيه) فقد عدوها ابداعا متأخرا ، ومع هذا فقد كانت تعبد في عصر الأسرة الثامنة عشرة ، في المقاطعة ولكن بين معبودات أخرى الى جانب « نحب كاو » التي لا يقل اسمها زيفا عن اسمها هي والذي نقرؤه مكتوبا في نصوص الأهرام • وقد كان من اللازم تشبيهها بعاتحور ، فقد كانوا يضعون لها غطاء رأس يطابق « صرح » المصلصلة . « ششات » الذي تبرز منه في معظم الأحوال سيقان نبات البردى • ونجدها في قبر جانيني في طيبة أحيانا في حضرة تحوت كمضيغة في الأشمونين وأحيانا أخرى قريبة من شبس اله نفس المدينة • ولعلها كانت قد أصبحت رفيقة تحوت •

(١) مصرية الى هرمز (تحوت) •

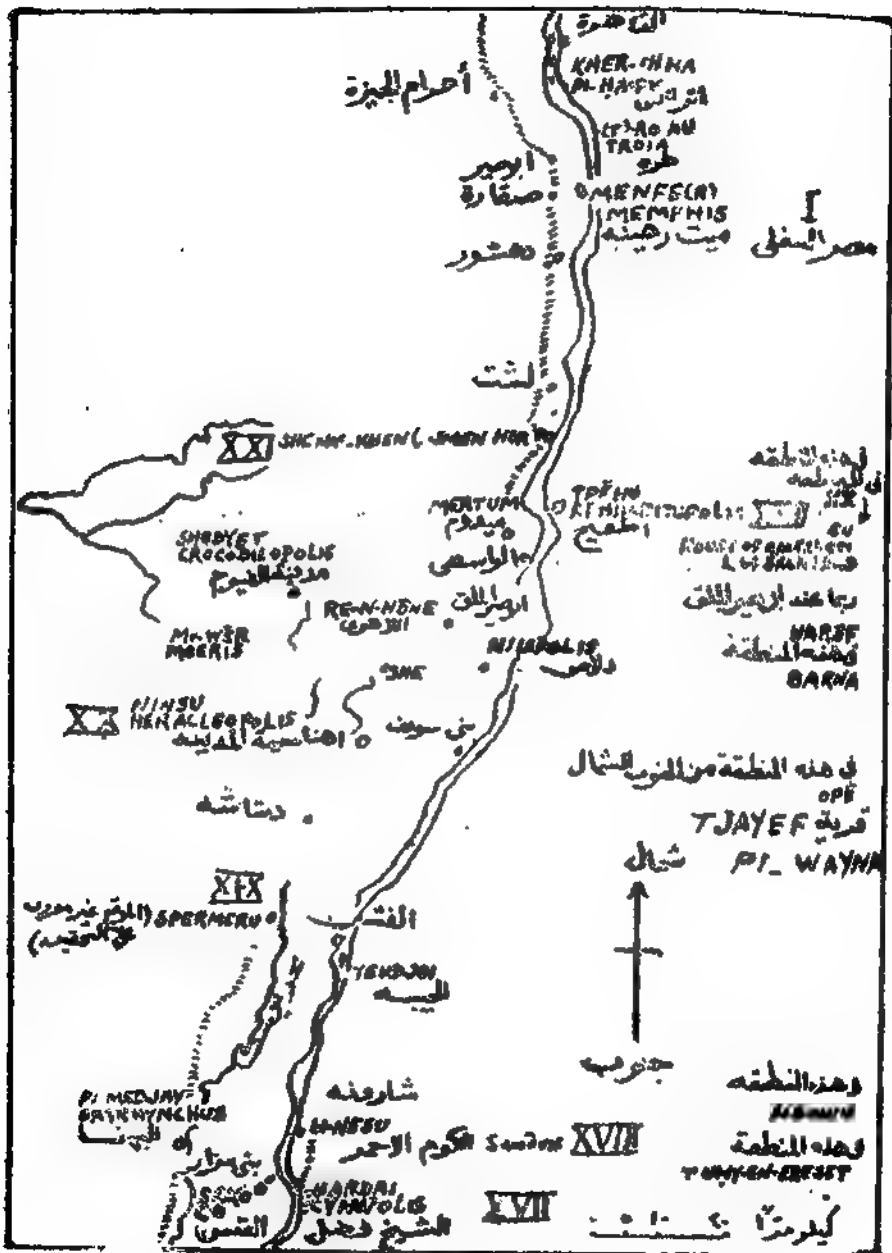
وكان يقدم التكريم لعدد وفير من الآلهة الأخرى في هرموبوليس الى جوار تحوت وحاشيته الالهية . وكان شبس الذى يحمل اسمه معنى « جليل » فى اللغة المصرية ، يقطن بها . ولم يكن سيدها ولكن كان يقيم فيها . ويجده المرء مرسوما حتى نهاية اقاصى التوبة . ومع هذا فان النقوش عن موضوعه ضئيلة . وقد سمي برع مرة فى وادى الملكات وكثيرا ما كان يصور بقرص فوق رأسه . فهل يجب أن نرى فيه الشمس التى خلقتها جماعة الآلهة الثمانية فى الأزمنة الأزلية ؟

خم عدد المعبودات التى تالمت فى تلك الرقعة الفسيحة من الوادى ! لقد قدم لنا محات كان يعيش فى مستهل الاسرة التاسعة عشرة ، تعدادا لكل الهة الأشمونين التى كان يعرف اشكالها : « لقد جعلت مستقرى فى « بيت الذهب » (المرسوم الذى كان النحاتون يستطيعون فيه بعث الحياة فى نمايلهم عن طريق الشعائر) لخلق اشكال كل الآلهة وصورها ولم يذن واحد منها مستخفيا عنى . ولقد كنت كاهنا للشعائر المحجوبة وكان فى قدرتى رؤية رع فى تحولاته وكذلك اتوم فى تجسده . كان يوجد اوزيريس سيد اييدوس على رأس آلهة القطر المقدس وكان يوجد تحوت سيد الأشمونين برأس « خرتى هنو » . لقد كان فى استطاعتى رؤية « شبس » فى مره الخفى و « أونوت » فى تحولاتها . وكان يوجد « مين » وهو يزهو بجماله ، و « حورس » الذى يقيم فى حسرت و « ونحمت تاوى » ابنة رع و « منخت » محبوبة بتاح وجماعة الآلهة الثمانية التى توجد فى مدينة — الثمانية فى مسكن الشبكة . وفيها كان يوجد « خنوم » سيد حرور و « حككت » و « حاتحور » و « آمون — رع » الذى يقيم فى انو و « حاتحور » فى القوصية ابنة رع الذى يحمى المتفوق . والتاسوع الذى يوجد فى عجنى (١) و « حرويرس » (حرور)

(١) موضح فى مصر العليا كان يقع بين اسنا جنوبا واسفون شمالا ويطلق على قول دارسى المطاعة الحالية والغرويتوبولس التى ذكرها استرابون — (المترجم) .

في أصفون و « حمن » سيد حفات • وكان يوجد « موننتو »
الذى يقيم في الطود ، و « أنوبيس » سيد بلاد الفجر • وكان
يوجد « حورس » على رأس حبنو ، و « باخت » سيدة مرو ،
وتحوت الثور في مدخل الوادى ، و « عنتى » فى صقع عنتى ،
و « أمون » الذى ينتمى الى « ذاك - السذى - يملن -
الانتصارات » والثور سيد - اكا (القيس) وحكت ، سيدة
قوص والالهتان الراضيتان (ايزيس ونفتيس) • ولا شك فى
ان نحائنا يخرج بعد « خنوم » من مدينة - جماعة الثمانية
كما أنه يخرج بعد حاتحور القوصية ، من مقاطعة الأرنبة
البرية لكنه من الشيق أن نراه يعدد جميع تلك الآلهة التى
تعرفنا عليها والتى لها كلها ملابس ، وأغطية رأس وإشارات
تميز كلا منها عن الآخر تماما فى العصور التى توضع لها •
وكان الفنان المسن يزهو بأنه يعرفها تمام المعرفة •

ودون الرجوع الى كل آلهة المقاطعة الخامسة عشرة أو الهة
حاضرتها ، يجب أن نعيط علما اثناء مرورنا بأن خنوم اله
انطينوى ، التى كانت تسمى فى القدم حرور هو ذاك الذى
ينحت الملك الشاب وروحه « الكا » فى الشعيرة المحبوبة عن
المولد الالهى وأن قرينته حكمت التى نعرفها برأس الضفدعة ،
تقدم له رمزا لنسمة الحياة • وكان لحاتحور عبادة فى
نفروسي التى يجب أن تكون جد قريبة • وتظل باخت
بالنسبة لنا أعظم هذه المعبودات غموضا • لقد كانت آلهة
برأس لبؤة ولم تكن سيدة أية مدينة ولكن فقط سيدة مكان
قفر فى الجبل من بنى حسن على الشاطئ الأيمن • ولقد
قام أوفياؤها بحفر معبد فى الصخر ، سماه الاغريق
« الاسبيوس ارتميدس » وقد سمي « مرو » فى اللغة المصرية ،
وكان لها من الأهمية ما جعل الملكة حاتشبسوت تزين معبد
« الاسبيوس » وتضع فيه نقشا ؛ أشارت فيه الى إعادة فتح
القطر والى طرد الهكسوس • ولقد قام سيتى الأول بإعادة
بناء هذا المعبد الذى لم ينج من قوات تحوتمس الثالث التى



مصورة جغرافية .. مصر العليا من القبس الى القاهرة مع بيان المقاطعات

وكل إليها أن تهشم اسم الملكة على الأخص ولا من محطمي
الصور في عهد اخناتون المكلفين بإزالة اسم آمون وأسماء
جماعة الآلهة . على أن هذا لا يلقي إلا بقليل من الضوء ،
إذا شئنا ، على هذه الآلهة العجيبة المحلية التي تذكرنا ببعض
مزارات « العذراء » التي تحظى بالتكريم في فترة معينة ،
في جوف الوديان التي يعسر الوصول إليها ومع ذلك ، فإن
هذه الآلهة تدخل في تركيب أكثر من اسم من أسماء الأعلام
ويبدو أنها كانت شخصية هامة .

وكانت حاضرة المقاطعة السادسة عشرة حبنو ولعلها هي
المدينة التي سماها الاغريق الايسترون ، ولا شك في أنها
القوم الأحمر الحالية تتوجه بالعبادة إلى اله باسم حورس نجد
عناء في تعريفه في شيء من الدقة ، رغم ما سجله نصب ليدن
من أنه كان يعرف شكله الخاص . ويجب وضع تحوت الثور
في مدخل - الوادي في نفس المنطقة وكان آمون هو الذي
يسود خاصة ، في طهنا الجبل (١) التي كانت تدعى بيموى
في العصور القديمة ، والتي تبعد قليلا عن حبنو ناحية
الشمال ، ولكنه كان يعمل في جوار سبك أو سبك - رع الذي
كان أيضا رب مدينة أناشا المجاورة . وفي اتجاه انحدار
النهر ، على نفس الشاطئ ، على مسافة قريبة جدا من بني
خالد ، مازال يرى معبد محفور في الصخر . وكان يطلق
عليه « الموقدين » كانت تعبد الهة باسم حاتحور التي تقدم
بردية يوملهاك Jumilhac لنا عنها معلومات أسطورية بالغة
الغرامة : حاتحور التي توجد في تلك الجهة ، هي ايزيس
عندما تنجز تحولها العظيم إلى أمها سخمت لتلتهم بلهبها
« ست » وحلفاءه ، في كل مرة كان هؤلاء يجتازون النهر ، وهم

(١) طهنا الجبل - معنى اسمها في اللغة المصرية الجبهة وهو بالكامل t ; thn wr nht
- الجبهة عظيمة القوة وتقع جنوبي جبل الطور على الشاطئ الأيمن للنيل وعلى بعد قرابة
عشرة كيلو مترات إلى الشمال الشرقي من المنيا . واسم TE « الجبهة » حملته
عدة مواضع أخرى كانت على غرار طهنا - أكورس Acoris تقع على قمة مضبة صخرية
مثل الجبهة الواقعة جنوب شرقي القشن .

قادمون من مقاطعة أوكسيرنخوس Oxyrhynque (١) ليتوجهوا جنوب الجبل الشرقى (ترجمة فاندية Vandies) وفى حردى Hardai ، الشيخ فضل الحالية (٢) كان أنوبيس يفرض نفسه لتمجيد خالصاته : ومع هذا فقد كان يظن أن أول إله لها كان حورس . وفى الجانب المواجه فى القيس كان أيضا أنوبيس هو الذى يعبد . ولكن القصص الأسطورية توحى بأنه حل ، دون شك ، محل إله يدعى باتا ، وهو الذى اعتبر فى العصر المتأخر بأنه مت عينه .

وفى الواقع ، أننا ما نكاد نحل بتلك المنطقة وهى لا تزال ، إلى عهد قريب ، إحدى المناطق التى ليس لنا بها إلا اليسير من العلم ، حتى تقود خطانا بردية يوصلنا إلى تلقى ضوما ساطعا على حشد من العبادات والقصص الخرافية ، يعسر أن نتعرف وسطه بدقة على كل الأمكنة التى يصادفها المرء فيها . وقد كان لإله المقاطعة الثامنة عشرة ، فيما سبق ، صورة صقر بجناحين منشورين ، على وجه عام . وكان يطلق عليه ، دون ريب ، اسم هنتى ، ولكن شخصيته لم تكن قوية إلى حد مناسب وقد استبدل به ، شيئا فشيئا ، إله دون عنوى . وهذا الاسم ومعناه مازال غامضا ، ظهر فى عصر الأهرام وال به الأمر إلى أن يتوارى أمام دون عنوى : « ذاك ... الذى - يمد ذراعيه » علامة الحماية . وأخيرا فى العصر المتأخر ، كان أنوبيس (شكل ٢) هو الذى فرض نفسه كذلك وهو يهبط بمحاذاة النهر . ويرى هنا كيف أن الشخصيات الإلهية ، شخصيات يصعب تحديدها وأنها تنيرت خلال التاريخ . فضلا عن ذلك ، كان أنوبيس هذا ،

(١) البهنسا .

(٢) حردى هى التى أطلق عليها الإغريق اسم Kurywy nonis والرومان اسم Canum وتقع على الشاطئ الأيمن للنيل عند الشيخ فضل أو بالقرب منها . وهى على بعد ١٤ كيلو مترا من البهنسا وتواجه بنى مزار وتقع القيس إلى الجنوب الغربى منها . وكان إله أنوبيس الذى كان إله القيس فى عهد أكثر تأخرا ، ولهذا كانت لها الأسبقية فى اسم cynopolis الذى أطلق عليها الإغريق .

الذي يجاور المقاطعة التاسعة عشرة التابعة للاله ست ، قد قدم المعاونة الجدية لحورس للدفاع عن بقايا اوزيريس التي كانت محفوظة في تلك المقاطعة ، حتى أنهم ادمجوها تحت اسم حورس - أنوبيس . ولقد كشف وجود « جبانة كلاب » ، عن أن ذلك الحيوان المقدس كان يعبد فيها في عهد متأخر .

ان الوثيقة ذاتها تقدم شروحا شيقة عن طائفة من الأمكنة المقدسة المجاورة التي يصعب أحيانا تحديد موضعها في دقة فوق الخريطة المصورة . ومن بين هذه الأمكنة ، مدينة - البقرة وقد أطلقت عليها هذه التسمية ، لأن تحوت وجد فيها البقرة التي أمدته برأسها لتكون عوضا عن رأس ايزيس التي قطعها حورس ، وقد استبد به الغضب لأن أمه قد ترفقت بالاله ست . ومع هذا ، فان المؤلف يلتزم التحفظ الكثير فلا يقص تلك الواقعة وهو يلمح بها عوضا عن عرضها . وعلى مسافة أبعد الى الشمال ، كان للاله خنوم مقدس في « بيت - خنوم » . انه حليف حورس يقوم بمراقبة مشروعات «ست» وأعوانه . وكان هو أيضا الذي يقدم له التمجيد في «أونم ف تا» ومعنى اسمها : يأكل الخبز . ان هذا الاسم يحمل ذكرى أسطورية : ان سبك ، وقد باغت أنصار «ست» الذين أفادوا من ظلمة الليل واجتازوا النيل، تحول الى تمساح والتهم كل المتأمرين مع الاله الملعون . ولكنه احتفظ بالرءوس على ظهره - وفي هذا الوضع كان يمثل تمثال - ليقدمها الى حورس . ويعمل حورس ، وربما لم يكن مطمئنا كل الاطمئنان ، على أن يقدم له خبز ومن هذا جاء اسم المدينة .

واذا أضاف المرء أن المدونة الثمينة التي كتبت لكي تكون دليلا للطامحين الى وظائف الكهنوت في المنطقة ، وكذلك لكي تكون مرشدا للنجاحين والمصورين ؛ وتشرح أصل « الجلد الشاقى » Nébride العزيز على أنوبيس ، وتقص كيف أن

«ست» سرق صناديق حورمن وعثر على أنوبيس وتضيف اليها تعليقات عن فصيلة كلاب (Canidés) (١) الاله المقدسة وتزييفاتها . فعند ذلك يكون لديه فكرة عن غزارة التقاليد الدينية التي انضمت الى المعلومات الوفيرة التي تتعلق بالأسطورة الأوزيرية وعلى الأخص البحث عن آشلاء أوزيريس الذي مزق جسده ، وسنعود الى موضوع هذه الاشلاء ، ولكن يجدر أن نقول كلمة عن « الجلد الشافي » nébride. (٢) (شكل ٣٥) - وقد كان ذلك الشيء يتألف من جلد يتعلق بساق نبات مثبت في دعامة ، وكان رع قد قضى بسلخ جلد عنتى بعد ارتكابه جريمة قطع رأس جاتحور الهة اطفيح - وهى معادلة لأسطورة ايزيس - وقد أحضر أنوبيس الجلد الى أمه ، البقرة المقدسة حسات (٣) ، التي



شكل ٣٥ - الجلد الشافي (معبد ميتى الاول) فى ايدوس

(١) Canidés ← Canidae فصيلة من اللوامس أى ذوات اللحوم للواحد منها أربعة براثن فى كل من رجلتيه وأربعة أو خمسة فى كل من يديه وهى تشمل الكلاب الأملية والثعالب وبنات آوى والثعالب « من معجم الحيوان - للمعلوف » - (المترجم)

(٢) يرجع لفظ nébride للأصل الإغريقى nebris وهو جلد ايل (Faun = fallow down) مستفرد لونه رمادى يميل الى الصفرة كان يرتديه ياخوس (ديموتوسيوس) والشباعه - (المترجم)

(٣) يرجع اسمها الى اللغة العربية - الحسيلة البقرة وجمعها حسائل وجاء فى المعجم التوسيط الحسيل أولاد البقر الأمل ويطلق على الواحد (النهرى) يقال اشترى بقره جحسيلة - (المترجم)

أعادت اليه الحياة بلبتها بعد أن جعلت هذا اللبن يتساقط
فى هاون يمثل الدعامة ، وجعلت منه بلسما يجلب العافية .

لا يمكننا ترك أنوبيس (شكل ٣) ، دون أن نضيف
بعض القسمات التى تحدد معياه . فهذا الاله الذى يعلو
جسمه الانسانى راس كلب ذئبى (canis lupaster) ، كان يعد
ابنا لايزيس واوزيريس فى العصر المتأخر وكذلك لسخمت
- ايزيس . وهذه البنوة تفهم على وجه أفضل عندما يعلم
انه كان يمثل بحورس فى مقاطعته . ولكن بلوتارخ
يقص أن اوزيريس انجبه من نفتيس ، التى كان قد اتخذها
أختا له ، وكانوا يعدون - عامة - البقرة السماوية حسبات
أما له . وربما كان يدين لهذه البقرة باللقب الذى يطلق
عليه « سيد الأبقار مدرة اللبن » وبالاشتراك ، الى جانب
ايزيس فى شمانر سكب اللبن ، على موائد القرابين
المروية (١) . هل قام هذا الجلد الشافى الذى رأينا أن له
قيمة علاجية بدور يجعله يوازن اموشس (امحتب) ،
اسكليبيوس المصرى ، فى كتاب التحولات فى المهد المتأخر ؟
من المؤكد ، على أية حال ، أنه يعد منذ أقدم المصور سيد
الجبانة ويتوم بدور فى التحنيط وفى منح الحياة التى
تضفى على المومياء التى كان يطيب لهم أن يرسموه بالقرب
منها . ومنذ عصر الأهرام كان يشترك فى محاكمة الموتى
وتظهر صورته - فى الرسوم الزخرفية التى تصاحب الفصل
المائة وخمسة وعشرين من « كتاب الموتى » الاعتراف
السلبى (٢) وهو يتحقق من مؤشر الميزان ، وكذلك كان
يسمى عادة فى « كتاب ليت اسمى يينع » « حارس باب

(١) تمسبة الى مروي للقيمة بالسودان وهى البجراوية .

(٢) يفكر هنرى برستد فى كتابه « تطور الفكر والدين فى مصر القديمة » ،
Development of Religion and Thought in Ancient Egypt.

أن « الاعتراف السلبى » تمسبة خاطئة لأن اعلان البرء عكس الاعتراف (صفحة ١٠٤ من
النسخة العربية التى قمت بوضعها) - (المترجم) .

البحيم» - وفي هذا الدور مثله الاغريق بالههم هرمز وجعلوا منه هرمانوبس الهجين Hermanubis الذى يراه الانسان على نقود المقاطعات فى القرن الثانى - بل لقد وجد مصورا مرة فوق ناووس من العهد المتأخر ، فى برلين وهو ممسك بمفتاح يبدو تماما أنه استعاره من اياك L'Eoque (١) الاغريقى ، وذلك لأنه اجتاز مع آلهة الجماعة الأوزيرية ، حدود مصر الضيقة ، وعرف فى أرجاء العالم الهلينستى والرومانى حيث أثار الأخيلة قناع الكلب المتوحش ، أو ابن آوى ، الذى اتخذه - ولقد ورد فى أشعار فرجيل الذى أمدت قصيدته Latratur Anubis (٢) الشاعر مالارميه Mallarmé بقوافيه :

وهناك المعبود أنوبيس

الخطم بأكمله ملتهب كهواء متوحش

وفضلا عن هذا ، فقد وصل الى الجنوب منذ أمد بعيد ، لأنه فى ابى سنبل كان « سيد النوبة » *

ما السبب الذى دعا الى ربطه بالقمر ؟ ان هذا بالنسبة لنا سر خاف - وكان يظهر فى جميع الرسوم التى تصور المولد الالهى الذى كان يحتفل به منذ الدولة القديمة لأجل الملك ، وقد صور فى مولد حتشبسوت وهو يدير بدر التمام يتمنى للطفل أن يتجدد تجدد الكواكب - ولذا فلن يعجب المرء كثيرا عندما يصادفه فى « كتاب الكهوف » وهو يضىء الموتى بقرصه المظلم أو كذلك عندما يجده حاملا القمر فوق رأسه ، ملفوفا فى كفن من عهد متأخر جدا فى متحف الفنون الجميلة بموسكو *

(١) أين يوبتر ملك ايجين Egin وقد اشتهر بمدائه ، فإنه صار به موه أحد الغضاة الثلاثة فى الجحيم كما جاء فى الأساطير .

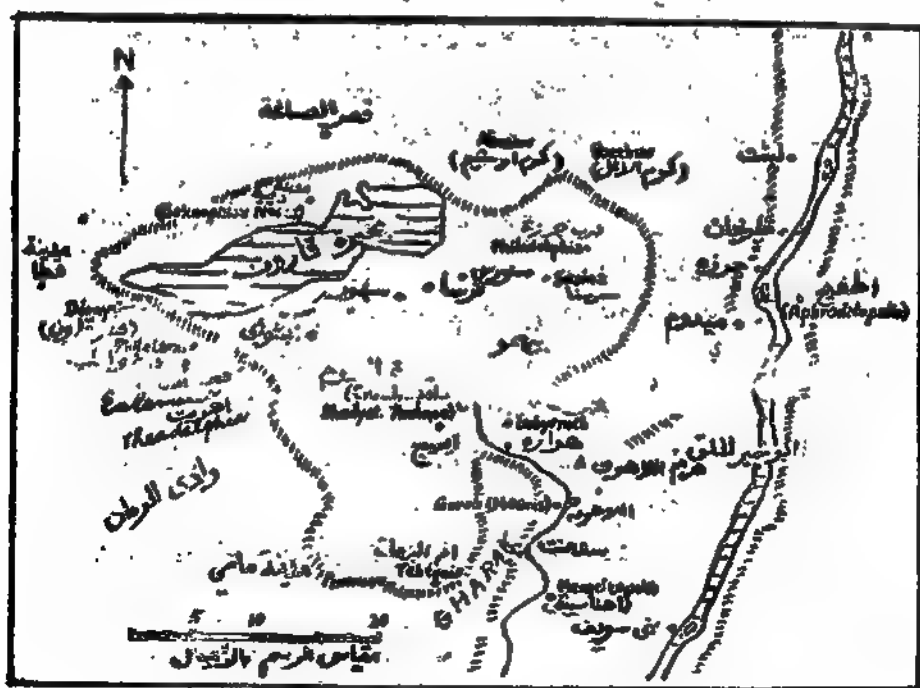
(٢) الماوى أنوبيس - (المترجم) *

ولقد كان له دور عظيم في الشعائر المحجوبة الأوزيرية، والبحث عن أشلام أوزيريس الممزق وإعادة تكوين الجثمان وإعادة الحياة اليه . ولكن الأمر العجيب أنه كان يقرع الطبول أمام الاله وهو يردد قائلا : « انى اقرع الطبله امام صورتك منذ أن ينبليج الصباح حتى المساء » . على أن تطورات علم لاهوت أنوبس لا ترجع بأجمعها الى العهد المتأخر ، كما أمكن التأكد من ذلك ، ولكنها اتخذت أهمية بالغة المعظم دون ريب مع تزايد أهمية الدين الأوزيرى التى عرفت عنه فى العهد المتأخر .

وفى المقاطعة التاسعة عشرة ، كانت تقدم العبادة الى الاله « ست » ، الملعون . وعندما ازداد عدد الاوفياء لأوزيريس ، اله الخلاص ، زيادة بالغة الى الحد الذى أضحت فيه أغلبية مصر ، المظلمى ، أوزيرية ، يصبح « ست » القاتل موضوع اللوم العام . هل تدمر مدينته ومعابده ؟ على اية حال ، لم يصل المرم بعد الى تحديد مكانهما بين أوكسيرنخوس (البهنسا) فى الجنوب ويراكليوبولس فى الشمال . ثم ان نص ادفو الجغرافى وجيز وفيه تأنيب . ولكنه يشير الى أنه كان يحتفظ فيها بأشلام مقدسة هى ساقا أوزيريس وخصية ست . وفى الحاضرة سبرمرو ، كان لاله الصحراء معبد ، كما كان لنفتيس ، زوجته معبد خاص بها .

وعندما نصل الى اهناسيا المدينة ، التى كان الاغريق يطلقون عليها هيراكليوبولس ، وتدهى قديما نثى نسو ، نجد حاضرة قصيرة العمر لمصر ، وبعد الثورة التى غرقت فيها الدولة القديمة أعاد أمراء نثى نسو ، وحيدة شطر من أسفل الوادى والدلتا لحسابهم وقامت أمرتاها ، التاسعة والعاشر ، بالحكم فى المدينة موطنهم . ولقد عبدوا فيها الاله حرمافس الذى كان له وجه كبش ويستأثر « بالهيبة » كما كان يقول المصريون بالتورية اللفظية باسمه ، الذى

يبدو انه كان يعنى في البداية « داك - الذي - يقوم فوق -
 يجتره » - وقد شبه ذلك الاله الذي تظل شخصيته غامضة ،
 بأوزيريس منذ زمن بعيد - ولقد قص كتاب الموتى في
 الفصل ١٧٥ كيف ان اوزيريس ، بعد ان ورت من رع
 وظيفة الملك التي كانت له ، طلب منه الهية حتى يمكن ان
 يخشاه ست والالهة غيره - وكان من الواجب على ست ان
 يحضر امام اوزيريس ، في تواضع ويقدم له التبريم -
 ولتن دماء سقطت من أنفه - وأخذ رع الدم ودفنه في
 الأرض - ولهذا فبعد ذلك العين ، كانت الأرض تضرب
 بالمعول في هيراكليوبولس - ان هذه الشعيرة ، التي ترتبط
 بالحياة الريفية والتي تؤدي في كل مكان بمصر ، كانت لها ،
 كما نرى ، صلة خاصة بالاله حرساقس - اوزيريس ، وكان
 اوزيريس يبدو كرع في الاله حرساقس ، وهذا هو الذي
 جعل منه الها شمسيا - وربما كانت هذه وسيلة لتعرف



القديم وهيراكليوبولس (اهناسية) (H. Kees : An, Eg)

خليقته كاله خالق ومعبود أزلى . هل لهذا السبب كان يبدو مرتبطا بالعدالة ؟ انها حقيقة واقعة ان الملوك الذين عبدوه يظنون الناهضين بنظام اجتماعى أفضل واشاعة أكبر قدر من العدالة الاجتماعية . ويؤيد التصديق بذلك ، ما وصل اليه من مؤلفاتهم ومنها « تعاليم لمرى حارح » دأته الصيت وقصة رجل الواحة التي ترجع الى نفس العهد .

وعلى قرابه خمسه عشر كيلومترا الى الشمال من هيراكليوبولس ، تتوغل قناة بحر يوسف العظيمة ، التي تتفرع من النيل عند أسيوط ، فى الصحراء الغربية وتروى واحة الفيوم (١) وتعود لتصب فى بركة قارون وهى بحيرة مأزها ملحي لا يصلح اليوم للزراعة . ويبدو ان الفيوم كانت فى الدولة القديمة ، منتجعا يستغل فى قنص الحيوانات وصيد الأسماك اذ لا بد أنها كانت تحوى الكثير من المستنقعات والأحراش التي لا يمكن اجتيازها . ولم تكن كثافة السكان فيها ، دون ريب ، كبيرة . وفى عهد امنمحات الثالث ، فى الدولة الوسطى ولدت فكرة للأفادة من الفيوم كخزان لمياه الفيضان . وكذلك أصبحت المنطقة فى رخاء وتضاعفت المدن فيها كثيرا . ولكن العهد الذى حدث فيه أعظم توسع كان عهد الملوك الاغريق . ولما عهد الهلينيون - الذين عرفوا كيف يطبقون مناهجهم على هذه التربة القديمة المصرية - استغلت مساحات من الأرض فى الزراعة تقع على مستوى لا يصعد اليه الماء فى أيامنا . ان مدنا بأكملها مثل ديونسياس Dionysias (٢) وكرانس Karanis (٣) وسوكنوبيونيز Soknépéonese (٤) عادت اليوم جزءا من الصحراء بعد أن كانت قد اقتطعت منها من قبل .

(١) ترجع الصية الى مصر القديمة فقد كتبت (يم) ومع أداة التعريف بأيم واليم كما فى اللغة العربية البحر - (المترجم) .

(٢) قمر قارون مركز اطسا .

(٣) كوم أوشيم .

(٤) أصلها يو ويا ايو - الجزيرة - بحيرة المالحة .

ان مجموعة كاملة من أدراج البردى الجغرافية ،
بالخط الهيروغليفي أو الهيراطيقي تكشف عن أسماء الأماكن
والآلهة التي كانت تعبد فيها في العهد المتأخر . لقد جلبت
حفائر تبتوس (١) Tebtunis ، عشية الحرب العالمية
الثانية ، وثائق هامة لم تنشر حتى الآن بأكملها . ولقد
هيأت أدراج البردى الاغريقية الوفيرة ، في تلك المنطقة ،
العلم بالأماكن والآلهة ، وتضمنت حشدا من المعلومات
الجغرافية التي لم تستغل حتى الآن والتي تتيح العودة حتى
عصر الدولة الحديثة ، كما أن بها بعض الاشارات المنزلة
التي تحملنا أحيانا الى عهد أسبق . وتقع تبتونس الشهيرة
بما عثر فيها من أدراج البردى الاغريقية جنوبي المنخفض
ويرجع اسمها الى أصل مصري «رأس - الأرض - المستديرة» .
وكان يعبد فيها تمساح ، « سيد تبتونس » ، كما حدث مرارا
عديدة في الفيوم . ولقد بقي لنا من الدولة الوسطى مقدس
مدينة ماضى ، على مقربة الى الغرب . وكان مخصصا
لارموثيس ، الهة الحصاد . وقد يتسامل المرم : ألم يخلق
تلك العبادة ، بكامل أجزائها ، الناهضون بالأعمال الزراعية
في الفيوم ؟ وهل الآلهة كانت في الحق معبودة محلية ؟ . لقد
كان يصحبها سبك اله شديت حاضرة الاقليم ، وكذلك
حورس . فهل كانت تؤلف ثالوثا معه أم كانت ثلاثة معبودات
مستقلة ؟ لا نستطيع أن نجزم بقول . لقد كانت تصور
أحيانا على هيئة صل - وكانت تربي بالتوكيد ، على الأقل
في العصر المتأخر ، صلال مقدسة في أفنية المعابد - كما
كانت تصور أحيانا أخرى كامرأة يرأس صل . وفي الجنوب
الشرقي من البحيرة ، في ثيادلفى Théadelphie (٢) ، كان اله

(١) أصلها تانتو وقيتنو وجيتنو . أم البرجات الحالية - (المترجم) .

(٢) امريت .

— تمساح يطلع على أوفياته « بوجهه — الجميل » • وهو الاسم الذى يحملة بالضرية : بنيفريس Pnepheros • وكان كهنته يحملون فى موكب على محفة جثمانه المتمد وهو ملف بقطعة من النسيج ثان يخرج منها فقط خطمه يعلوه تاج بآتف •

وفى قصر فارون ، الذى سماها الاعريق ديوبوسياس Dionysias والواقع على مسانه ابعد الى اقرب والى الجنوب من برحه قارون الحالية • يقوم معبد عظيم يرجع الى عصر اسطلة ويرى من بعد • وان كان قليل الزخارف ومتهدما حتى ان المزم لا يجد فيه الا نقشا قليل البروز للاله سبك • ولما سمى ضليل ولا يسبح لنا ان ننسب المعبد الى ذلك الاله • وفى الجانب الغربى من البحيرة ، فى سوكنوبيونيز Soknopionē (1) ، ثان معبد الاله سوكنوبيوس Soknopaios وهذا انتساخ بالاغريقية للاسم المصرى : سبك ، سيد الجزيرة ، ولتلك الالهة ايزيس — نفرسس ، Isis-Nephersès . ويشمخ فى قلب الصحراء ، الى الشمال الغربى من البحيرة معبد قصر انصاعة الجميل الذى يكاد يكون سليما والذى يرجع تاريخه فيما يرجح الى الدولة القدينة • ويكشف تل من الركام الى جوارها ان مساكن اقيمت فيما مضى من الزمان فى هذا المكان الموحش • ومن سوء الطالع ان هذا البناء الرصين ، لا يضم أى نقش ، حتى اننا نجهل الى أى اله كان منحصرا • ولا بد ان رب المعبد كان يشغل الغرفة الوسطى وهى أكثر اتساعا من الغرف الأخرى ، كما فى مدينة ماضى ولكن هنا ، توجد ثلاث كرات على كل من الجانبين ، مما يدعو الى الظن ان حاشية الاله الأول ، كانت تتألف من ستة مبودات أخرى تظل كذلك غير معروفة لنا •

(1) ديميه

وقضلاً عن هذا ، يحدث أننا لا نزداد علماً عندما نعرف
 اسم الآلهة . وهذه هي الحال فيما يتعلق بمعبد الآله كرانس
 الذى يوجد على النصب الذى يسير من قصر الصاعه صوب
 الوادى . وكان ربها هو بنيسوخس Petesouchos ، ذاك -
 الذى - يعلى - سبك . كما فى ارسنوى وهى خرديوزيرس
 Kerkeosiris ، بالتقرب من تبتوس . ان اسم العلم هذا ،
 الذى ياخذ طابع اسم الآله ينتمى الى اسم انسان أكثر من
 انتمائه الى اسم اله . وقد وضعوا لتفسيره نظريات فيها
 مهارة عظيمة وليس لواحدة منها مكان من الحقيقة . وفى
 باكخياس Bacchias (١) وتقع على مسافة قصيرة بعيدا الى
 الشرق ، يبدو أن اسم الآله الاغريقى سوكانو بكونيس
 Sokanobkoneus ينضوى تحته لفظ مصرى أصلى : سبك -
 سيد - جنوت ، وهو موضع تأيد اسمه منذ الأمرة التاسعة
 عشرة . ان هذه هى التسمية القديمة لباكخياس التى كان
 الهها نوعا من الرب والحاكم معا فى الفيوم .

وكان لقرى أخرى فى داخل المنخفض عينه ، الهها
 الخاص . ومع هذا ، ففى معظم الأوقات ، يكون من المسير
 الوصول الى موقعها جغرافيا ، مثل جر ، حيث كان يعبد
 انوبيس اله حردى الذى أصبحت لنا معرفة به . ولكن كل
 هذه الآلهة لم تكن الا مجرد أتباع أمام رب الواحة بأجمعها ،
 وهو سبك . (شكل ٢٥) ، سيد شديت ، كروكوديلوبولس
 Crocodilopolis عند الاغريق ومدينة الفيوم فى إيامنا (٢) .
 وكانت البحيرة بأحراشها ومستنقعاتها على مدار الزمن
 مكانا ساحرا لأحلام القنص وصيد الأسماك . وكان موضوع
 بعض الأعمال الأدبية فى الدولة الوسطى المباهج التى
 تجلبها أنواع الرياضة هذه ، فى الفيوم . وليس مما يدعو

(١) لم الآله

(٢) فى عهد البطلة سميت ارسنوى Arsinod . ولايتان - واسم - عروجه - المدينة
 الأثرية الى الشمال من الفيوم .

الى دهشة بالغة ان اله المنطقة يتخذ شكل ساكن مستنقعات رهييب وهو التمساح . وقد اتخذ سبك صفات أوزيرية على شاكلة حرسافس في هيراكليوبولس ، الذى يبدو ان الفيوم كانت تقع تحت نفوذه ، لقد كان اله الزرع وتطور الحياة ، تماما دارريريس ، وعلى غرار النيل . كان يحمل الى الاراضى الرضوية اللزمنة لامدادها بالخصب وهو ما كان قد غدا يعمله فى كوم امبو وفى سومنو (١) . وقد افادته هنا ظروف فريدة فى دوره كاله خالق . ذلك ان بحيرة قارون وهى تظهر فى قراره منخفض فى الصحراء الليبية ، كانت تبدو ، فى أعين المصريين ، انبتاقا للمحيط البدائى الذى كان قد برز منه . وعلى هذا فقد تجلى الاله - التمساح وسط هذه الأمواه الراكدة فى البداية كما ظهر التل البدائى ، كما انه ولد هنا على مثال رع الذى اتخذ شخصيته كذلك - من البقرة مثير ليقوم بخلق العالم وايقاع الهزيمة دون انقطاع بالفوضى التى ، تهدد الكون من جديد فى كل لحظة ، ولقد كان يعد مثل « نون » معيط البدايات ذاك الذى جاء منه كل شيء ، وقد أضفى عليه هذا مزيدا من قدرة الهية وأبعد الى الوراء ، اذا جسرنا على القول ، حدود أبديته . ومرة أخرى ، يقدم علم لاهوته نفس الموضوعات كغيره من الآلهة المحلية ، منذ أن يصل كهنتها الى شيء من الأهمية ويرفعونها الى علو المعبود الأوحى والأزلى . وليست هذه التطورات بأجمعها متأخرة ، بأية حال ، وان كانت وفرة الوثائق من العصر المتأخر تسمح لنا بأن ندرسها على وجه أفضل .

* * *

عندما يعود المرء من الفيوم صوب الوادى ويصعد صوب منف ، يجد أنه أمكن اكتشاف وجود عدد عظيم من المبادات عبر معطيات وفيرة وردت فى أدراج البردى الاغريقية وعلى الأخص محفوظات زينون Zenon . وحينما تكشف صدف

(١) الترجمات بين الرمنف والمجلد كما تكلم -- (المترجم) .

سميده عن أسماء جغرافية عتيقة ، فانها تتيح لنا ان نرجع
 احيانا اشواطا بعيدة في تاريخ قرى هذه المنطقة وعباداتها .
 وفي سفح الفتوة الليبي الذي يقوم عليه هرم ميدوم
 « الكاذب » وعلى بعد ثلاثة كيلومترات صوب الشمال ، اخذت
 قرية صفط ميدوم العالية اسم موضع اسمه ، دون ريب ،
 في الدولة الوسطى ملك « محسوب — من — اتوم » هو
 موثومس Moithymis . وقد عبد بها آمون في عصر الأسرة
 الثامنة عشرة ، كما اقيم بها في العهد المتأخر معبد لباسنت ،
 الالهة برأس قطة ، كان بعض الكهنة يقومون بتربية قطع
 مقدسة داخل فئانه . وغير بعيد في موضع مجاور ، صحت
 Sahte ، كان يوجد « بيت صقارس » اله مفيس الجناسي
 و « بيت — القارب حنو » وهو سفينة فريدة الشكل ، كانت
 مخصصة له . وكان يقدم التكريم فيها كذلك لاله غامض كل
 الغموض بالنسبة لنا هو امنحي Imenhy قد يكون من الواجب
 ان نرى فيه آمون (١) . وكان يقع معبد عظيم لايزيس في
 هذه المنطقة ولكن لم يبق منه أى أثر .

ومما يدعو الى المجهل ان هذا الاقليم كان يستحوذ أيضا
 على « بوتو » الخاصة به ، على غرار الدلتا . وكانت تنهض
 بالرياسة فيه الالهة أوتو (واجت) ، التي تتخذ شكل صل لها
 نسيج ذو لون أخضر (ويتحد اسمها في نطقه مع لفظ أخضر)
 وكانت تستوى على غرار موت في الكرنك ، على عرش في
 مقدس تحيط به من ثلاث جهات رقعة من الماء كان يطلق
 عليها « أشيرو » ويبدو أنه كانت لها ، على شاكلة الالهات

(١) لا علامة لهذا الاله بآمون . انه مشتق من لفظ يذبح . وترجع مصادره لعدم
 الامبراطورية الحديثة والهدد الاغريقي وكان يلقب به لذلك عند تقديم الذبيحة (معجم
 رلبن الجزء الاول) .

والطلق لفظ امنحي للدلالة على الالهة (الفيالين)

« Schlächter » — als Bez. Von Göth

(Dämonen). — Taft. N.R.

دنى اقباله يلفظ لمح

يقال لمح: الثرى ، اثر فيه بالفرح أو النطق أو التصر (الوسيط) ويقال لمح الجزير
 على ظهر الجزور اذا اخذه . ومح المح من المظم (الأساس) .

دوات المخلب ، طبيقة مزدوجة مخيفة ورأدة ، هي دس
 ابوت - ان نل هذه القرى بعيدة عن النهر ونفع في ذلك
 السهل الخصيب الذي كان يجب أن يغمره الفيضان وهي
 بجوار قناة تروى سفح الجبل الليبي - وعند معارده اسبوس
 فيه ، يوجد الهرم منسدا للاله « مين » في منطفة اسره الحالية
 على ساقه ايتد ، في الدرك (١) التي كانت تستخدم كمرفأ
 بهرى نلسلع الواردة بالقوافل من شمال الفيوم ، كان يعبد
 سبك اله سمنو - حر - ويبدو تماما أن تلك المحطة ترجع الى
 الدولة الوسطى -

وفي حاضرة المقاطعة العشرين ، شن آخن Chenâkhen
 العتيقة التي كان يطلق عليها في زمن الاغريق كانتونبولس
 Canthonpolis ؛ لانها كانت تضم غيصات من اشجار السنبل
 المقدسة والتي تسمى حاليا كفر عمار ، كان يعبد اوزيريس
 بشعائر تطابق تماما عبادة بيبجة ، في الشلال الاول - ولقد
 حفلت بعض أشلاء الاله ، وهي ساقه (أو ساقاه) في غور
 عميق يقع دون ريب داخل غابة لا يمكن أن يصل اليها غير
 المؤمنين - وبالقرب منها كانت توجد جرة مثقوبة ، تضمن
 مجيء الفيضان جالب الخير ، الذي كان ينبع من الاله لاختصاب
 مصر الشمالية ، وكان يقوم ثلاثمائة وستون كاهنا على مر
 ثلاثمائة وستين يوما يحملون بها طهورا مع ماء النيل - ولقد
 رأى ديودور Diodore في ذلك أسطورة دن الدنايد (٢)

(١) يذكر اميليو E. Amélineau في كتابه « جغرافية مصر في العهد القبطى »
 أن هذه المدينة قرد على الدوام على أثارها مرغا يقع على النيل وقيل مرة انها كانت تقع في
 مقاطعة منف - ويضيف أنه على الرغم من هذا فإنه من المستحيل العثور على اسمها بين
 مدائن مصر وقراها ، في القرن الرابع عشر أو في العهد العالي - (المترجم) -

(٢) دنائيد Denaides -

كان دانوس Danaus أميراً مصرياً حاول اغتصاب التاج من أخيه اجبتوس
 Egyptus فأجبر على الهرب من مصر - ولما الى بيلوبيز وطرد من أرجوس الملك
 استينس Sténélus أبى برسى Persée واندرميد Andromède واستولى
 على ملكه - وكان لداونوس خمسة أبناء - ولأخيه اجبتوس خمسة بنات وقد أراد أن يزواج
 أبناءه من بنات أخيه فخطب أن يزوجهن من أمراء اقريق ويعقد العديد من التحالف معهم
 ويبلغ مزيدا من التامم - وقد أرسلهم الى أرجوس على رأس جيش لظلمة الطلب -

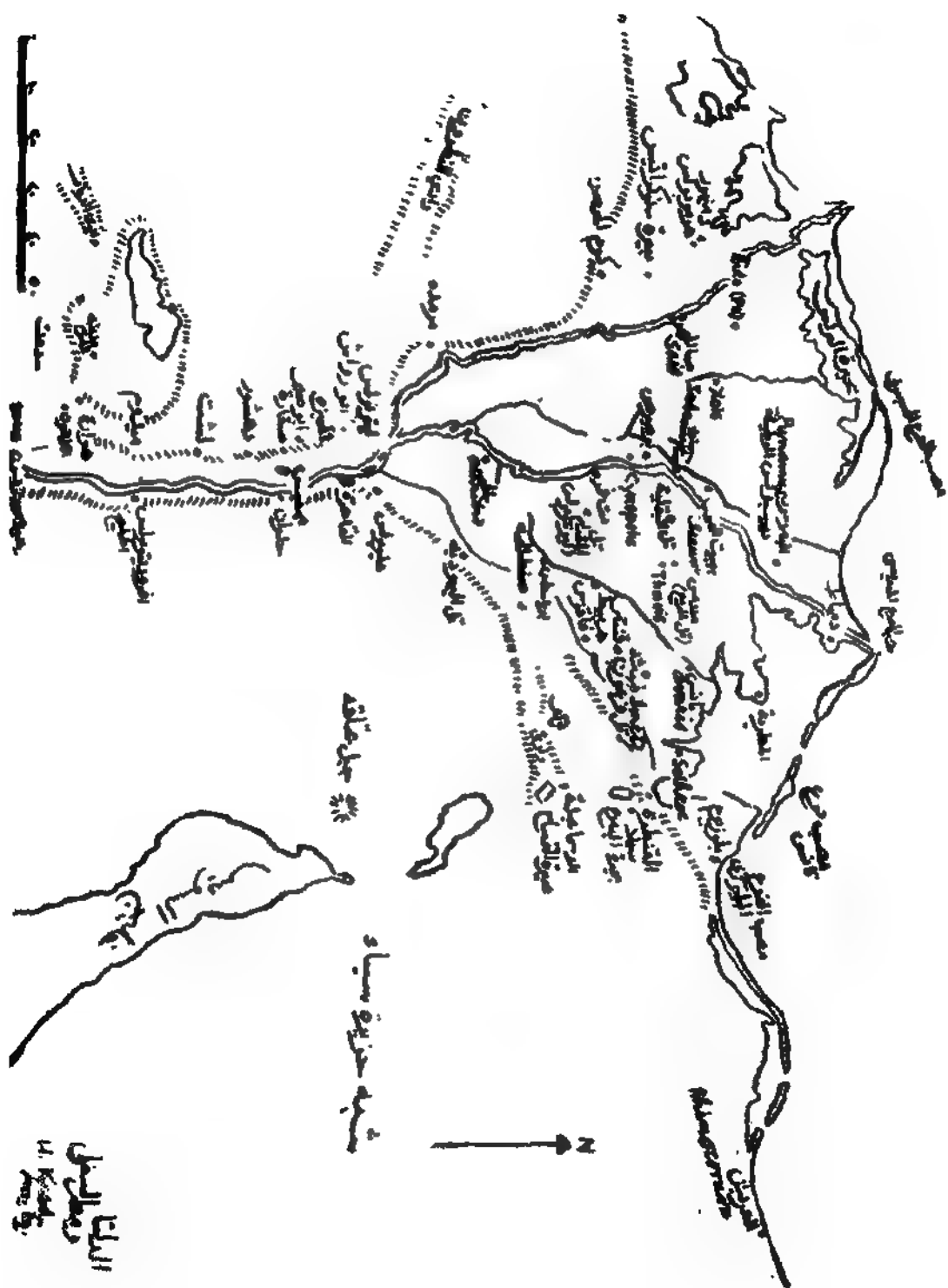
Danaïdes ، ويضيف كذلك ان اسطورة أفنوس Afnos كانت تقلد انشاء احتمال خاشع . اتنا لا نعرف الى اى عهد نرجع هذه الشعائر ، ولكن قديما كان الاله هو حتوم ، وقد قبل بمرورس . ان جبل منه ، بما دوزيريس . وثان الاله - الكيش الذى يراس حلات الميلاد يضع النموذج مثل التماثيل على دولا به ، وثان يعرف اينما بعت الموتى . وبهذه الصفة فان يطلق عليه فى فيلة : « ذاك الذى يضع النموذج على دولا به ، صانع النموذج جسم اوزيريس الالهى فى مسكن الذهب الحى » . وكذلك كان يطيب للناس ان يجعلوا موميائوات تلك المنطقة تمر بذلك المكان المتميز ، بطريقة تمكن اصحابها من الوصول ، فى احوال طيبة ، الى العالم الآخر .

وفى ذلك الجوار ، وفى المناطق المجاور ، كان يعبد فى سمنو - حر الاله سبك الذى امتدت عبادته حتى وصلت الى كرك القديمة .

كانت آخر مقاطعة فى مصر العليا تقع باكملها على شاطئ النهر ، الايمن . وفى الحاضرة وهى اطفيح الحالية ، التى كان يطلق عليها الاغريق افروديتوبولس Aphroditopolis كانت السيادة معقودة لالهة تسمى حاتور ، كما فى النجدين والقوصية ودندرة ، ولكن هذه لم تكن الا بعض المراكز العظيمة . وليس فى استطاعتنا الاشارة اليها كلها ، عندما يرى انه فى موكب من الالهات التى تذهب لحماية وتكريم شميرة المولد الالهى المحجوبة ، فى هيكل الميلاد الرومانى فى دندرة ، يمكن احصاء تسع وعشرين الهة حاتور ، زيات أماكن مختلفة .

هـ ووافق دانوس لعجزه عن المقاومة ولكن عمل على ان تتسلح بناته بخناجر يفتيتها تحت ثيابهن ليذهبن أزواجهن فى الليلة الاولى من زواجهن ، وتم هذا وعلت نساءهم منهن عن زوجها .

وأصدر جويتر العقاب على أولئك البنات القاسيات وهو أن يملأن لى الأبد نجا مقبوا . ويذكر استرابون أن هذا القصص لم يكن الا قصة رمزية تاريخية . ان الأميرات اللواتى جئن من مصر الى أرجوس حملن منهن استخدام القنوات لمرور مياه الأنهار والرياح ، المعروف جيدا فى مواطنهن - (المترجم) .



الفصل الرابع

● آلهة الدلتا ، المحلية

إذا كنا نسرع الخطى فى اجتياز مصر السفلى ، فليس مرجح ذلك انها أقل اكتظاظا بالمعبودات عن الجنوب ، ولكن لأن الوثائق التى توجد فى شدرات أو تكثر فيها الفجوات لا تسمح باستجلاء كامل لعلم لاهوتها . وكذلك فإن الرحلة أقل يسرا عنها فى مصر العليا ، حيث يكفى ترك القارب ينساب فى تيار الماء . ثم انه لا يوجد فى السهل الفيضى المسيح أى تقسيم جغرافى واضح كل الوضوح ، لهداية السير . وأسهل وسيلة هى بلوع البحر من جهة الغرب وبعد ذلك زيارة الشمال والوسط ثم المودة الى عين شمس من جهة الشرق .

كانت الدلتا تبدأ عند المصريين فى منف . ويعلم المرء أن المدينة كان يطلق عليها « ميزان - القطر - المزدوج » . لقد كانت معلما يبين موضع التوازن بين شطرى الوادى . ولم تكن الآلهة تنقصها ، وكان أقدمها عهدا يدعى تاتنن وهو الاسم الذى كان يفسره المصريون « الأرض التى برزت » . وليس من غير المستحيل أن يكون هذا هو المعنى البدائى لاسمه ، لقد كان الها أرضيا يصور متربعا فى جلسته وعلى رأسه تاج مكون من ريشتى نعام تستقران على قرنين أفقيين ويمسك سوطا بيده . انه يستعوذ ويجعل المعادن تنبت فى الجبال ، ويجنى النباتات والمياه من لدنه . وقد تصوره الها أزليا وخالقا . ولكنه يصعب معرفة السبب فى أنه رب الاحتفالات الملكية التى تجرى كل ثلاثين

عاما ويطلق عليها « حب سد » . وفي غالب الأحيان تكون
وجوه نشاطه هي كذلك تلك بعينها التي يضم بها بتاح الذي
اتخذ هويته منذ أزمنة بعيدة باسم بتاح - ثائنن .

ولما رفع ميثا المدينة الى مكانة التكريم كحاضرة باسم
« الجدار الأبيض » - عبدت منف (١) - كما عرفت فيما بعد -
لأول وهلة الآلهة بتاح (شكل ٢١) ، الذي يتمثل وعليه كل
علامات اله محلي . ان شكله يتميز به الى حد بالغ : انه
يتدنى بنسيج يلتصق بجسمه ولا يترك بارزا منه غير يديه
المسكتين بصولجان يتألف من - عمود جدو « واس »
مجتمعين . وتعلى راسه فلنسوة تلتصق بجمجمته . ولا يد
انه كان رب القرية الصغيرة التي اختارها الملك ليقوم فيها
مقره ، في انسب موقع يشرف منه على الشمال وعلى
الجنوب . ويبدو أنه كان يرتبط ، منذ البداية ، بالصناع
الذين يؤدون مهام حرفهم وعلى الاخص الصناع والنحاتين
الذين سيظل على الدوام راعيهم . ان الذين كانوا يصنعون
الحلي في الدولة القديمة ، كانوا في غالب الأحيان أقزاما ،
وتمرضهم « المصاطب » وهم منهمكون في صهر الذهب أو
في انجاز صقل القطع الجميلة صقلا نهائيا . لقد كانوا في
حماية بتاح وكان لهم معبودات أو صياع ، أقزام ينسبونهم
الى بتاح Patieque (٢) وكانوا يمدون أبناء بتاح . ولذا ،
فان هيرودوت يعقد موازنة بينهم وبين الكابير Cabires (٣)

(١) تقع مدينة « منف » مكان قرية « ميت رعينة » الحالية بمركز البدرشين وقد
سميت « من نمر » ثم أسماها الأفريق مافيس وحرقها العرب الى منف - (المراجع) .

(٢) يذكر ارمات في كتابه « ديانة المصريين » الفصل العاشر أننا نجدها بوفرة بعد
الامبراطورية الحديثة ولكننا لسنا على ثقة من أنها كانت قد ظهرت خلالها وكانت تعتبر
كبتاح أو أبناء بتاح ويبدو أن هذا يدل على مصدر اسمها الذي نقله هيرودوت Patieque .

(٣) الكابيري ونسور الكابير البلاسمية الاعتقاد بأن النار في أشكالها الثلاثة المساوية
والحرية والأرضية هي أصل الأشياء . وكانت معبودات عظيمة في زمن بدائي تروى في
هذه الأسماء تعهد بالهيلية ولكن في الأساطير الشعبية وفي كلمات العامة موت مكانهم الى مرتبة
الشياطين Daemones وتعمل منهم بعض التلايد كمنة في العمود الأولى - (المترجم) .

بما أن الاله بتاح عنده هو هفايستوس Héphestos (١) .
ويبدو أنه كان يحتفل بشعائر محجوبة في المعبد الذي كانوا
يملكونه في منف .

كان بتاح يتمتع بشخصية الاله الخالق بوصفه صانعا ،
وربما كذلك بوصفه تاتبن ، الذي امتزج به في سرعة
وسوف نتحدث عن شخصيته تعالق فيما بعد ، وقد تكونت
له شيئا قشيثا امرة * وكانت زوجته « سخميت » (قبل
٢٦) . الالهة الرئيسي الذي كان لها وجه ليوة ، وجابت
تستقر على سرسها في عهد الامبراطور يد الهندية في بيبة
في حدس ديوت المسك بالمياه من تاذت جهات « اشيرو » *
هل كان مو لمتها الأصلي منب ؟ هل جاء من نووبولس ؟ اننا
لا ندري شيئا عن ذلك . ولكن سرانرها الشسود بالذمام
كانت تجعل منها « سيدة العرب » . وكان في قدرتها أن
تنهول الى باستب الواعد . التي كانت تمثل مظهرها
الهاديء * ولقد نان لدى كهنة أدفو شغيرة لتهدئة « سخميت »
وفدسلا عن هذا . نان يجب أن توجد في كثير من المبادس
الاندرى لأنه كان يتحتم ، دون انقطاع ، ادخال السكينة
عليها ، أولم تصنع مديحة عندما وكل اليها أن توقع
القصاص بالناس الذين ثاروا ضد رع ، الى حد أن استدعت
العدال اسكارها لايقافها ؟ ولقد كانت أيضا تصحبها حاشية
مروعة من الكوارث والأمراض ، حتى ان أفرادا هيينين من

(١) هفايستوس (Vulcan) : Héphestos

يرسم أشب السمر وله لحية ، وردائه يصل الى ما فوق الركبة وينحسر عن الكف
والذراع اليمنى * ويضع على رأسه قلنسوة مستديرة محبة * وفي يده اليمنى مطرقة
ويده اليسرى حديد ذات كلبين *

كان ابن جوبيتر Jupiter وجونو Juno (= زيوس Zeus وهيرا Héra) .
ولد قويا ونشيطا ولكنه كان يضع المنظر قلقيا به من السماء الى الأرض ، فوق على جزيرة
لنوس Lemnos واسابه المرج من جراء كبر سافه * وعيب به نساء الجزيرة وبسيفه *
وكان ماهرا كادحا واتخذ مساعة الحدادة وتخصص في صناعة الحلي والدروع والمناجل *
وفي أسطوره أخرى انه ولد من يوتو بمساعدة الريح * وقد ألقت به في البحر
لبشاعة شكله حتى يظل دائما في الأعماق * وظل تسع سنوات محاطا برعايه تيتس *

كهنتها كانوا اخصائيين فى مهمة شفاء الامراض : لأنهم كانوا يحيطون علما بالوسائل التى تسحر ربّتهم المخيفة .

ولقد كان يوجد اله قديم جدا ، فى نفس المنطفة وكان يدعى نفرتوم (شكل ١٦) . وكان يرمز اليه بزهرة اللوتس تملوها ريشتان . وفى غضون عصر الامبراطورية الحديثة ، اصبح ابنا لبتاح وسخمت ويؤلف النالوت الذى يصادفه المرء فى مثل تلك الوفرة فى اواخر قرون الدين المصرى .

وفى جهة الصحراء ، فى منطقة الجبانه التى تطلق عليها الآن سقارة ، كان يوجد مقر لاله جنازى ، منذ ازمنة بعيدة . وكان يدعى صوخراس (١) (شكل ١٦) ، وتبينه صورته فى غالب الاحيان براس صقر . وكان له قارب ذو شكل استثنائى : فى الامام ، كانت المقدمة المزودة بمجاديف عديدة جد متقاربة ، تمنحى صوب الداخل مزدانة براس مهاة بقرنيها الطويلين . وفى الوسط كان يوجد جوسق جزؤه الاعلى مستدير ويقوم بالحفاظ عليه نفر من الملائكة الحراس ويحتوى على صورة الاله محنطة . وسرعان ما استغرقت شخصية بتاح شخصيته . وعندما فرض اوزيريس نفسه كاله للموتى لما يقرب من مجموع القطر ، اصبح يدعى « بتاح - صقر - اوزيريس » .

وفى مدينة منف الناصة بالسكان ، كانت تزدهم اعظم العبادات تباينا . ولم يكن يوجد فقط ستة او سبعة آلهة بتاح مختلفة بل كذلك آمون اله طيبة او رع ، وفى حى برنوفى Périnoufé الذى كان يقطن به كمنانيون ، كانت توجد آلهة بعل وآلهة عشتار . ولا شىء يقدم فكرة عن هذا الحشد من الآلهة أفضل من فاتحة خطاب أنموذجى تكتب فيه

(١) هذه هى الصيغة الاغريفة للفظ skr المصرى الذى يعادل صقر فى اللغة العربية وقد أبدلت الكاف بالقاف - (المترجم) .

مغنية لحاتحور الى احدى رفيقاتها فى طيبة لتفخر ببدايع
منف . وهى تبدأ بدعاء لآلهة مدينتها موجه من أجل
مراسلتها :

« ها هو ذا ما أقوله لبتاح ، العظيم ، الذى يستقر -
الى - الجنوب - من حائله « سيد عنخ تاوى (= ممفيس) ،
ولسخت العظيم ، المحبوبة من بتاح ، ولسخت (٠٠٠) ،
ولنب حثبت التى تنتمى الى الباب - العالى ، ولبتاح الباب
القديم ، ولبتاح الذى يصنى الى الدعوات ، والى الآلهة التى
توجد فى داخل « بيت - بتاح » ، ولآمون - رع « سيد عروش
- القطر - المزدوج » وكبش برنوفر *Perinoufér* العظيم ،
ولآمون الذى ينتمى الى « مقر - الآلهة » ، وللتاسوع الذى
يوجد فى « منزل - بتاح » ، ولبعلات ولقادش ولعيت ،
ولبل - زعون ، ولسبد ، ولسمات سيده عنخ تاوى ، ولرع
(٠٠٠) ، ولبتاح « الجد » الجليل ، ولشمت ، سيده عنخ
تاوى ، ولبتاح على رأس تاننت ، ولبتاح تحت شجرة البان (١)
التي له ، ولنى ماعت رع الذى يتحد مع بتاح ، ولحاتحور ،
سيده - جميلة - الجنوب ، باسمها مثير ، ولسبك اله مرى
رع ، ولتويرس (تاورت) شجرة الكاكا (٢) ، ولسخت
رأس - الوادى ، ولآمون نبات الخس ، ولبتاح سيد اقامة
العدالة ، ولبتاح سيد حمو ، وأيبس ، فى منزل - بتاح ،
ولأنوبس ، القائم بالتحيط الذى يوجد داخل الخيمة -

(١) *Moringa* - اسمها العلمى *Moringa aptera Gaertn* اليسار (فجرى) -

البان ثماره منشورية تحتوى على بذور تشبه البندق الصغير وتسمى عند العامة الحبة
الغالية ولها زيت ثابت جيد - عن الدكتور أحمد عيسى - (المترجم) -

(٢) اسم شجرة الكاكا العلمى *Fam. Ebenaceae D. Kaki E. FIL*

راسمها بالفرنسية *Plaqueminier Zaki Coing de chine* ، وبالانجليزية *Kaki*
chinese dale عن الدكتور أحمد عيسى - (المترجم) -

ويرجع أصلها للمناطق الحارة . وقد عرف من هذه الشجرة أو النجده ما يقرب من
مائة وخمسين نوعا - (المترجم) -

إننا لا نتبع في كل مقدس الكاهنة التقيد العامة . ولكن
هذه الرسالة ذات مغزى : فعندما نستحوذ على أصغر وثيقة
دقيقة : فإن ما يشبه عشرين من الآلهة يعطى مدائن مسر
وقراها ، كما يكثر بين نهرائنا القديسون والسديسات .
وتوجد شواهد ترجع الى أقدم عهود على وجود نور الله
في منف ، ولكن يبدو أنه لم يعقد الصلة بينه وبين بساح
الا في عهد متأخر الى جد ما . انه بداية بدء ، كما جاء في
بردية هاريس Harris المسمية . با (روح) بتاح الخليفة ،
إي انه يمثل جزءا هاما من شخصية الاله . وبعد ذلك يطلق
عليه « رسول بتاح » ولكن ماذا يدل عليه هذا التعبير حقا ؟
إننا سنلقى غناء في تسميته : انه دون ريب منهبط وحي
أبيس الذي يعلن إرادة الاله وكذلك يتخذ العناية في امتداد
مذابحه بوفرة . وبهذه الصفة ، فانه يرسم في غالب الاحيان
مع ميتيفس (هاريس) Menes ثور هليوبولس الذي
كان يؤدي نفس الدور في حضرة رع ، أمام مواد القرايين
التي تهيأ لحورس في ادفو أو حاتور في دندرة . ولقد
جرت العادة ، منذ عصر الامبراطورية الحديثة على دفن عجول
أبيس في دهاليز مقابر سفلية تقع في داخل الهضبة الليبية
تجاه منف . وفي الغناء الذي كان يحيط سطح المنطقة

(٢) الاسم الديني المنفرد وقيل ان لفظ *Aegyptus* اشتق منه - (المترجم)

المقدسة ، أقيم فى عهد رمسيس الثانى مقدس لتقديم
العبادة الجنازية للثيران الموتى ، أطلق عليه « بيت -
اوزيريس - أبيس » وهو الذى نسخه الاغريق فى لغتهم
بلفظ بوسراپيس Poserapis . وفى زمن بطليموس الأول ،
أضيف اليه مقدس للاله سيرايس الذى كانت عبادته تعمل
على توحيد الاغريق والمصريين . ولقد كان هذا سيرايبوم
منف ذائع الصيت الذى عثر عليه ماريت عام ١٨٥١ ، مع
الطريق dromos اليه والبناء نصف المستدير hémicycle
الذى كان يحوى تماثيل الشعراء والفلاسفة الاغريق . ان
مجموعة أدراج البردى الديموطيقية والاغريقية التى قدمها
السرايبوم للمنقبين خفية ، فى بداية القرن التاسع عشر ،
تسمح بتكوين فكرة عن تصميمه أفضل كثيرا مما يمكن أن
يهيئه الموقع نفسه فى يومنا ، بعد أن أصابه الدمار ، وقد
عبدت الى جانب الآلهة التى صادفناها ، ايزيس وحورس
وعشتار السامية التى مثلت بجاتحور - افروديت ، وسخمت
وتحوت وآمون ، واموئس (امحتب) - اسكليپوس . وكان
الموظفون المحليون من مواطنين واغريق يشملون فى زمن
حكام بيت لاجوس الأوائل ، من كان يطلق عليهم كاتوخوى
Katokhoi ، ذائعى الصيت ، وكانوا وهم يمتزلون تطوعا
يقومون بخدمة الاله ، دون تجاوز حدود النطاق المقدس .

وعلى بعد ثمانية أو تسعة كيلو مترات الى الشمال
الغربى من القاهرة ، قرب حافة الصحراء ، تغطى قرية
أوسيم المتواضعة بقايا خم Khem ، ليتوبوليس Lethopolis
عند الاغريق . وقد كانت حاضرة المقاطعة الثانية فى مصر
السفلى . وكانت تمجد الها له مظهر مزدوج واسم مزدوج .
فأحيانا كانت له عينان ويدعى مخنتى - ارتى ، وأحيانا
أخرى يكون قد فقد عينييه الاثنتين وعند ذاك يدعى مخنتى
- ان - ارتى . ويتضح فى جلاء المنهج الرمزى لهذه الثنائية
فى الشكل :

ان صورته المقدسة هي شكل الاله الأفق
« خنتى - ان آرتى » فى شكله كمومياء فى منطقة الجفاف
« خنتى - آرتى » عندما تكون الشمس والقمر فى
محياء :

عيناه اليمنى واليسرى هما قرص النهار وقرص الليل
عيناه الالهيتان تنشران الضوء صباحا ومساء .

وبمبارات أخرى ، يكون لاله الشمس ، هذا الصقر
المحنط ، كما يرسم فى غالب الأحوال ، عيناه عندما يبرز
القمر والشمس . وهو يحرم منهما عندما يتوارى الاثنان .
ولكن من الراجح انه أقل قدما فى لتوبوليس عن الاله
الكبش خرتى ، وطبيعته خافية تماما هنا . ولقد مثل
« مخنتى - آرتى » بحورس فى شكل حرويرس (حرور) .
وكان يشترك فى الفاجعة الأوزيرية ، مما أهله لأن يظهر
فى مكان هام فى الفقرة التى جاءت فى نصوص الأهرام التى
يوجه فيها السباب المهين لجماعة الآلهة الأوزيرية . وكانت
الالهة التى قدمت اليه كشريكة تبدو للاغريق معادلة لالهتهم
Leto (١) ومن هنا جاء الاسم الذى أطلقوه على مدينة
« خم » التى كانت أهميتها الدينية كبيرة .

وبين الجيزة وأوسيم فى قرية يطلق عليها « اكمتا -
سبد » كان يوجد مقدس لاله شرقى الدلتا هذا ، ومن حول
لتوبوليس فى « خاس » وفى قرية « است » كانت تقدم عبادة
لسخمت . وبالتزام حافة الدلتا ، ولكن على مسافة أبعد الى
الشمال ، فى اتجاه قرية طرانة الحالية ، كانت المدينة

(١) Lalome — Leto :

ترسم وهي تحبل طفلها . على ذراعيها ، حاربة أمام الثعبان بايثون Python
الذى يطاردها . استيفت النيرة بيونو (Junen : Héra) لعب زيوس لها . وقد ضربت
فى الألفاق بحثا عن ملجأ وهي على وشك الرضخ . وترفق بها بنتون (بوسيدون) وبشرية
يردها أبرز من البحر جزيرة نيكوسى ولها اخرجت اهلل وديانا - (اللرجم) .

« ساخبو » تعبد حراختى (شكل ٦) وكان يرسم كائنسان له رأس صسقر يعلوها قرص الشمس . ووفقا لما جاء فى بردية وستكار Westcar ، قدر أن يكون هذا الاله أبا الملوك الأسرة الخامسة ، وعلى هذا كان له شأن فى العصر القديم . وكان يقدم التكريم أيضا الى حربوقراط (شكل ١٠) فى تلك المدينة التى هوت شيئا فشيئا فى مدرجة النسيان .

وعن كثب من طرانه ، يستوى كوم أبى بلو الذى يغطى طرينوثس القديمة . ان اسمها مشتق من الالهة ارموثس التى سبق أن صادفناها فى الفيوم . ولقد كانت تعبد فى تلك المدينة الريفية . ولكن ربة المكان كانت حاتحور سيدة الفيروز ، تلك التى تقيم فى عرض صحراء سيناء فى معبد سراييط الخادم ، حيث تتخذ على التوكيد مكان « بملات » سامية . ولا تزال بعض أجزاء من حيطان معبدها تقوم فوق ربه الركام ، كما تعرض كتل أحجار من الأسوار المهتمة الآن فى متحف بوسطن .

وعلى مسافة أبعد الى الشمال ، يغطى كوم الحصن القريب جدا من الصحراء والواقع فى موازاة مدينة طنطا الحالية ، موقع اماو القديمة . لقد اشتق اسمها من أشجار المكان المقدسة (ربما أشجار النبق) (١) ، التى كانت حاتحور سيدتها . وهناك ، كما فى أمكنة أخرى ، كانت تتخذ شخصية بقرة سماوية ، وعلى الأخص سقات حر « تلك التى تغذى حورس » . وكان يطلق على أحد الكهنة « المشرف على حرم ذوات الكمال (أو الجميلات) » . لقد كن كاهنات حاتحور اللواتى يقمن بدور فى شمائرهما المحجوبة ، الليلية ، التى لدينا علم بها فى مداود وفى دندرة وفى طرة . وكان المعبد الكبير يأوى أيضا « خنتى ختى » اله اقريب وحرسافس اله هيراكليوبوليس .

(١) Jubier اسمها العلمى Zizyphus Spina Christi Wills
وبى nbs بالمصرية وتقابل (نبق) العربية - (المترجم) .

وعندما نواصل السير صوب الشمال ، ملازمين على الدوام الجهة الغربية من فرع رشيد ، نبلغ نوكراتيس ، التي كان اسمها المصرى بامرى . وبخلاف المدينة التي تنازل عنها أمازيس للاغريق والتي كانت معابدها مخصصة لآلهة هلينية ، كانت توجد قرية مصرية أقيم فيها معبد للاله « مين » . وثمة حاتحور كانت تقيم فيها أيضا . ولو ان الاغريق كانوا قد تعرفوا بعض الآلهة المصرية على أنها آلهتهم هم ، فانه يكون من الشيق أن نلاحظ أنهم لم يقيموا معبدا لحاتحور - افروديت التي كانت مشتركة بينهم وبين الوطنيين .

وعلى قرب من دمنهور الحالية كانت تقع هرموبوليس بارفا ، ولا يبدو في الواقع لزوم الخلط بينهما . فليس مما يمكن تصوره أن مدينة هرمز توارث لصالح حورس ، الذى كان أقل شهرة لدى الاغريق . وقد اهتم أفلاطون عند مروره على هرموبوليس ، التي كانت على مسافة قصيرة من نوكراتيس ، بالاله تحوت الذى جعل منه بعد ذلك بزمان ، الشخصية الأولى فى الأسطورة التي بلغت حد الجمال والتي أدمجها فى محاورته المسماة « فيدرا » ، ولم يكن يلزم أن يختلف علم لاهوت اله الحكمة والعلم فى خطوطه العراض ، الا قليلا عن ذلك الذى كان ينادى به كهنة هرموبوليس ماجنا . فى عهد نقطانبو (نخت نبف) الثانى ، وكان يتخذ زوجة له « نحات تاوى » وربما ابنا له « حر نفي » حورس - الكامل . وكان لأوزيريس مقدس قريب من مقدسه . أما عن دمنهور واسمها هو انتساخ بالعربية للأصل المصرى فانها « مدينة حورس » .

وعندما نواصل السير ملتزمين الفرع الكانوبى ، تجاه الغرب ، تصبح الوثائق نادرة ، رغم أن المنطقة كانت تخص بالسكان فى العصور القديمة . ويجب الوصول الى قرية

راكوتس (١) حتى نجد مقدسا للثور أبيس • وعندما قام الاسكندر بتأسيس الاسكندرية في ذلك الموضع ، حُجبت روعة المدينة الملكية العظيمة ، ذكريات الماضي ولقد حلت عبادة سيرابيس محل عبادة أبيس أو امتزجت بها • ولم يبق من سرايوم الاسكندرية ذائع الصيت ومن مكتبتها ، الا موضعهما وتمثالان لابي الهول لا يكشفان لغز تنظيمهما القديم • وكانت تقدم لايزيس وأوزيريس عبادة ، يؤديها الاغريق عن طواعية لالهى خلاص انسانين وقربين منا • فضلا عن هذا ، فان الاسكندرية لم تكن على الاطلاق مصرية تماما • وكان يطلق عليها في العالم الاغريقى - الرومانى الاسكندرية الملحقه بمصر Alexandria ad Aegyptum ، مما يدل على أنهم تصوروا اضافة هامشية لمصر لا على أنها تؤلف جزءا من صميمها • وعندما حدث فى عهد بطليموس الثالث «أدرجت» (٢) ، أن نوعا من مجالس الكهنة تشكل ، بناء على رغبة البلاط فيما يرجح كثيرا ، لم يجتمع المجلس فى الاسكندرية ولكن فى كانوب ، فى معبد أوزيرى • وعندما أتيح للكهنة المصريين أن يسيروا وفقا لوى ذواتهم ، منذ عهد الملك التالى ، كانت المجمع المقدسة تجتمع فى منف •

وعلى أية حال ، كان يجب الافادة من المكان كمرفأ منذ زمن بعيد ، ولقد أمكن تحديد تنظيمات ، يبدو أنها كانت أقدم عهدا من تلك التى وضعها المقدونيون واننا نعرف أنه فى عهد أسرات هيراكليوبوليس ، أخضع ملوكها شطرا من الدلتا حتى البحر ؛ ليتمكنوا من الحصول على أشجار لبنان الصنوبرية التى كانت من مستلزمات المعاداة الجنازية وعبادة الآلهة • ويكون مغريا أن نحدد رحيل السفن المصرية من المرفأ الوحيد الذى كان على شىء من الصلاحية : راكوتيس • خاصة وأن كشفنا حديثا قد أثبت وجود معبد ،

(١) الاسم الاغريقى pa Kwlis يرجع ال الاسم المصرى رع قث وهو :
قودة - (المترجم) •
(٢) Evergète - صنائع الخير •

على بعد ٢٠ كيلومترا الى الغرب من مرسى مطروح وعلى بعد ٣٠٠ كيلو متر ونيف من الاسكندرية ، وكان معبدا مخصصا لآلهة طيبة ، داخل حصن يرجع الى زمن رمسيس الثانى . ولقد هيا المصريون لانفسهم مقاما فى هاتيك الجهات مع عباداتهم وتركوا فيها آثارا عديدة حينما اضطروا فى مناسبات عديدة الى ترك المجال أمام الغزاة الليبيين ، غير أن التطور البالغ الذى حدث فى منطقة الاسكندرية فى زمن الاغريق قد معا هذه الآثار تماما .

وكان يوجد فى كانوب ، التى تقع الى الغرب من أبى قير الحالية ، معبد ذائع الصيت ، لأوزيريس فى العهد المتأخر . وكانت تجرى فيه صنوف رائعة من الاستشفاء ، استرعت انتباه الامبراطور هديران ، حتى انه ود لو أنها تحدث فى قصره الصغير تيفولى Tivoli الذى يملكه ، وقد كان يحتفل بأوزيريس بحمله فى نزهة فى قاربه فى وقت اعياد الاله السنوية ، من معبده حتى معبد امون الذى لا بد انه لم يكن يبعد عنه كثيرا . واذا كان اسم كانوب المصرى لا تقوم شواهد عليه قبل الاغريق ، فان شهادة غربية جديدة بالانتباه أوردها اليوس ارستيد Aelieus Aristide وهى أن كاهنا مصرى أكد له فى نفس المكان أن اسم كانوب لم يشتق من اسم ربان منلاوس ménélas ، ولكنه كان سابقا له كثيرا ومعناه فى اللغة المصرية « أرض الذهب » . ان آثارا تذكارية مختلفة ، وكلها لا يرجع مصدرها الى مدن أخرى فى الدلتا ، يبدو أنها تؤيد هذه الأقوال : تماثيل ، وتمثال لأبى الهول لأنمحات الرابع ولرمسيس الثانى . ومنذ عهد قريب استخرج تمثال لأبى الهول من الكوارتز ولرمسيس الثانى من جبانة قديمة ، قريبة من قبو تحت الأرض مملوء بموميאות أبى منجل : مما يسمح بالظن بأن معبدا لتحتوت يوجد فى الامكنة المجاورة . وعلى هذا النحو ، تتكشف عبادات أقدم عهدا . ان اسما قام الاغريق بتفسيره وفق منهاجهم ، كما فعلوا

باسمى فرسيه Persée وأنتيه Antée يدعو هنا الى المجازفة
بأن نجدد شباب الموقع ، لو انا آخذناه بمعناه الحرفى .

لنترك كانوب ، ولنتجه صوب جنوبى بحيرة البرلس ،
لزيارة شاطيء فرع رشيد الآيسر . ففى أحراش الخاب ،
عظيمة الكثافة التى كانت تغطى ، فى الأزمنة البدائية ، هذه
المنطقة غير المحددة التى توارت شيئا فشيئا فى البحر ، كانت
آلهة - صل تستوى فوق ساق بردى ، تقوم بالحراسة .
وكانت تسمى اوتو (واجت) ، (شكل ٢٢) كما كانت
مدينتها بيت اوتو ، تسمى بوتو . وتستخدم النصوص
المصرية ، فى غالب الاحيان اسمين للدلالة عليها : بى ودب .
وفى الواقع ، فان مما يثير الدهشة فى تل الفراعين وهو
الاسم الحديث لمكانها ، رؤية مخلفات قريتين متجاورتين غير
مختلطتين وممبد معظم أجزائه التى مازالت باقية ، مزدوجة .
وكانت اقصى الشمال ، منذ بدايات الملكية ، هى الحامية
للملك . وعندما توحدت مع آلهة الجنوب « نخت » غدت
تستقر فوق التاج وتفنئ اعداءه بحرقهم . وبالإضافة الى
هذا فانه لما كان يدل عليها ، اسم اللون الأخضر الذى كان
يرمز للنمو والتفتح ، كانت أوتو (واجت) فى المعتاد ،
مصدر غوث ومرح . وقد تمثلت فى البداية بعين رع ،
بفضل الدور الذى كانت تؤديه فوق التاج ، واخذت هوية
ايزيس التى قدمت لها العون حقا عندما أخفت حورس
الصغير فى الفدران المجاورة لخمس ، لتنحيه عن حيل قاتل
أبيه . ولقد جعل منها الاغريق مماذلات لآلهتهم ليتو Leyto
وفى زمن هيرودوت كان المعبد يشتهر بأنه مهبط وحيها .

وعلى بعد ٢٤ كيلومترا ، الى الجنوب الشرقى ، كانت
توجد المدينة التى سماها الاغريق اكسويس Xoïs وهى
خاسوو (١) بالمصرية والتى ترجع اليها الأسرة الرابعة

(١) سخا ويرجع اللفظ الى اسمها المصرى - (المترجم) .

عشرة الوطنية ، على ما ذكره مانيثون . وكان ربها القديم «رع» الذى أصبح فى الدولة الوسطى آمون - رع - وكان يصحبه فيها تفتوت وشو . ثم تألف الثلاث فى عهد البطالمة مرة من آمون - رع وموت وخنسو - حر - اختى - الصغير . ولعل بعض هذه الالهة كان يأخذ شخصية البعض الآخر . وكانت تعبد فيها أيضا حاتحور .

وصوب الجنوب الغربى ، وغير بعيد من فرع رشيد كانت المدينة صا العجر (سايس) ، فى جميع الأزمنة ، أهمية دينية عظيمة . وعندما حاول تفناخت أميرها ، حوالى عام ٧٣٠ ، إعادة وحدة القطر ، ثم على الأخص فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، عندما أصبحت الحاضرة ، عرفت سايس شهرة بعيدة المدى . وقد ضاعف من أهميتها وجود مجمع من الكهنة الذين كانوا بلا شك علماء كثيرون النشاط . وفى عهد أسرة ملوك فارس نجح « أوجاحورستى » فى إعادة بناء « بيت الحياة » فى سايس وعلى الأخص مدرستها الطبية . ولقد أقام فيها افلاطون حينما من الزمن ومن الراجح جدا انه هو الذى وجه اليه أحد الكهنة الكلمة ذائعة الصيت والتي قيل انها قيلت لصولون : « أيها الاغريق ، انكم على الدوام اطفال ! والاغريقى انذى يكون مسنا ، لا وجود له ! » . ولقد أتيج لشامبليون أن يشاهد فناء معبد مقام باللبن . ولقد بدا له انه « خندق حصار جبابرة » . واليوم ، من المعبد ومن بحيرته المقدسة ومن قبر أوزيرس Osireion ومن قبور الفراعنة الصاويين ، لم يمد شيء باقيا . وتسمح بركة من الماء وسط حفرة منخفضة بظهور بعض كتل من الأحجار المتناثرة وتعكس السماء ، التى يبدد هدوءها البط والأوز .

ومع هذا ، فقد كانت آلهتها نايث (شكل ١٧) إحدى معبودات مصر العظيمة . وتذكر نصوص الأهرام وكذبت نصوص النواويس ، انها كانت تقوم بحماية أوزيرس والملك المتوفى ، مع أيزيس وسلكس (سركت) ونفتيس . وقد

كانت بالنة القديم • وكان رمزها سهمين متقاطعين ربما فوق ترس (١) • وكان معبدها البدائي ، عظيم البساطة ، يتألف من جوسق من الخاب بسقف متعن ، يحيط به فناء يضم أشجارا مقدسة • ومنذ الدولة القديمة يبين دعاء موجه اليها ، علماء اللاهوت وهم يتدبرون النظر في الصلوات التي تجمعا بأنه لا يذكر اسمه : « انها هي التي خرجت منه ، التي خرجت منك » • انها ام وفي الوقت عينه ابنة الاله ، في نوع من التناسل المتبادل • ولكن دورها كمحاربة بالسهم كان يتيح لها ان ترد أعداء رع ، الشمس ، وكذلك أعداء اوزيريس وأعداء الملك • ولن تفقد أبدا هذه الصفة • وقد كانت لها صفة اخرى اكثر غرابة وتنحصا ، فقد كانت تخدر بسهامها الاطيف والكاينات الشريرة ، التي تسمى في جنح الليل • ولهذا درجوا على نقش صورتها على الوسائد التي كانت تستخدم عند النوم • وكانت تقوم في علم اللاهوت المتأخر - بإصدار الأمر الى تيثويس والارواح الشريرة وكانت قادرة على السيطرة عليها •

وكانت تصور في العصر المتأخر وهي تقوم بارضاع تمساحين • ذلك انه كان معروفا منذ أمد طويل أنها كانت أما للاله سبك وكذلك لشو ولتفنوت • وقد كان هذا الرأي رائعا • لقد جعل من نايت آلهة للبدايات الأولى بما أن شو وتفنوت كانا أول مخلوقين جاءا الى العالم • وكانت أيضا أما لأوزيريس • وان الدلائل التي قدمها لنا الكتاب الاغريق من موضوعها لتنطوي على علم لاهوت دقيق تكشف العناصر المصرية المعروفة عن بعض جوانبه ، دون أن تتيح لنا تعديده على وجه التحقيق • ولكن نقوش اسنا التي نشرت وترجمت منذ عهد قريب ، تلقى ضروعا باهرا على ربة سايس • وتوضح محتوياتها أن كهنة لاتوبولس (اسنا) أفادوا من وثائق اصلية يرجع مصدرها الى الدلتا وتشهد رسوم أو

(١) يقول ارمان في كتابه (حياة المصريين) انه قوس - (المترجم) •

إشارات أدبية أكثر قدماً على أن المبادئ وأن وضعت لتناسب
الذوق السائد في العصر الرومانى ، فانها ترجع أساسا الى
حقبة سابقة له كثيرا .

وقد أمكننا أولا أن نحزر بعض قسيمات من علم
أساطيرها : فى البدايات الأولى تحولت الى بقرة ثم الى سمكة
لاطس (قشر بياض) Lates (١) ولما كانت قد شبيهت بالأبقار
السماوية البدائية ؛ فقد قامت بنجدة الشمس التى كانت قد
خلقتها عندما كانت غارقة فى العنصر الرطب .

لقد وضعتها على رأسها وهى فى مظهر البقرة «احت»
ثم سبحت وهى تحملها بوصفها « مثير » .

وفى معبد بوهن الذى يكاد يواجه وادى حلفا ، ترى
البقرة « احت » منذ زمن حاتشبسوت وهى تحمل رع الطفل
بين قرنيها . انها ليست أم سبك وشووتفنوت وحسب ولكنها
أيضا أم رع وأوزيرس اللذين ترضعهما كذلك فى شكل
تمساحين .

لقد أضفيت عليها مجموعة من الأوصاف الالهية ، ولنترك
مظهرها المحارب ، فقد كان يتيح لها حماية بطريقة نافذة
المفعول، خاصة وأنه كان يلبس التاج الأحمر تماما كما تفعل
هى . ان هذه الناحية من علم لاهوتها التى يبدو فيها الشكل
الادمى الى حد بالغ ، لا يجب ، أن يخفى ، أنها كونية كما
سبق أن رأى هسدا بروجش وبيرييه Pierrets على الوجه
الصائب :

انك القبة السماوية . .

تلك التى أنجبت النجوم ، كلها ، مهما كان مقدارها .

(١) لاطس Lates niloticus ، سمك فى النيل من فصيلة القشور serranidae

تعرف له فى مصر أسماء كثيرة منها للقنر واللغز وحصار البحر (معجم الحيوان ، أمين
المعلوف) - (المترجم) .

ومن الجلى أنها كانت ترمز إلى المكان الذى تكون فيه
رع • ولقد كانت كذلك سيدة الصحراء والأقطار الأجنبية
وخالقة كل ما يوجد فى باطن الأرض من معادن وأحجار
كريمة • لقد كانت هذا « الكل » العظيم • ولما كانت أقدم
من جميع الآلهة ، فى باطن المياه الأولى ، فقد جاءت للوجود
من تلقاء ذاتها • وهذا هو نعت أتوم أو رع الخاص بهما
على قدر ما هما أبديان ولكنه فى صيغة التانيث • لقد كانت
تستحوذ على الأبدية الفضائية والزمنية التى عبر عنها هذه
المرّة بصور لا تستعير شيئا من جماعة الآلهة الشمسية •

إليك التمجيد ،

عاليا كالسما ،

والتبجيل ،

عريضا عرض الأرض ،

والتهليل ،

فى كل لحظات الزمن !

ان تبجيل شخصك

يمتد حتى الأخضر العظيم (١)

انها سيدة الحياة الكونية

انها سيدة الصحة

والحياة رهن أوامرهما •

(١) الأخضر العظيم هو البحر ، وفى اللغة العربية الأخضر البحر (السلسل ص ٤

١٥٨ مجموعة « قرائنا » - (المترجم) •

ربما كان لهذا السبب انها كانت تقوم على حماية أوانى
 كانوب (١) الموتى وتمثلها صورة من أكثر صورها التي
 تملكها اغراء ، وهى تقوم مع ثلاثة من صواحبها ، بحراسة
 أوانى كانوب توت عنخ آمون . انها كانت تملك « كل
 القدرة » . والتي كانت تتجلى ، على الاخص ، فى « ازدواج »
 وقد كانت مذكرا ومؤنثة فى آن واحد . وهو ما عرفناه من
 حراپولون Horapollon . وتشرح هذه الامكانية انها كانت
 تستطيع ان تكون قدرة خالقة كالاله بتاح ، دون اية معونة
 خارجية . وذلك ، دون ريب هو السبب الذى من اجله
 لا نعرف لها أى قرين .

وكانوا يستخدمون التورية فى نطق اسمها القريب من
 النيبض ويقولون انها المحيط الأزلى وانها كانت سابقة للاله
 تاتنن والاله نون ، الذى يصبح ابنها وكذلك فانها هى
 الخالقة الوحيدة .

ان كل ما هو كائن خرج من نسلها

ولا يوجد كائن ولد خارج ما قامت بصنعه

(ترجمة سونيرون) .

تجمع النصوص أحيانا على انها خلقت الزمن وكل
 عناصره . كما تستخدم الأسطورة أحيانا . وكان من المسلم
 به أن اله الشمس رع هو الذى قام بعملية الخلق فى البدء .
 ثم ان نايت بعد أن نسلت الالهة الأزلية . دون أسماء
 ودون تحديد كامل لها قد أخبرتها سلفا بكل ما ستصنعه
 الشمس ، وقد كانت كلماتها خالقة . ولقد « لفظت » أيضا
 اسم « الشمس » وكان هذا معادلا لجعلها تظهر للوجود .
 واذا كان رع بعد ذلك قد خلق تعوت ، فانه كان من خلق
 نايت فى المرتبة الثانية . فهى فى النهاية منشنة جميع

(١) الأوانى التى كانت تحفظ فيها اعماء الميت بعد انتزاعها منه . (المراجع) .

مواضع الخلق المعروفة في مصر وكذلك الآلهة التي صورت
الخلق . لقد صنعت مصر ، مركز العالم ، بأكملها وكذلك
بوتو وعلى الأخص « دب » وسائيس واسنا وهذا دون حاجة
لقول . والآلهة رع في مظهره المزدوج كأمون القديم وكخنوم
وجماعة الآلهة هرموبوليس الثمانية التي لا غنى عنها وأتم ،
وهي أم لأوزيريس ، النبات المتكاثر .

ما أبعدنا عن الارشادات الهزيلة التي كان علينا ان
نقتنع بها ! . حين نرى تمثال الفاتيكان حامل الناورس
naophore : يسميها أم رع التي أسهمت في ميلاد جميع
الآلهة . حقا ان التمثال الشافى المحفوظ في اللوفر يحدد
أنها كانت أما لعورس ، وهو ما يؤدي الى تشبيهها بايزيس .
كما ان ترانيم الصلوات في اسنا تشبهها بسوئس (الشمري)
وبسشاش وبمنحيت وبنبوت وبموت وبنخبت وبسخت
وبنوبت وبوررت وبحاتحور وبياستت . وهذا يجعل منها
المعبودة الواحدة ، التي ذابت في شخصيتها الآلهة والآلهات ،
لهذا نفهم تماما لماذا استطاع يملك أن يذكر في « الشعائر
المحجوبة المصرية » ذات التقليد المذكور في المقدس والمكتوب
بالهيريوغليفية في مدينة سايس المصرية : والذي يقول ان
اسم الآلهة معناه ذاك الذي ذاع في العالم كله .

واذا رحلنا عن سايس ويممنا وجهنا صوب الشرق ،
على نفس خط المرض مجتازين المزارع اليانعة والقنوات ،
فاننا نصل الى ممنود الحالية ، على حافة فرع دمياط . لقد
كانت في القدم سبنوتس Sehenyts ، العجل الالهى ، مهد
ملوك آخر أسرة وطنية . والتي غدا أنورس - شو ، ابن رع
ربها وسيدها وحتى لو سلمنا بأن العجل الالهى ، الأكثر
قدما ، كان يمثل حورس ، فقد كانت قرينته تفنوت التي
مثلت بمحيت أو بياستت . غير أن أوزيريس وايزيس كان
يقيمان بها أيضا .

وليس فى الواقعة ما يستغرب عندما يعلم أن هذه البلدة تقع فى منتصف الطريق بين مدينتين متقاربتين ، بهبيت الحجر الى الشمال واسمها القديم اسميوم Iseum مقر ايزيس ، وأبو صير (بوصيرص) الى الجنوب « جدو » وطلع أوزيريس ، ومن هذه المدينة الأخيرة لم يعثر الا على تل من التراب تقبع فوقه قرية حديثة • ومن اسميوم ، لا تزال توجد كومة من كتل الجرانيت تزخر بها رسوم دينية • وهذا هو كل ما تخلف عن معبد عظيم يرجع تاريخه الى الملوك المقدونيين الأوائل وان كان الها المدينتين بالنى القدم • ولقد أشرك أوزيريس (شكل ٢١) فى (ابو صير) باله يدعى عنجى ، لم يغمره النسيان تماما ولكن شخصيته محتها ، الى حد عظيم ، شخصية رفيقه • على أن الاسطورة الأوزيرية هى واحدة من أعظم الأساطير التى خلفتها مصر القديمة ، اثارة للمشاعر • ان معالمها الجهرية توجد منذ عهد الأهرام ، ولكن لم تصل الينا قصة متصلة لأحداثها فى المصادر الوطنية • ويجب أن نحللها وفقا للمجالة التى صنفاها بلوتارخ عن ايزيس وأوزيريس •

ولقد ولد أوزيريس وحرويرس وست ايزيس ونفتيس على هذا الترتيب، من نوت الهة السماء فى خلال أيام النسيم الخمسة، ولقد تزوج أوزيريس من ايزيس وست من نفتيس • وعندما أصبح أوزيريس ملكا ، علم الناس الزراعة وتربية الماشية والفنون وعلى وجه الاجمال الحضارة • ولما لم تكن لست قدرة على الخلق ، فقد أتاه النجاح ، بمعونة شركائه المتواطئين معه ، على أن يورد أوزيريس موارد الهلاك وذلك بأن حبسه ، بطريق الحيلة ، فى صندوق ألقى به فى اليم • وعمدت ايزيس وقد ألت بها الفجيرة الى البحث عن الجثمان وفى خاتمة المطاف وجدته فى ببلوس التى رسا فيها • ولقد نمت شجرة خلتج (١) حول التابوت ووقته بخشبها • وانتهت

(١) Erica, arborea - خلتج ، اريشى

E. Aegyptiacus - زبل الفار - ربحان لاسد ، عن معجم النبات الدكتور أحمد

عيسى - (المترجم) •

الحال بالآلهة ، بعد أن حازت على عطف ملكة المنطقة ، بأن تستعيد جثمان زوجها الذى حملته الى مصر • وفى أثناء ذهابها لبوتو ، لرؤية حورس الصغير ، وجدت البعثان ، الذى كانت ايزيس قد أخفته ، وجزأه الى أربع عشرة قطعةلقى بها فى النهر • ولقد أخذت ايزيس على عاتقها البحث عن الأجزاء المختلفة وأقامت قبرا فى كل مدينة عثرت فيها على جزء منها • ولكن بلوتارخ ، حتى لا يفشى أسرار الشماثر المحبوبة يمسك تماما عن الإفصاح بأن ايزيس نجحت فى إعادة الروح الى بقايا الاله وأحيت زوجها الذى كان عليه ، منذ ذلك الحين ، أن يحكم الأموات • ومع هذا ، فإنه يضيف بأنه أصبح لها من أوزيريس ، بعد موته ، « حريقراط » الصغير ، مما يفهم منه أن أوزيريس عاش من جديد ، ولقد قامت بين حورس وست سلسلة من المبارك والمناظرات انتهت بالانتصار النهائى لحورس المنتقم لأبيه •

ونستطيع - من الناحية الشكلية الخالصة - أن نجد - بفضل متنوع الصيغ البديلة التى أوردها بلوتارخ أو جمعت من التلميحات المصرية ، أن علماء اللاهوت عانوا مشقة فى ادماج حورس فى جماعة الآلهة الأوزيرية • لقد كان حورس (راجع الأشكال ٦ ، ٩ ، ١٠) الها للسماء سحيق القدم ، وراعى الملكية منذ عصر ما قبل التاريخ • وكان له شكل الصقر وكان يرتبط بمواضع محددة تمام التعديد ، مثل مدينة ادفو ، ومثل مدينة بحدتى أى تل البلامون فى الشمال • منذ البدايات الأولى ، هو حورس • وقد كان ، بوصفه اله الملكية ، المنظم الذى يدفع الفوضى والصعراء لأنه سيد القطر الاسود أى وادى النيل الخصيب ، « كيمى » • وكان له ، طوال الزمن عدو هو ست (شكل ٢٨) ، العقيم ، اله القطر الوردى اللون « دشرت » • وكانت المبارك التى قامت بينهما مروعة وعلى الرغم من انتصار حورس ، فإن ست لم يهزم هزيمة ساحقة على الإطلاق ، وكان الصراع يعود بينهما من جديد • وكان يبدو انه أثر

على الملكية ، عينها ، في نهاية الامر الثانية ، حيث أعلن ملك انه ست وليس الاله حورس . كيف أمكن النجاح في ادخال حورس القديم في الجماعة الأوزيرية ، التي كانت لاحقة له ؟ ان علماء اللاهوت لا تموزهم الشروح يتاتا . لقد ذهب تصـورهم الى أن ايزيس وأوزيريس قامت بينهما علاقات وهما في بطن أمهما نوت ، وأنه على هذا النحو ، كان حورس القديم ابنا لهما .

ومهما كان الأمر ، فان عبادة أوزيريس ترجع الى عهد بعيد القدم في شرقي الدلتا وربما كانت تقوم صلة بينها وبين عبادات آسيا القريية ، في عهد ما قبل التاريخ . انه إله الزرع بينما ست ، وقد توحد كذلك منذ عهد بعيد في نفس المنطقة ، هو إله الحرب والصعراء المجذبة . لقد تشكلت أسطورتهم ، دون ريب ، شيئاً فشيئاً ، قريباً من نهاية عصر ما قبل التاريخ . ثم حدث ابان ازدهار الدولة القديمة ان امتزجت بأسطورة حورس وست وتوحدت التقاليد وامتد سلطان أوزيريس من الدلتا الى مصر العليا حيث أقام في ابيدوس . ومن الجلي أن طابع الاسطورة الانساني العميق قد قام بدور جوهري في نشر العبادة . ان وفاء ايزيس لزوجها وحب الأمومة التي يملكها وصراع حورس للانتقام لأبيه والاستيلاء على ارثه كانت خصالاً من شأنها ان تلمس قلوب الأوفياء وتوسع دائرة المؤمنين . وكما ان أوزيريس قد أصبح الها للموتى ، فقد استطاعت ايزيس المثور على « دوام الخلود » ووفقاً لما جاء في ديودر ، كانت « المخترعة لكل حياة » كما قال التقى ازيدوروس Isidoros . لقد صنعت من أوزيريس بسحرها نموذج الموتى الذين استدعتهم لحياة سعيدة . وبفضلها كان أولئك الذين يتخذون هوية أوزيريس ، الذين يصيرون أوزيريس بالاشتراك في شعائره المحبوبة ، يجدون الحياة ويوطدون من جديد ليعيشوا الى الأبد . ولقد أصبح الدين الأوزيري دين الخلاص . وبهذه الصفة ، برزت كل الأسطورة الأوزيرية في نصوص الأهرام ،

المحصول على الخلود للملك • وفى الدولة الوسطى يرى المرء كل عامة الشعب يتمنون « التأزر » ، اذا جسرنا على المجازفة باستخدام هذا التعبير •

على انه لم يكن كافيا — لكى يتحول المرء الى اوزيريس — أن يتلقن الشعائر المحبوبة ويمارس الفرائض وإنما كان من الواجب ان يسير وفق المثل الاعلى الخلقى عند الاله الذى قدم للناس الحضارة • لقد كان اوزيريس اله الخير • وعلى هذا كان واجبا على الانسان الذى يريد التمثل به ، ان يتمرس بالخير • وقد كان على اوزيريس ان يحاسبه قبل أن يدخله حياة النعيم ، وفى عهد الامبراطورية الحديثة ، يقدم كتاب الموتى فى استفاضة ، قائمة الذنوب التى كان يجب ان يكون المرء مبرا منها حتى يمكنه أن يجتاز مظفرا المحكمة المروعة •

وبعض هذه النصال على أرفع مستوى خلقى : « لم اكن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بالأم ، لم أبعد اللبن عن فم صغار الأطفال ... » لم أجدف على الاله ، لم أمتلئ صلفا • وهكذا وسع دين اله (أبو صير) ، دون انقطاع ، دائرة اشياعه • والملوك الذين درجوا فى الأسرة الثامنة عشرة على وضع اوزيريس، يمثله الزرع النامى، فى قبورهم لم يتخلوا عن ذلك لصالح الشعب وحده •

وفى عهد الامبراطورية الحديثة خلع دين أمون على نفسه خصيصة خلقية جليلة كل الجلاء • كان اله الامبراطورية يحتم على الانسان احترام العدالة وأن يقترب بها اليه ، وكثيرا ما كانوا يعرفون اوزيريس — مستخدمين التورية باسمه « الخفى » — بأنه « ذاك الذى يستخفى اسمه » وذلك أن مقتضياتها الخلقية كانت متقاربة •

وإذا كان عدم جمع الوثائق كلها حتى اليوم قد جعل من
المسير علينا أن نتقصى تاريخ غزو أوزيريس للسماء
المصرية ، فإن المرء يطالع منذ العهد الأثيوبي توسعا بالغيا في
عبادة هذا الاله - ففي الكرنك ، يحيط معبد آمون بهياكل
من كل نوع وينتهى بأن يستحوذ فيه على معبد مولده - ان
أربع عشرة أو ست عشرة مدينة تحتفل ، في ورع شديد ،
بأعياد البعث في شهر كيهك وقد أقامت ايزيس في كل منها
ضريحا بعد عثورها على جزء من الجثمان المقدس .

ولقد ذكر تعدادها في عناية ، في الورد المحفور في
أحد القبور الأوزيرية في دندرة ، وقد كانت ايزيس تحتل
الى جوار زوجها ، مكانا هاما . ان الأم التي تستدر الشفقة
وهي ترضع الطفل فوق ركبتها بعد اغتيال الاله ، كانت
صورة تثير المشاعر الى حد بالغ جعلها تأخذ مكانها في
القلوب . وفي عهد أسرة لاجوس اجتاز الثالوث الأوزيري
حدود موطنه الضيقة .

ولما لم يكن للأغريق ما يعادلها فقد تبناها في يسر .
وقد كانت لها معابد في ديلوس في القرن الثاني ق م ،
وفي بومباي ، توجد معابد وبيوت وآثار قد نقشت عليها
مراحل تطور دين ايزيس في ايطاليا .

ولقد جاء عرض لها في قصة ابيليه دى مادور Apuléo
de Madaure . ووصلت الى بلاد الغال وشطوط الراين ،
شمال - شرقى الامبراطورية ولم تخل مكانها الا للمسيحية .

وفي مصر نفسها ، يمكن تقصى المنعطقات التي ارتفع
بها أوزيريس وايزيس - اللذان لم يكن لهما الا دور ثانوى ،
على غرار كثير من الأرباب المحليين غيرهم - الى مرتبة الهة
الكون . ان مغزى الأسطورة ، في السواقع ، واضح كل
الوضوح . ان أوزيريس ، اله الزرع يموت أثناء فصل

الجفاف • ويفطى الفيضان الأراضي الصالحة للزراعة.
ولا يبرز من المياه غير القرى أو الصحراء الصهباء وحيثئذ.
يكون هو المظفر •

ولكن ايزيس تعيد للحياة زوجها ، ومن جديد ، تعمل.
الأرض على أن يخرج النبات فيحيا ويأتي بالثمار، على شريطة
أن يسود القطر النظام • وكذلك يرمز اوزيريس الى
الحضارة • انه هو « الذى يرمى ماعت فى ارجاء الشط
المزدوج (مصر) والذى يضع الابن على كرسى أبيه ، الذى
لا يكف عن تقديم الحمد لابييه جب والذى لا يكف عن حب
امه نوت » • انه يتقاسم مع رع حق توطيد ماعت وربما كان
له هذا الحق منذ القدم • وفضلا عن هذا ، فانه يمد الها
ازليا منذ الدولة الوسطى • وحكمه كوني ويمتد فوق الماء
والهواء وحياة الزرع والتربة والسما • لقد مثل برع
نفسه واصبح الها خالقا دون ريب فى اثر الاله الشمسى •

وكذلك اضيفت عليه نعوت أموت : انه « ملك الآلهة ».
او بالمعنى العرفى « الملك الجنوبي والشمالي للآلهة » • هو
فى كلا بشة فى النوبة « ملك مصر العليا ومصر السفلى ،
الوصى ••• حاكم جميع الآلهة ، الذى خرج من الرحم
واليورائس على معياه وقد خلق قرص الشمس فى رحم
أمه » • ومنذ عهد الامبراطورية الحديثة ، كذلك ، تصوره
فى شكل ينتمى الى مذهب وحدة الوجود (١) ، الذى كان قد
تاكد فى الدولة الوسطى :

ان تربة الأرض فوق ذراعيك ،

وأركانها تستقر فوقك ،

حتى عمد السماء الأربعة •

(١) Panthéisme - مذهب وحدة الوجود • مذهب من يجعلون الله والعالم شيئا
واحدا وله صورة مخالطة باختلاف الفلاسفة - (المترجم) •

وإذا تحركت ، فإن الأرض ترتعد ...
إن كل ما يوجد فوق الأرض
يظل فوق ظهرك
وكل شيء يستقر فوق عمودك الفقارى •
انك أب الناس وأهمهم
انهم يعيشون بانفاسك
انهم يطعمون لحم جسمك ،
والاله الأزلى ، هذا هو اسمك •

ومنذ الدولة الوسطى ، كان له أسماء متعددة • وفى
عهد البطالمة ، يشير كتاب دعاء وردت فيه أسماء جميع
الآلهة ، فى جلاء ، الى أنها اسماء اوزيريس ، المعبود
الأصلى •

ولم تكن ايزيس ، من جانبها ، مدينة بشيء لزوجها •
من الجائز أنها كانت فى البدايات الأولى الهة سما • وعلى
أية حال ، فإنها منذ زمن مبكر جدا ، اتخذت شخصية الهات
أخريات وفى العهد المتأخر أصبحت عند المصريين ، قبل أن
تصبح فى العالم الاغريقى - الرومانى ، معبودة كونية ،
وفى طيبة ، يعلم الكهنة أن « أفق السماء الغربى بين ذراعى
ايزيس ، والشرقى بين فخذيها » وفى دندرة « أنها
جاءت للوجود فى البدء » مما كان يجعل منها الهة أزلية •
وهناك يقوم معبد حاتحور المقدس الذى ولدت فيه ،
« فى ذلك النهار الجميل لليلة الطفل فى مهده ، ذلك العيد
العظيم الذى يعم نطاق القطر بأجمعه • وقد ولدت ايزيس
فى دندرة أنجبته « ايت » المبجلة (وهذا اسم لنوت) فى
هيئة امرأة سوداء ووردية ، ممتلئة حياة ، عذبة الحب ،

وقد قالت لها أمها (نوت) عندما رأتها : «كونى خفيفة (از)»
لدى أمك!» وهذا هو السبب فى أن اسمها كان ايزيس» (١) -

ان هذا الاشتقاق ليس افضل مما يجرى عليه المحدثون
ولكن له ميزة ان به ، على الاقل ، رشاقة ورقة ، وهنا أيضا
تذكر النقوش الدور الذى أدته الالهة فى الخلق - لقد غدت
ما كانت ستؤول اليه ايزيس ابيليه Isis d'Apulée انها فريدة
تماما على شاكلة ايزيس مدينة ماضى أو ايزيس بردية
أو كسورنخوس Oxyrhinque (البهنسا) :

« انها » ننحبت « فى الكاب و » تاننت « فى هرمونش
(ارمنت) و « ايونيت « فى دندرة و « ايزيس » فى أييدوس
و « سشات « فى أونت ، و « حكت « فى انطينوى . . .
و « نايت « فى سايس . . . وسيدة فى كل مقاطعة ، انها هى
التي توجد فى كل مدينة ، فى كل مقاطعة مع ابنها حورس» *

انها لا تختلف عن نايت أو عن غيرها من المعبودات
المصرية المحلية ، بما لها من ادعاءات ، غير أن من المؤلم أن
نرى هذه الادعاءات لدى آلهة نازعت مشرا ونازعت المسيح
على السيادة الدينية فى عالم البحر المتوسط .

فى استطاعتنا أن نجتاز فى سرعة شرقى الدلتا ، الآن ،
ونهبط الى هليوبوليس - ذلك أننا لن نجد مصادر تتيج لنا
أن نعيد تكوين لاهوت مماثلة ، وإذا سرنا الى الشمال ،
والى الشرق من فرع دمياط ، نجد تل البلامون الحالى يحتل
موضع سام - يحدث ، موطن حورس ادفو * وهو ، اله مصر
السفلى ، الذى ناضل ست ، اله أومبس ، وكان قصارى أمره
أن تغلب عليه فى كل مكان ، أو استبعده * وكان يرسم فى

(١) وقد عبد صنم فى الجاهلية باسم اسيه - (المترجم) *

شكل قرص بجناحين منشورين • ومع هذا ، فقد كان عليه ان يرجع القهقري أمام جار مقلق له ، هو آمون الذى كان يقيم على مقربة منه مع موت وخنسو • وعندما نغبر النهر صوب الجنوب • فاننا نصل الى طما - الأمديد ، منديس القديمة حيث كان يعبد كبش يدعى « الكبش - سيد - منديس » • على انه يحتمل - فى الواقع - أن يكون الكبش قد أخذ مكان تيس قديم له قرنان أفقيان انقرضت سلالته فى الدولة الوسطى ، فقد كان هو وحده الذى يستحوذ على مثل هذه القرون • لقد كان انه الخصب والتناسل • وكانت قرينته الالهة حاتمحيث التى ترسم وفوق رأسها سمكة •

وصوب الشرق ، وعلى بعد قرابة ثلاثين كيلومترا ، فى خط مستقيم يغطى موقع صان الحجر ، فسيح الارعاء ، مدينة تانيس القديمة ، التى شيد بها ملوك الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والواحدة والعشرين ، معابد باللغة الالهية • وكانت معبوداتها آمون ورع وبتاح وست وأتوم وأوتو (واجيت) • وكان يتقبل العبادة فيها ايضا ، حورون وعنات ، وهما من أصل سامى • وكانت عنات تستحوذ فيها كذلك على معبد شخصى • غير ان هذه الالهة لم تكن لها - كما نرى - خصائص الالهة المحلية • ويبدو أنها تجمعت بإرادة حكام كانوا يرغبون فى تطور تلك المدينة فى الدلتا ، نظرا للصعاب التى يمكن أن تقوم فى الشرق • وكان لست الذى تعرف الهكسوس شخصيته فى معبودهم الأصل الذى لا شك فى أنه بمل ، مقر هو الآخر فى هاتيك المناطق وعلى الأخص فى مدينة أفاريس الممقوتة ، التى كانت أمراتهم تحكم منها مصر « دون رع » • وعلى مسافة أبعد الى الشرق ، فى ثارو ، التى يرجح أنها القنطرة الحالية ، على حافة قناة السويس ، كان يعبد حورس فى رفقة أوزيريس وإيزيس • وفى العودة صوب الدلتا ، كانت شدونو القديمة ، فاربيثوس pharbaïthos وهربيط الحالية ، مركزا لعبادة حر

مرتى « حورس ذى العينين » - وكانت هاتان العينان وهما ،
الشمس والقمر ، قد انتزعتهما ست منه فى خلال معركة ثم
إعادهما اليه تحوت - انه يشن قتالا مع المارد أبوفيس الذى
تعرفوا هويته فى العهد المتأخر فى ست ، بينما كان ست
قد حارب فيما سبق عدو الشمس -

ويبدو أن حاتحور - ايساس وأوزيريس كانا الهين
شريكين - وعلى مسافة أخرى الى الغرب ، كان يوجد فى
ليوننتوبولس - تل المقدام الحالية ، معبد « الأسد - ذى -
النظرة - المتوحشة » ميوسس - ويبدو أن الاله لم يكن بالغ
القدم - انه محارب يصارع مع رع ضد أبوفيس - وهو
يقدم أحيانا على أنه اله شمسى وتنسب اليه نصوص اغريقية
خصال اله ريح وعواصف -

وكان يربى فى معبده « أسد - حى » ، وكان يدفن فى
خريح قريب ، وكان ميوسس يعتبر ابنا لباستت التى كانت
جارية له - وكانت باستت تسود دون منافسة فى بوباسطة ،
حيث كان لها معبد عظيم ، توارى اليوم -

لقد كانت معبودة ترجع الى عهد بعيد القدم ولكن من
العسير تعريف شخصيتها لأنها أحيانا تكون قطعة وأحيانا
أخرى لبؤة وكانت منذ نصوص الأهرام ، تمثل بالهات
أخريات - ومع هذا فان ، ما كان يبدو أنه يغلب عليها هو
الوداعة - وكذلك كان يقال عن حاتحور ، « انها سخمت فى
النضب وباستت عندما تكون فرحة » وكانت تقام من أجلها
أعياد تطابق عيد الفسوة الحاتحورى ، وقد وصف هيرودوت
مظهرها فى القرن الخامس وذكر : « انه يتناول أثناء هذا
العيد مقداراً من نبيذ العنب أكثر مما يتناول بقية العام » -
وكان المعبد يضم قطعاً مقدسة -

وقد عثر على مومياوات لها وكذلك على عدد لا يحصى من
التمائيل الصغيرة البرونزية التى تمثلها - وفى النهاية ،

آلف الكهنة ثالوثا كان آتوم يقوم فيه بدور الزوج وموسيس.
أوحد - حنكو بدور الابن .

ومن بين معبودات وادى الطوميلات ، يجب على الأقل
أن تكون لنا معرفة بالمعبود الأعظم أصالة - « سيدو » رب
صفط الحنة باسيدو القديمة - ويحمل هذا الاله - الذى
يمت الى اصل اسويوى يرجع الى عهد ما قبل التاريخ - لحية
سامية كامله كثيفة وليست لحية الآلهة المصرية النابتة عند
الذقن وحدها ويعلو راسه تاج وریشتان معدبتان لهما مظهر
اجنبى يلاحظ كذلك فى منزله الذى يشده حزام ، ولذا كان
سيد البلاد - الاجنبية وسيد الصحراء الشرقية - وقد امتد
نفوذه ليس الى آسيا الدانية والى شبه جزيرة سيناء وحسب ،
ولكن كذلك الى ساحل البحر الاحمر حتى القصير . وقد
اعاروه رأس صقر حورس ليبدو فى مظهر اكثر مصرية
وشينا فشيئا ربطته عوامل التمثيل بحراختى وشو
وموسيس .

وعندما نعود صوب منف (ممفيس) ، فائنا نصل الى
ليونتبولس أخرى ، تدعى تل اليهودية ، تكريما لذكرى
المعبد المنافس لمعبد اورشليم (بيت المقدس) الذى قام
بتشييده أونياس والذى أغلقه فسبازيان Vespasian وكانت
تقدم العبادة فيه لشو وتفنوت ، ولكن من العسير القول ان
عبادتهما المحلية كانت قديمة ، بينما كان هذان الالهان - كما
يبدو - شخصيتين لاهوتيتين على وجه الخصوص .

ونصل فى خاتمة المطاف ، الى هليوبوليس « مهد كل
اله » ، كما جرى عليه القول ، فى الدولة الوسطى . ولاشئ
أعظم مدعاة للأسى من أن معبد تلك المدينة توارى تماما ولم
تبق الا مسلة سنوسرت الأول ، التى تشير الى مكان المعبد ،
مع أن عمائرهما الدينية كانت تنافس عمائر طيبة ومنف .
لقد شاهدها هيرودوت فى تمام بهائها وقدم اليها أفلاطون

ليناقش كهنتها • وكان يوجد بها بخلاف معبد رع ، الذى كان طول احد جوانب فئانه يزيد على ألف متر ، معبدا أتوم وحورس • وكان يطلق على المدينة اسم « أون » يضاف اليه « رع » أو « الشمال » للتفريق بينها وبين هرمونثس (ارمنت) او دندرة • وفى البداية كان أتوم سيدا لها : انه اله للعالم السفلى وكان حيوانه المقدس النمس ، ودون ريب ، تبان الماء (١) وقد كانت هذه السمكة ، على اية حال ، هى النى تصور على الصناديق الصغيرة المصنوعة من البرونز فى العصر المتأخر والمرتبطة بعبادتها • لقد كان أتوم ارليا وخالقا • لقد تجمع مضملا - كما كان يقال بالتورية باسمه - فى باطن المحيط الاول • ثم ظهر تل الرمال الذى استلغ الوقوف فوقه لخلق اول زوج • ولقد تمرفوا هوية ذلك التل فى الحجر « بنين » ، الذى ظهرت فوقه الشمس •

ولكن ما يميز مدرسة هليوبوليس هو طابع تفكيرها النظرى وقد تبنت فى البداية - ولا تدرى كيف حدث ذلك - الى جانب الاله أتوم ، الاله رع الذى يحمل اسم الشمس ، عينه ، فى اللغة المصرية • ولهذا فان هويته جليلة تمام الجلاء • وقد كان أيضا الها خالقا ، démiurge على شاكلة أتوم الذى يحتمل أنه استعار منه أكثر من قسمة مميزة • ولكنه أضفى عليه طبيعته الشمسية فكيف أمكن تنظيم وجود هذين الالهين معا ؟ لقد ذهب تصور الكهنة الى أن أتوم كان شمس المساء ، قريبا من (اتمام) نفسه على الأرض بينما رع كان شمس الظهيرة ، فى السمات • وكان يكفى خاق شكل من شمس الصباح ، فكان الاله خبرى « ذاك - الذى يجيء - للوجسود » يمثله جمل يكتب اسمه بنفس الحروف الأصلية • وكذلك ، يقرأ الانسان فى ورد يرجع

(١) anguille اسمه العلمى Anguilla vulgaris. Eel انقليس وانكليس (يونانى معرب) سمك فى المياه العذبة والبحر الملح يعرف فى الشام بالجنكليس ومع مصدر بتبأن الماء - معجم الحيوان - أمين المطوف - (المترجم) •

الى عصر الامبراطورية الحديثة وان كان مضمونه يرجع الى
عهد أبعد قدما :

التحية لك يا أتوم ! التحية لك يا خبرى !
لقد جئت للوجود فوق التل الأزلى ،
لقد ظهرت فوق الهرم فى معبر العنقاء فى هليوبوليس *
وأخرجت من فمك شو وتفنوت *

وفضلا عن هذا ، كان رع يرتبط بعراختى العتيق ،
حورس الأفق . كما كانا - فى غالب الاحيان - يمتزجان
باسم رع حراختى الذى كان يرسم كإنسان له رأس صقر
يحمل قرص الشمس فوق رأسه . ولم تكن هذه المعبودات
الثلاثة تشكل فى الماضى غير معبود واحد ، فى نظر علماء
اللاهوت . ويمكننا أن نحدد تاريخ تطور رع ، بفضل هذه
الأسباب التى تربطه بالملكية . وقد نجح فى عهد الأسرة
الرابعة فى فرض نفسه الى جوار اله الامبراطورية ، بتاح ،
وأضاف الملوك الى قائمة اسمائهم اللقب الجديد « ابن رع » *
وتعرض اسطورة كيف أن الملوك الثلاثة الأوائل فى الأسرة
الخامسة كانوا أطفالا بأجسادهم ، وتعتبر الأسطورة عن ذلك
بمصطلحات يتبين فيها المرء تكييفنا لموضوع يتصل بالصلاة
يطلق عليه فيما بعد « المولد الالهى » . ونحن نعرف صيغة
منه ذات طابع عتيق جدا ، من عصر حاتشبسوت وكانت
ما تزال تقدم فى صورة تتضمن تعديلا طفيفا خلال الأيام
التي كان أنطونيو وكليوباترة يريان فى ذاتهما تجسيدا
لالهة الاغريق *

كيف حاول علم لاهوت هليوبولس تنظيم جماعة الآلهة
وتوحيد هذا العالم الالهى ، الذى لا نهاية له ، اننا سنرى
هذا على التو . يجب أن نضيف فقط أن ثورا ، يشبه العجل
أبيس وهو منيوس (مرور) ، كان يكرم فى هليوبوليس

ويطلق عليه كذلك فى زمن متأخر « رسول رع » . وكانت له مهام تشبه تماما مهام ايبس . دون ان يعرف مثل تلك الشهرة الواسعة . واخيرا فان البلشون الرمادى ، الطائر بومى (بنر) الذى نسخ بالاغريقية Phoinix (وهو العنقاء) عرف شهرة واسعة . وعلى الاخص منذ ان قص هيرودوت مغامراته الاسطوريه .

هكذا ينتهى حجبنا للمعابد المصرية . وقد كان فى قدرتنا ان تضاعف وقفاتنا الى مالا نهاية ، فما توجد قرية فى الوادى ، لم تستحوذ على معبد لها ، مهما كان شأنه متواضعا ! ولقد تلبثنا فى بعض الامكنة التى كانت موضوع بحوث حديثة ، غير مستهدفين سوى توضيح كثافة التقاليد الدينية . عندما تسمح الوثائق بأن نعيد تكوينها . وقد يحدث احيانا ان تكون الكتابات الادبية فى احدى المدن وفيرة ، تتيح لنا ان ننفذ الى اعماق خصائص احد الآلهة ، كما يحدث نقيض ذلك فى احيان اخرى . حيث توجد عبادات لابد انها كانت على درجة عظيمة من الاهمية ، لا يمكن ان نعرف الا النزر اليسير عنها لنقص المعلومات . ان العلم بأن قديسا يكرم فى احدى كنائسنا لا يسمح الا قليلا ، بمعرفة عبادته وشخصيته ، فى حين ان الشيء الذى يجب الوصول الى التثبت منه هو قدمه وأصله . أى قديس من بينهم ، يحتفظ فى كنيسته بأحجار يرجع تاريخها الى عصر سابق للمسيحية ويملك احيانا مزايا ما تزال قادرة على التأثير ، فى احد وديان جبال البرانس يوجد هيكلمنمزل ، شيد فى القرن الحادى عشر آدمج فى بابيه مذببح نذور عتيق مقام للاله المحلى . وقد أقيمت كنيسة للعدرام « نوتردام » معلقة فى سطح أحد جبال الجنوب العسية فوق سقيفة حجرية (دولن) (١) من عصر ما قبل التاريخ . كما

(١) Dolmen - اثر يتألف من حجر عظيم مستو فوق احجار منحوتة . قائمة .
تكون غرفة دفن . فى عهود ما قبل التاريخ - (المترجم) .

أن كاتدرائية سوراكيوز **Syracuse** بنيت داخل معبد للآلهة أثينا ، وتسمح دراسات تجري في عناية بأن نرى ما اذا كانت الاعياد التي يحتمل بها لهولاء القديسين او القديسات والقدرة التي تنسب اليهم لا ترجع الى زمن بعيد في عهد ما قبل التاريخ او في العهد التاريخي . لقد امكن وضع كتاب عن القديسين ، خلفاء الآلهة ولقد لاحظنا اننا مهما رجعنا الى اعماق تاريخ احدى العبادات و العقائد في مصر ، فاننا لا نصل بتاتا الى حالة سابقة للمصرية ، ولكن ، على الاكثر في استطاعتنا احيانا أن نستشعرها مملفاً . وكذلك فليس في قدرتنا أبدا أن نلمس تغايرو جذريا بين مرأس ديني ما ، وبين علم اللاهوت الشامل ، وما أندر أن يحدث أن نجد بعض القسمات الخاصة التي نجد أسبابا لنسبتها الى مدرسة محلية ! . على أننا لا يمكن أن نكون على يقين تام من أننا أصبنا الحقيقة ، وعلى أية حال، فاننا لا نصل الا الى آراء دينية مزجت وأعيد مزجها واختلطت بكل علوم اللاهوت الأخرى وتأثرت بالكثير من جانب شعب قديم جدا ، ولم تبذل المحاولات لتوحيدها وحسب بل ولاعطائها شكلا واحدا ، وقد أعيدت صياغتها الى الحد الذي يصبح معه من العبث الاعتقاد بإمكان الرجوع الى المصادر الأولى . فهذه المصادر تقع قبل اختراع الكتابة وتخفي علينا كل الخفاء . ومنذ الأسرة الثالثة ، كان المصريون الذين دونوا كتابة النصوص الدينية أو صنفوها ، قوما على درجة بالغة من التحضر والتهذيب فسروا على أسلوبهم وعرضوا على نهجهم ، الأساطير والشعائر وعلم اللاهوت . ولن يتاح لنا الخروج من الكساف الذي نسجوه لمعتقداتهم ، ويبدو لنا أنه سيكون وهما تاما أن نعتقد امكان الوصول بالتحليل الى اكتشاف عناصر غير قابلة للايجاز .

الفصل الخامس

● التحديد اللاهوتى

من بين القوى الالهية التى كانت تعبدها مدن مصر وقراها ، قوى كانت تعبد فى كل مكان مع انه لم يكن لها معبد فى اية جهة . وهى المعبودات الجغرافية أو الزراعية أو الآلهة المألوفة . كانت تقدم للنيل قرايين فى جبل السلسلة وفى الفنتين وفى شمال ممفيس عند منبع نيل مصر السفلى . وفى زمن هذه الأعياد ، فى الوقت الذى كان يصل فيه الفيضان ، كانت تغنى الأناشيد التى تؤكد مصدره الأسطورى : لقد كان ينبع من المحيط الأزلئ . وكان هو نفسه ذلك المحيط الذى جاء ليخصب مصر . ولكنه ظل خافيا : « ان المكان الذى يقيم فيه ليس معروفا . ولا يجد المرء كهوفه بفضل نجدة الكتب » ولم يستطع المصريون وفقا لما جروا عليه ، أن يحجموا عن جعله الها أزليا لقربهم الكبير من المصادر الأولى : انك الأوحى الذى يخلق نفسه ، أنت ، يا من لا يعرف جوهره . (ترجمة برجيه Berguet) . ومنذ نصوص الأهرام ، كان الكتب يرددون الأغنيات للماء الذى يجلب الخصب والذى يحمل الحياة للقطر .

أما معبودات المراعى والحقول ، فهى أكثر غموضا ولم تكن تحمل الا أسماء مشتركة تدل على أشكال جغرافية محددة . وكانت تتناوب - فى الأجزاء السفلى من جدران المعابد - مع آلهة النيل البدينة المكتنزة فى حمل القرايين . ولقد التحق بها اله النسيج وآلهة أخرى ، غيره . ولكن

تبرى إله الخنطة وأمه ارموئس إلهة الحصاد التى سيؤول الأمر بها ، عند هذا الشعب من الزراع ، الى أن تصبح إلهة القدر والمصير ، انضماما بعد ذلك بزمان وجيز . وكانت ارموئس ترتبط بشعبان منذ ابعد العصور القديمة . ولقد كان هذا الزاحف هو الذى يحدد اسمها فى الدولة الوسطى ، وقد صورت براس شعبان فى قبر خامحات (خع ام حات) فى طيبة . تتخذ - فى أغلب الأحيان - شخصية إحدى الالهات التى تشرف على عمليات الوضع فى هياكل الميلاد وتظل ، أساسا ، سيدة الصوامع والمخازن ، التى عهد إليها بالسهر على وفرة الغذاء . ان هذه المعبودة تذكرنا بالآلهة المساعدة عند الاغريق « ديمون » (١) وبآلهة الزراعة عند الرومان . ان هذه المعبودات تقف فى منتصف الطريق بين القوى السماوية وبين البشر .

لم تكن هذه الآلهة وحدها ، ففى المنازل وكذلك هياكل الميلاد حيث كان يحتفل بالمولد الإلهي ، كانت توجد معبودات مألوفة ، حاميات الميلاد والنساء اللاتى يضمنن ، والاطفال . كانت « توپرس » (تاورت) الآلهة التى لها شكل فرس النهر « ومسخت » التى كانت تمثل فى شخصها مقعد القرميد الذى كانت « تستريح » عليه السيدة للوضع ، و « بس » القزم المشوه الذى كانت حاتحور قد جلبته من منطقة « بوجم » الجنوبية ، والذى كانت حركاته تثير ضحك الفال الحسن . وكانت تماثيل هذه المعبودات تنحت فوق الكراسى ذات المساند التى كانت تعد للجلوس عليها ، أو على أخشاب الأسرة . وكانت هناك تمويذات وفيرة العدد تسمح كذلك بحملها ، وعلى الأخص فى العصر المتأخر .

(١) فى نطاق ديانة الاغريق كانت توجد آلهة دون مستوى الآلهة النظام ومن بينها الديمون وهى التى تؤدى وظائف معينة لأن قدرتها ونشاطها تقتصر فى وظائف معبودة وقد اخترع لها اسم *Sondergott* أى آلهة اخصائية ومن أمثلتها « بطل » - « نكة الحراث » - « اونسوس » *Eunosius* « بطل الحصاد الجيد » و « بطل القول » الذى يعنى بالقول و « بطل اللادحون » الذى يشره على « الحقن فى الخلال » (المترجم) .

والملك نفسه ، ألم يكن لها ؟ انه يدعى الاله الكامل ،
 فيما جرت العادة عليه ، وكان يسمى حورس وابن رع وكانت
 الشخصية الالهية التي كان يمتلكها ميتافيزيقية وقانونية
 فى نفس الوقت . كان هدفها تدمير السلطة الملكية قانونا .
 ولم تكن هذه الشخصية الالهية تنتزع شيئا من صفة الملك
 الانسانية . كان على هذا الملك أن يقدم الحساب للاله رع
 ولم يكن فى استطاعته ان يثتهك ، دون عقاب ، حرمة ماعت
 رمز النظام العام التى يجب تكريمها باقامة العدل والأمانة
 والصدق والاستقامة . وقد صار بعض الملوك الهة
 سماويين . كان امنوفيس الأول من عدادهم ويبدو أن
 رمسيس الثانى كان كذلك حتى فى أثناء حياته . ولكننا
 نجهل السبب الذى دعا الى هذه الترقية فى نظام ووظائف
 الكائنات . على ان الملوك لم يستأثروا وحدهم بامتياز
 التاله ، فقد اله كذلك رجال كانوا على الأخص وزراء مثل
 ازى ادفو وامنوتيس بن حابو وزير امحتب الثالث ، وعلى
 الأخص اموتس (امحتب) ذائع الصيت ، مهندس عمارة
 الملك زوسر ، الحكيم الذى مثله الاغريق بالههم اسكليپوس .
 وبينما كان للملوك الذين الهوا عبادة محلية ، محدودة جدا ،
 فى معظم الأحيان ، فان امحتب قد اكتسب شهرة أعظم
 ذيوعا ، وصلت فى عهد متأخر حتى الى فيلة ، حيث يمتلك
 معبدا بمحاذاة طريق الدخول dromos . وقد اله رجلان
 وكانت تقدم لهما العبادة فى بندرة ، فى النوبة . ولكن
 الأسباب الحقيقية التى من أجلها كانت تقدم لهما أنواع
 التكريم الالهى ، تظل غامضة . كيف تأتى ، على سبيل المثال ،
 أن الفرق فى النيل كان يمكن أن يكون مبررا كافيا
 للتاليه ؟

الواقع أنه لم يكن يوجد بين الناس والآلهة — بمقدار
 ما يمكننا أن نحزر — اختلاف فى الطبيعة . كان يبدو أن
 الاله يستحوذ فى استكمال ودوام ، ان لم يكن دون نهاية
 فعلى الأقل لآمد دلويل ، على ما كان يستحوذ عليه الانسان

جزئياً وفي وقت عابر ، ولهذا فان هذا العنصر الجوهرى للشخصية وهو « الكا » المعادل للاسم ، والذي يصاحب الإنسان دون انقطاع ، كقربين ، كان الآلهة يستحوذون عليه أيضاً ، ولكنهم يستحوذون على عدد منه : فكان لرع أربعة عشر « كا » . وكان « البيا » ، وهو الجزء السماوى الذى يرتبط بالضوء وبالشمس ، يملك قدرات اعظم لديهم . وفى غضون الحياة الانسانية ، كانت هذه العناصر كانها محتجزة فى الجسم . وكان فى استطاعة الآلهة اطلاق مراحها وكان واحد منها يملك العمل فى استقلال تام . وهذا هو ما توحى لنا به طائفة من النصوص المتأخرة التى تعرض كيف حضرت الآلهة الى معايدتها :

« عندما يند جلالته من السماء فى زمنه المحدد وبعد ان يكون قد تامل هذا الأثر التذكارى الجميل الذى صنع لكاه ، فإنه يعوم فى شكل انثى صقير بلون الفيروز ، تحيط به حاشيته عن كل جانب من جوانبه . ويستقر فوق جسمه فى فئاته المقدس . وتتحد « باه » مع تمثاله - « بس » . ويسر قلبه عندما يكون قد نظر شكله » يتهلل وجهه أمام صورته الالهية » .

كان على أحد الكهنة فى عيد السنة الجديدة ، ان يجذب أولاً « الكا » الى التمثال وهو يعانقه ، أى ، وهو يقوم بالحركة التى تصور كلمة « كا » فى الكتابة المصرية . ثم يعرضه لأشعة الشمس بينما يعمل الكهنة على احضار « البيا » الذى كان يتحد على هذا النحو ، « بالكا » ويمضى كل شئ وكان العناصر الالهية كانت تشترك فى موكب سماوى ، لا علم لى به ، يجتذبها اليه جمال الآثار التذكارية التى أعدت لها . ولكن بينما يكون « البيا » فى ضوء الشمس أو فى حضرة اله الشمس ، يكون « الكا » فى مكان آخر فى السماء ، بما أنهما يكونان فى حاجة الى الالتقاء معا . وكذلك كان للآلهة - على شاكلة الناس - « بطن » و « قلب » بمعنى « الفريزة »

و « الذكاء » اللذين تصوروهما شبيهين ببعض الأشياء بأعضاء
الجسم البشرى .

وكذلك ، افليس مما يبحث على الدهشة ان الناس
سموا الى ان يصبحوا آلهة ليظفروا بالخلود ؟ واكثر من ذلك
فقد كان عليهم ان يصيروا على شبه الآلهة الاربيه المعصم .
لان غيرهم « ليسوا خالدين وليسوا غير قابلين للمعاد » .
لقد تحطم أوزيريس تحت وقع ضربات ست . وفضلا عن هذا
فما يوجد معبد ، له شيء من الأهمية ، ليس له فى الجبل
المجاور قبره المعد للموتى من الآلهة . كان لادفو قبرها وقد
أشارت اليد النقوش مرارا عديدة . وهنا ايضا يقدم
بلوتارخ شرحا وافيا « بأن جسومها ترقد بيننا ، مدفونة
ويقدم لها التكريم ، بينما ارواحها تستقر فى السماء ،
نجوما لوامع » . لقد تقاسمت المصير الذى كان الناس يرغبون
الوصول اليه . وبالأجمال ، لم يكن يوجد الا اختلاف فى
الدرجة بين النوعين من الكائنات التى كان يتألف منها
الناس والآلهة .

ومع هذا ، فقد كانت توجد آلهة تختلف تمام الاختلاف
عن الآلهة المحلية والجغرافية أو المألوفة . انها كانت التجسيد
الخالص لأفكار عامة أو لعمليات ذهنية . وكان الطراز لها ،
الآلهة ماعت . انها تمثل التوازن الذى لا يفرق العالم
بفضله . وبفضلها يؤدى الآلهة والناس وظائفهم ، انها
المعيار الذى يجب أن يسير بمقتضاه هؤلاء وأولئك . وفى
عهد الامبراطورية الحديثة ، كان قربان ماعت يتلقى فى
مركز العبادة اليومية التى كانت تقدم لآمون ، عينه ، وعندما
كانت تقدم للاله هذه الهبة الأساسية ، كان الكاهن يتلو
أنشودة تسمح بتحديد صورتها . لقد كانت ابنة رع منذ
عصر الأهرام . ولم تكن تترك الآله وكل قربان يقدم له
يتخذ هوية الآلهة . وكانت إشارة مع الاشارات الواقية التى

كان يملكها هي الالهة نفسها . وعلى شاكلة الهة أفلاطون
فى محاورته المسماة « فيدرا » عاش آمون على ماعت وتغدى
بها لدرجة أن الالهة جعلتها تصل اليه . وأخيرا فأنها ضمان
وجود آمون « أنك على قيد الوجود لأن ماعت على قيد الوجود
والأمر متبادل » . وكان هذا ارتباطا بما لا فكاك له بين
الوجود الالهى وبين اعظم المقتضيات الخلقية عمقا فى
الطبيعة البشرية وجعل كل واحد منهما يتوقف على الآخر .
ولمرة واحدة ، يوجد لدينا فى اللغة المصرية عينها ، التعبير
المزدوج عن حقيقة ميتافيزيقية : فهناك من ناحية ، العرض
المجرد للفكرة التى قرأناها ومن ناحية أخرى ، الصور التى
يكون الهدف منها تأدية نفس الفكرة : فماعت تمعد بوجه
عام ، ابنة رع ، ومع هذا فأنها أحيانا تقدم أيضا على أنها
أمه ويحيى هذا فى نفس مجال النص . ومن الجلى أنه لم
يكن يوجد فى فكر محرر النص غير الرغبة فى التعبير عن
تبادل الرابطة التى كانت تجمع بين الاله والقيم الخلقية
الأساسية للكون وللعمل الإنسانى .

ولم يمنع هذا الوضع الميتافيزيقى المحكم الالهة من أن
يكون لها شكل خاص : أنها سيدة جالسة ، بوجه عام ، وهى
تحمل على رأسها ريشة تستخدم لكتابة اسمها . ويقدم الملك
هذا الرمز لمعبودة أحد المعابد فى مكان التكريم ، فى أقصى
نهاية قدس الأقداس ، على جانبى المحور : وهذا مما يمبر
تماما على أنه القربان الأساسى . ولما كان المصريون أوفياء
لنهجهم الفكرى فقد جملوها اثنتين : ولهذا توجد الهتان
ماعت ، فى « قاعة الحق المزدوجة » التى يحاكم فيها أوزيريس
كل المتوفين . وكان المؤمنون يعرفون أن آمون رع وماعت
لم يكونا الا شيئا واحدا . وهذا هو ما كان يتلوه فى قبره ،
نفر حتب ، كاتب آمون ، العظيم : « يا رع يا من ترضى عى
ماعت ، لجهتك انضمت ماعت . يارع يا من تطلع فى
ماعت ، ان ماعت تعانق كمالك . يارع يا من اكتملت فى
ماعت ، لقد ثبتت ماعت فى قاربه الالهى . يارع الفنى فى

ماعت ، انك تعيش عليها كل يوم • يارع يا من تنجب.
ماعت ، اليك تقدم ماعت • لا تكف عن وضع ماعت في
اتجاه قلبي حتى ارفعها صوب «كاك» لانني اعرف انك تعيش
بها • انك انت الذي خلقت جسمها • اني عادل وبريء من
الجور ، وما ارتكبت جريمة • أيها الآلهة ، أسياد «الماعتين» ،
لا تكفوا عن استقبال كاتب آمون العظيم ، نقر حتب ، في
سلام » •

ان علم اللاهوت هذا لا يختلف اساسا ، عن علم لاهوت
الدولة القديمة الذي كان اقل اسهابا : فقد كتب مناصر
للملك تيمتي في قبره : لقد انجزت ماعت من اجل سيدها •
لقد ارضيته بوسيلة ما كان يحبه • قلت الحق (ماعت) لقد
اقمت الحق (ماعت) عملا ، ولذا فان المرء لا تاخذه الدهشة
عندما يجد في الدولة القديمة طائفة من الآلهة ، التي ليست
الا تصورات عقلية محضة لها طابع أشخاص • والواقع
— وكما رأينا عند زيارة معبودات الحواضر — أن علم اللاهوت
قد حاول — منذ أبعد زمن يمكننا الرجوع اليه — أن يتعمق
الطبيعة الالهية وأن يفهم الروابط التي توجد بين ما هو
الهي وظواهره العديدة وكذلك بين العالم وعناصر الكون
والآلهة ، حتى ليجد الانسان ، دون انقطاع ، أن آلهة معنوية
بصفة خالصة قد اختلطت بالمجموعة الالهية الشعبية •
ولا شك في أن مدرسة هليوبولس اللاهوتية قد قامت في ذلك
بدور أساسي •

وكان يبدو من الراجح أن الكهنة شاموا أن يضيفوا على
الملك — قبلما يصبح مباشرة ابن رع نسبا منحدرًا في خط
مستقيم من الخالق ، بوسيلة تخضع له قانونا ليس قطر
مصر وحسب ، ولكن مجموع الكون • وكان هذا هو الذي
حدا الى تنسيق التاسوع الالهى • لقد رأينا كيف أن اتوم
جمع شمل نفسه بقدرته الذاتية في الفوضى السائلة لأول
مرة « ليظهر للوجود من تلقاء ذاته » • ولقد يبدأ يخلق ، دون

عون اجنبى ، لا الالهة المحلية التى لا طاقة لها على التخصص كثيرا . بل العناصر المكونة للعالم التى لم يكن من الممكن ان يوجد غيرها دونها وهى : الهواء المضىء « شو » والرطوبة « تفتوت » ، اللذان أنجبا « جب » الاله - الارض و « نوت » الالهة - السماء . وقد نسب لهذين الأخيرين انجاب السلف المباشر للملك اى اشخاص الأسطورة الاوزيرية : اوزيريس وايزيس وست وفتيس . وعلى هذا النحو ، حدث ان تألف بما يدعو للدهشة ولكن فى دهام ، تاسوع هليوبولس الانهى العظيم . وقد استدعت الحال أن يضاف اليه تاسوع صغير ، أكثر غموضا وتارجعا جمع فيه عدد معين من المعبودات الهامة كانت قد اجتازت منذ زمن بعيد حدود مسقط رأسها وهى : حورس اولا ولذن ايضا تحوت وانوبيس وكذلك شخصيات معنوية لاهوتية مثل ماعت . وهذه التجمعات القيمة لأنها كانت تسمح بتصنيف هذا العدد الوفير من المعبودات ووضع النظام فى الفوضى التى تشيع فيه ، نجدها فى أماكن عدة . وقد تبنت طيبة ، أيضا ، التاسوع ولكنها زادتته وشكلته بطريقة تختلف اختلافا يسيرا . وقد تألف فى زمن حاتشبسوت ، من « منتو » الذى كان يجيء فى المقدمة ، ثم أتوم ، وشو وتفتوت وجب ونوت وأوزيريس وست وفتيس وحورس وسبك وحاتور وتاننت ويونت .

ولم يشأ كهنة ممفيس ، وهذا راجح ، أن يظلوا فى المؤخرة ووضعوا فى احكام نظرية للخلق « بكلمة بتاح » التى كان لها دوى بعيد فى التفكير اللاهوتى المصرى ، بأجمعه . وقد بدأت بملاحظة عن كيف تسير عملية المعرفة (سيا) ، وعملية الادراك (حو) ، اللذين ألقاها كذلك :

« القلب (= الفكر) واللسان (= الأمر المنفذ) لهما السلطة على كل الأعضاء لهذا السبب وهو أن القلب يوجد فى كل جسم واللسان فى كل فم عند جميع الالهة وجميع الناس وجميع أنواع الحيوان وجميع الزواحف الحية . والقلب يفكر فى كل ما يريد واللسان يأمر بكل ما يريد . »

ونظر العينين وسمع الاذنين وتنفس الأنف لها صلة بالقلب .
انه هو الذى لا يخف عن انتاج كل معرفة - أما عن اللسان .
فانه هو الذى يردد كل ما يفكر القلب فيه . . وعلى هذا
النحو يتجزأ كل عمل وكل حرفة وما تصنعه الأيدي وسير
السيقان وحركة كل الاعضاء الأخرى اتباعا لذاك الأمر الذى
فكر فيه القلب والذى عبر عنه اللسان والذى لا ينقطع عن
خلق كينونة كل شيء .

ان الطرائق التى استخدمها اتوم فى القيام بالخلق .
تمثلت بالتصور العقلي والأمر بكلمة بتاح ، فهو قد تصور كل
شيء فى قلبه وحفنه بفمه « واذن فكل كلمة الهية جاءت الى
الوجود بالوسيلة التى فكر فيها القلب والتى أمر بها
اللسان . وعلى هذا النحو خلقت « الكاآت » . . . ان هذه
الآراء التى يرجع تاريخها على الأرجح الى الأسرة الثالثة قد
هيأت للفكر الانسانى امكان ادراك العالم الذى كان يبدو له
غير متناسق ، واذا كان العالم تصورا الهيا واذا كان الانسان
صورة الاله الخالق ، فهذا يعنى أنه يوجد بينهما امكان لتنفيذ
أحدهما فى الآخر . لقد كانت هذه لعبة صعبة جميلة .
لا ندهش لوجودها عند مفاصرى الملك زوسر . ثم اننا
لا نزال نجد صدئ لهذه النظريات حتى فى نقوش المعابد .
التي ترجع الى نهاية المهود المتأخرة .

الفصل السادس

● الاشراف والتوحيد

كلما وجدنا نصوصا أكثر صراحة تتيح لنا أن نزيد معرفة بلاهوت أحد الآلهة المحليين ممن اكتسبوا بعض الأهمية، وجدنا أنها تطلق على صفة «الأوحد» ، ولا شك في أن هذه الملاحظة لا يمكن أن تعبر في أكثر من حالة إلا عن رغبة في إضفاء مزيد من الجلال على رب الاقليم على نحو ما نفعل حين نقول عن أحد الأشخاص انه « فريد » لمجرد أن يكون لديه قليل من أصالة ملحوظة . ومع هذا ، فإنه عندما يسجل أحد النقوش قائمة مفصلة بأسماء كل الالهات التي تكون ، أساسا ، إيزيس ، فلا شك في أن واضعا قد تصور الوحدة الالهية وعلى الأقل ، وحدة الالهات . ويبقى أن نعرف ما إذا كان ظنه قد ذهب إلى أن كل الآلهة كانت « أوزيريس » وإذا كان بذلك قد اختصر الآلهة في اثنين فقط ، على أن من المناسب أن نشير إلى أن هذه النصوص ترجع إلى عهد متأخر جدا . كما أن من الممكن أن نسلم بتطور الفكر المصري ، في المهد الاغريقي أو الروماني تحت تأثير المبادئ الاغريقية خلال القرن الرابع .

ولكن نوعا من الأدب يخلص من هذا اللوم : هو أدب الوصايا الخلقية ، التي يرجع أقدمها إلى الدولة القديمة . ولقد أبدى دريتون Drioton منذ زمن بعيد رأيا بأن تلك التعاليم لم تذكر على الإطلاق ، إذا صح القول ، أسماء « جماعة الآلهة » ولكنها تحدثت على الدوام عن الاله ، على

وجه عام - فكيف يجب فهم هذا اللفظ ؟ لقد أجاب دريتون بأن المقصود هو « الله » وذلك هو مذهب التوحيد عند الحكماء - ورد كيس Kees : ان المقصود هو الملك ، وحين اثار انتباهه ضجيج جماعة الآلهة المحلية التي كان لها بعض اعضاء الحيوان ، لجأ - لكي يعطى النصوص التي لم يكن في استطاعته الفاؤها حقها - الى عبارة انتقاص لاسبيرو : « ان مصر عرفت عددا من الآلهة ، التي كان يطلق على كل فرد منها « أوحده » يوازي ما كان لديها من مدن عظيمة » . ترى ، هل فهم السبب اذن ؟

ويجب ان نلاحظ ، بادىء ذي بدء ، ان النصوص التعليمية عينها ، تستخدم احيانا أسماء آلهة معينة . ان اقدم صيغة لتعاليم بتاح حتب ، كانت تتضمن عبارة : « ان العدالة لها مكان التبجيل وتفوقها دائم ، انها لم تتبدل منذ زمن اوزيريس » . ولكن التعديل الذي طرأ عليها في الأسرة الثانية عشرة استبدل اوزيريس بذاك الذي خلقها . ومما يجعل مغزى لهذه الواقعة التي يمكن أن تكون عرضية تماما ، هو ان التعبير « تابع حورس » المعروف جيدا في اللغة المصرية ، يستبدل في فقرة أخرى بعبارة « تابع الاله » وهي اعظم ندرة . ان كل شيء يمضي كما لو كان يراد تعاشي ذكر الاله معين . ولا يوجد اسم علم واحد لمعبود في تعاليم آنى . ولكن مرة واحدة ، تذكر الآلهة في صيغة الجمع ومرتين يكون الموضوع « الهك » . ومما يدعو للمعجب انه في كتاب امنموبى ، الذى يعرض ارفع مستوى خلقى ، يوجد اعظم عدد من الآلهة . ولنترك جانبا « شاي » و « ارموش » اللذين يعنيان المصير وحسب ، وابوفيس وخنوم وليسا الا وسائل للحديث ، فيتبقى أن رع وتحوت ذكرا بالاشارة الى اساطيرهما ، وتلاحظ هذه الظاهرة في بردية انسنجر حيث يعرض مذهب للحكمة العميقة .

ومن الجهة الاخرى ، فانه فى السير الروحية التى خلمها
لنا خير من الاشخاص العظام الذين عاشوا فى عهد
الامبراطوريه ، يدرك المرء ان فقرات عديدة ليست الا
مقتطفات من اعمال تعليميه او نقلا معدلا عنها . والامر
لا يتعلق بموضوع الهة فرادى ، جاءت فى بقية النقش ولكن
بالاله على وجه عام . يسير « بكى » فى عهد امنوفيس الثالث
على نهج الحكماء ، ويقول انه « وضع الله فى قلبه واحاط
علما بقدرته » . وعندما تظهر الوصايا التى تتعلق بالعدالة
والاحسان ، منذ الدولة القديمة ، فانها تنسب ، فى معظم
الأحوال ، لله ، وقد أعلن حرخوف : « أرغب أن يكون اسمى قد
بلغ الكمال فى حضرة الاله العظيم » . ويقول رخميرع وزير
تحوتمس الثالث فى مجال نص مشابه : « لقد كنت
صادق القول أمام الله » . وفى قصص من أمثال قصة رجل
الواحة أو قصة سنوهى ، لا تستخدم الفقرات التى تنسب
الى الحكم الأدبية ، فى معظم الأوقات ، تماير أخرى غير
لفظ الاله .

امام هذه الوقائع التى لا تقبل الجدل ، ترجم دريتون
الكلمة المصرية بلفظ « الله » . وخلص — وكان على اليقين
محقا — توحيد الحكماء . غير انه لما لم يكن ممكنا انكار
تمدد الآلهة عند المصريين على وجه عام ، أضاف أنه بسبب
روح المحافظة الدينية ظل التصوران قائمين جنباً الى جنب
دون شك ، وأحيانا داخل الفرد الواحد ، ولا شك فى أن هذا
الرأى الأخير هو الذى لا يمكن التسليم به كما هو . ان أمثلة
كتلك التى ترجع لليونان القديمة أو للهند وحتى للهند
الحديثة ، تبين كيف أن توحيدا حقيقيا يمكن أن يكون له
وجود تحت مذهب اشراك ظاهر ، داخل وجدان دينى بلغ
حدا عظيما من النقاء دون أن يثير مشكلات ما . ولسبب
أقوى ، لا تجد نفوس أقل تقدما خطأ فى أن تفكر فى صيغ
من الاشراك . ان جميع درجات الضمير الدينى لها وجود
فى أى شعب . ترى ماذا كان تفكير سقراط ، حين طلب ،

وهو يموت ، الى قريطن Criton (١) أن يقدم ذبيحته ، دينا
 ابيض الى اسكليبيوس ، ذلك ان المرء يمكنه ان يتصور مذهب
 توحيد يقوم على انعزال عنيف ، واحتراما لتعال يكون فيه
 أى قبول لاقول تقليد دينى مهما كان شأنه ضئيلا ، يبدو كما
 لو كان وثنية . لقد كانت هذه حال التوحيد العبرى الذى
 كان يقوم الانبياء على حمايته . ولكن يمكن ان يتصور المرء
 ايضا فكرة تبدأ من طائفة من الالهة الى تصور ميتافيزيقى
 للوحدة الالهية . وفي هذه المرة ، تكون عملية تنسييمية
 طبيعية يمكن ان تجلب نفوسا معينة الى مذهب توحيد دون
 أن تقسره على الدخول فى صراع مع كل بيئتهم الاجتماعية
 والتنازع مع قواعد الصيغ الدينية التى أحسوا من خلالها
 ما هو الهى ، بدءا ذى بدء . فهنا لا يوجد تحول ولكن بالحرى
 صمود صوب مكان لا يبدو فيه أن الالهة المعينة لا تجذب على
 « الاله الأوحده » ، ولكنها بالحرى لا تحمل الا قدرا ضئيلا من
 الالهى الذى يتركز فى موضع آخر . ذلك يتخطى التقليد
 لكنه لا يلغيه على الاطلاق . بل انه يترك قائما من أجل أولئك
 الذين لا يصلون الى التعالى به .

على هذا النحو كان يبدو مذهب التوحيد المصرى ، ومع
 هذا ، فقد جاء وقت فى تاريخ مصر الدينى ، أوشك أن
 يسود فيه التوحيد الخالص - الشبيه بالتوحيد الذى كان
 لدى الأنبياء العبريين - فقد كان هناك ملك يدعى أولا
 أمحتب (أى لتكن آمون راضيا) غير اسمه فجأة الى اخناتون
 وهو ما قد يعنى (ذاك الذى يسر منه آمون) وطارد اسم
 آمون الى حد أنه حطمه حتى فى ذرى المسلات ، وعلى وجه
 عام ، ألغى أسماء جميع الالهة وأرشد ، ويمكن أن يقال عن

(١) قريطن Criton :

كان من الترياء اثينا وتلميذا لسقراط .

وقد المرء افلاطون « محاورة » أطلق عليها اسمه هى المحاورة التى جرت بين سقراط
 وقريطن الذى جاء ووجده فى السجن ومرضى رد حريته اليه . واحتدج سقراط احترام
 القانون حتى لو كان غير عادل (القرن الرابع) .

طبيب خاطر ، بشر المخلصين له بمبدأ عقيدة اتون . ومن
الضرورى أن نضع موضع الاعتبار فى هذه الحركة عوامل
كثيرة . فقد ظهر جلليا ، من نصوص تل العمارنة عينها ،
انه كان يوجد سبب سياسى : هو وضع حد لقوة كهنة امون
وتقييد طموحهم السياسى بقيد جاد . ولكن هذا لم يكن
الدافع الوحيد للملك . وما كان ليقف فى مواجهة جميع
التقاليد الدينية القديمة الراسخة ، عند شعب ، لو لم تكن
لديه رسالة شخصية عليه أن يؤديها ، وتجربة فريدة كان
يجب الافصاح عنها :

انك تستقر على الدوام فى قلبى ،

لا يوجد أحد آخر يعرفك

سوى ابنك . . لأنك أحبطته علما بتدابيرك وهوتك .

وعلى هذا ، من كان اذن ذلك الاله الذى كان عتيذا
وغايورا الى هذا الحد ؟ اذا جسر المزم على اطلاق هذه الصفة
الفريية من صفات يهوه (١) ، عليه . ان نشيدا رائعا وضعه
فيما يرجح كثيرا ، الملك أو وضع بالهام مباشر منه ، يبينه
لنا ، يتفنى به ويسبح بحمده الخلق طرا ، الذين يتهللون
عندما يطلع ، القرص الساطع ، فى أفق السماء . أوليس
هو الذى خلق العالم . حتى أصغر الديدان . لقد صنع
الانسان ، ليس المصريين وحدهم بل الأجانب كذلك ولكى
يقدم لهم آية على عنايته الربانية ، فانه اذا كان قد قدم
للبعض مباشرة مياه « نون » عن طريق النهر ، فقد فتح
للآخرين نيلا فى السماء يسكب عليهم ماء . على هيئة المطر ،
ثم انه وهو الخالق متمدد الشكل ، يظل الواحد الفرد :
انك لا تكف عن جذب ملايين الأشكال من ذاتك فى حين
انك باق فى وحدانيتك .

(١) يهوه الاسم الاصل لاله بنى اسرائيل فى صورة الاله القبلى والذى يشار اليه
باسم « ادوناي » Adonai بعد ارتقاؤه الى اله عالى - (المراجع) .

ولم يكن لاتون مظهر آخر غير مظهر قرص الشمس .
لا شيء من التماثيل ولا شيء من الاشارات المعقدة . لا شيء
غير اشعته الطوال التي تنتهى بأيد تحيله مستدقه ، يقدم
بها الحياة الخالقة للزوجين المدينين ، وعن طريقهما الى العالم
اجمع ، ولم تكن لمعابده ، على الاطلاق ، مقدس مظلمه
لا يسمح بولوجها . وكان قدس الاقداس مكشوفاً لضوء
الشمس وكانت تعرض فيه القرابين على المذابح . ولم تكن
توجد مواكب ، بتاتا ، بما أن الصور كانت قد ألغيت .
وانما أحيانا كان الملك بمفرده ، وهو النسخة الصادقة لأبيه
اتون ، يقدم نفسه لشعبه الذى كان يستطيع على هذا النحو
أن يتمثل فيه ، بطريقة ما ، الاله الذى يتجلى فقط فى قرص
النهار ، الالهى .

لقد نبعت كل اصالة حركة العمارنة من موقف الملك
على وجه التحديد ، أما من وجهة علم اللاهوت ، فان مضمون
نشيد آتون العظيم — اذا استثنينا التلميحات النادرة للسيرة
الذاتية — يماثل مضمون نشيد آمون الموجود بمتحف القاهرة
والذى يسبقه بخمسين عاما ونيف . واذا استثنينا الفقرات
العديدة التي تتعلق بالمذهب الرمزي لزيينات آمون التي
أصبحت غامضة فى أيامنا وتتطلب شرحا مستفيضا ، فاننا
نجد فيه نفس النغمة ونفس الجمال الأدبي ونفس الاحساس
المرهف تجاه ظواهر الحياة المجدبة . وفى الحق ، أن مفكرى
طيبة ، الدينيين كانوا منذ أزمنة طوال ، قد تصوروا الوحدة
الالهية وعبروا عنها تميرا يبلغ حد الكمال . غير أنهم كانوا
يؤدون ذلك بوسيلة تصويرية وقد استخدموا لغة مشتركة
قيما يبدو . على أن المرء عندما يقوم بتحليل مناهج تعبيرهم ،
فلا يمكن أن يتطرق شك الى ذهنه حول فكرهم . ولناخذ مثالا
لذلك . كان مهندسو العمارة سوتى وحر قد نقشا ، قبل
ثورة العمارنة بزمن يسير ، على نصب نشيدا لآمون وها هو
ذا شطر منه :

التحية لك يا قرص (آتون) النهار ،
الذى خلق الناس وجعلهم يعيشون ،
الصقر القوى ذو الريش المتعدد الألوان •
الذى جاء للوجود ليرفع نفسه !
الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته دون أن ينجبه سواه
حورس الأكبر الذى يقيم فى نوت - السماوية ،
عند طلوعه يبتهج الانسان
وعند غيابه يحدث للمرء مثل هذا •
ذاك الذى صنع ما تنتجه التربة ،
خنوم وآمون الناس !
ذاك الذى يدير القطر المزدوج ،
من أعظم كائن الى أصغره •
أم الآلهة والناس ، صانعة الخير •
الفنان الساهر ، الذى لا يعرف الكلال ،
عندما يخلق أعماله التى لا عد لها •
الراعى القوى الذى يقود قطيعه •
حظيرته التى تجعله يعيش !
العداء السريع الذى يتقدم فى اندفاع !

لقد أثار الشاعر ببراعة ملحوظة - لكى يزيدنا معرفة
بآمون الذى أصبح هنا قرص الشمس وهى صورته المرئية
- ذكرى إله الشمس القديم حورس والصقر الذى يرمز
إليه • ان فكرة الخلق توحى فى الحال بخنوم وبآمون •
وليست هذه شخصيات الهية ، بل هى الأسماء التى تعبر لها

يعرف تماما التقاليد الدينية عن القدرة التي تخصص فيها
 اله معين • ولا يمكن ان يتصور المرء دون تعسف ان يجعل
 من الحكمة قرينة « ليهوه » أو من القوى الفيلونية (١) آلهة
 لحاشيته الالهية • وكذلك يلجأ شاعرنا ، الذي لا شك في انه
 على مذهب التوحيد ، هنا — الى التعبير عادة في صيغ مشرقة ،
 غير انه مرعان ما يصحح الها باخر ، فهو يضع آمون الى
 جانب خنوم ، وهو ينسب الابدية الزمنية الى الكائن المتعدد
 الاسماء والواحد : فهو لم يولد ! ثم يعرضه في طائفة من
 الصور التي يستحيل أن تتراكب ، وان تقاربت عن قصد ،
 فهو : فنان وراع وحظيرة ، انه يوحى بصفات اله خالق ،
 وبمنايا ربانية وبملاذ • وتحمل الثقوب التي يبرزها
 النسيج الشمري ، دعوة للفكر ليتملى الاله غير المعروف •

وفي الحق ، لقد افاد كهنة آمون من أعمال المدارس
 الدينية العظيمة في الدولة القديمة ، هليوبولس ومنفيس
 وهرموبولس وعرفوا كيف يضعون لالههم ، بتعميق تجربتهم
 الدينية ، علم لاهوت صيغ بعد ذلك كل التفكير الديني
 المصري بأجمعه • ولهذا فانه سابق جدا لمذهب التلفيق (٢)
 المتأخر ويرجع تاريخ خطوطه الأولى فيما يرجع الى الدولة
 الوسطى •

ان آمون ، بداية بدء ، اوجد :

انك الاوحد الذي صنع كل ما يوجد

الواحد ، وهو يظل اوجد ، الذي صنع الكائنات •

(١) كان فيلون Philon فيلسوفا افريقيا من اصل يهودي ، ولد في الاسكندرية
 حوالي عام ٢٠ ق م • وكان تصنيفه مزيجا من اللاتون والفروا وله اثر على الأدب
 المسيحي — (المترجم) •

(٢) مذهب التلفيق Synerétisme — الجمع في تحكم بين آراء أو مذاهب مختلفة
 أو متعارضة لتكون مذهباً واحداً — مصطلحات مجمع اللغة العربية — (المترجم) •

وتوحى هذه الصيغة اللفظية التي استخدمها المصري
هنا بتلك الترجمة التي نجد معادلا دقيقا لها في اغريقية
« بمبليك » التي لا شك في أن النماذج المصرية الهمة بها .

év uovotnti Tns évatoï

Evotntos Uéwv.

ولم يقنع علماء اللاهوت برفع مرتبة الالههم الاوحد فوق
جمهرة الالهة الاخرى ، كما تحمل كلمة ماسبرو على الاعتقاد
بذلك . لقد بذلوا محاولة لارجاع الالهة للوحدة . وقد
اتاحوا لامون منذ الدولة الوسطى - بعد مزجه برع -
اكتساب وحدة اله هليوبولس الشمسى ، ثم عمدوا الى وضع
خطة مجملة لمذهب تلفيق يجمعه مع الالهة الاخرى : خبرى
واتوم وحراختى و « مين » وفى عهد الامبراطورية الحديثة ،
اتخذ آمون بالاضافة الى هذا ، طبيعة الالهة الثمانية وطبيعة
تاتن . ولكى يبين تماما أن المسألة مسألة شكل خارجى ،
وليست الحقيقة فى قصارها ، يكون آمون هو بتاح عينه
أحيانا ، وأحيانا أخرى هو الشكل الكامل الذى قام بصنعه
بتاح ، وقد جعل منه نشيد ليدن - الذى يعكس اسمى مراتب
الفكر - خالق التاموس الذى يكون جسمه ويظل هو ، دون
سواه ، الأزلى : « ان التاموس يبقى مجتمعا فى أعضائك ،
وان صورتك هى كل اله اتحد فى جسمك : لقد كنت أول
من تفجر ، لقد استهللت البداية » . انه هو الذى خلق كل
الالهة « التى ظهرت للوجود من فمه » . واذا تبقى الهان لم
يعد بصفة خالصة وببساطة من خلق آمون وهما رع وبتاح
فليس مرجع هذا أنهما الها الامبراطورية ، ولكن لأن
شخصيتهما كانت فريدة . وفى الواقع تكون هذه الالهة
وحدة : « ثلاثة هى كل الالهة : آمون ورع وبتاح ، ولا توجد
أشياء لها . آمون هذا اسمه باعتبار أنه خفى ، ورع هو
وجهه ، وجسمه هو بتاح » . ويرى المرء أنه فى مستوى معين
للمضمير الدينى ، لم يكونوا يقنعون بوضع الواحد الى جوار

الآخر . بل لقد بذلوا محاولة لشرح تنوع المظاهر ووحدة الكائن : « الاله الأوحد الذى جعل من ذاته ملايين » .

ان آمون اله أبدي . وكانت ألف وسيلة تصويرية تقدمه للمفكر - « لقد قام بصنع نفسه » فى البداية ، ثم صار يمد ما تمثل بالشمس الحركة الكونية التى تتكرر الى الأبد . كما سبق ان رأينا . وها هى إحدى الفقرات التى تمثل أعظم تطور وارتقاء :

ذاك الذى بدأت صيرورته أول مرة ،
آمون الذى أنجب نفسه فى البدء دون أن يعرف سره .
لم يوجد اله قبله ،
ولم يكن يوجد اله آخر معه ليحدثه عن شكله ،
ولم تكن له أم لتضع اسمه ،
ولم يكن له أب نسله وقال « هذا هو ذا أنا ! »
ذاك الذى قام بنفسه بصنع بيضته .
القوى الغامض الميلاد والذى خلق جماله ،
الاله الإلهى الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته .

كل الالهة جاءت للوجود، عندما أعطى لنفسه البداية .
ان آمون خالق . وفى هذا ، يسترد التقاليد المحلية التى قمنا بتحليلها فى سرعة ونحن نفشى المدن التى نشأت فيها .
وقد استحوذ على غرار نايت وبتاح وعلى غرار أتون فى زمن لاحق ، على صفة جنسية مزدوجة ، فهو أبو الآباء وأم الأمهات . وفى التورية بالألفاظ كان يقال انه ذرف الدمع « ريمى » وبهذا خلق الناس « رومى » . ان كل وسائل الاله الخالق التى كانت معروفة ، نسبت اليه . ولقد استعير أهمها وهو الخلق بالكلمة Verbe من بتاح : « لقد تكلم

بمنه وجاءت انكاسات لوجود : الناس واذله وانهيوانات
النبيرة والصغير ، كلها على ايه صوره ثابت * وحل ما يطير
وما يحط « وقد استولى عليه مثل بتاح و « يهوه » احساس
بالرضى امام صنعه : « انك راض لانك خلقت حل البشرى » *
وهو حاضر في كل مكان ، في مصر وفي الاقطار الاجنبية
« حتى في اطباق وحتى في اجزاء الارض وحتى في اعماق
البحر » * ان له عينين وله اذنين في كل مكان * انه يستمع
للملوات ويصغى للشكايات وهو الحامى بالغ الكمال لذاك
الذى وضعه في قلبه * وهو لا يكف عن مد ذراعيه لذاك
الذى يحبه * ان قلبه رفيق عندما يضرع المرء اليه * انه
يخلص الوجل من العنيف ويفصل بين الفوى والتمس *
انه ملاذ المسجونين والمرضى * انه يشفى العميان ، اى اولئك
الذين اصابتهم امراض العيون الشائعة في مصر ، وكذلك
ايضا اولئك الذين انتابهم العمى الروحي * انه لا يجيء
لانقاذ ذاك الذى يدعوه في الظروف الخطيرة ، وحسب ،
ولكنه يجيء ايضا من تلقاء ذاته لغزو القلوب :

الاله الرفيق ، ذو الأفكار الخيرة

اليه ينتمى الرجل المرن ، الطيع لارادته

انه اعظم نفعا من الاف ، لذاك الذى وضعه في قلبه *
الحامى الكامل ، فى الحق *

جميل الرعاية الذى يفتنم فرصة ، دون أن يرد *

انه ، كما نرى ، العناية الربانية بخلقه التى تسهر على
البشرية وهى فى سبات ، ساعية للخير لأجل قطيعها *

ومع ذلك فان هذا الاله ، لا يمكن أساسا معرفته * انه
ليس خفيا وحسب ، كما يوحى اسمه بذلك ، ولكنه يقس
ببيدا عن وسائل البحث البشرى * « لقد استخفى عن ذاك
الذى خرج منه » وهو المصباح الساطع ذو الأشعة العظيمة

الذى لا يرى الا من خلال شعيرته المحبوبة « . ويتبين تشيد
ليدن هنا ، ايضا ، عمقا روحيا يدعو للاعجاب :

انه خفى عن الآلهة : لا يعرف المرء مظهره .

انه ابعد من السماء ، انه اعمق من الجحيم !

ان اى اله لا يعرف شكله الحقيقى .

ان صورته لا تبسط فى مطوى الكتب

ليس لدى المرء عنه ، أية شهادة تبلغ الكمال .

انه بالغ الخفاء حتى ان مجده لا يتكشف .

انه اكبر من أن يفحص ، وأعظم من أن يعرف

ان المرء ليسفط فى الحال ميتا من الرعب .

اذا تلقظ باسمه الخفى الذى لا يستطيع أحد معرفته .

لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه ، تجاه هذه القصيدة

المعاصرة ، على وجه التقريب ، لموسى النبى من استشارة

ذكرى الكلمة التى قالها له يهوه : « لا يمكن أن يرانى

الانسان ويميش » . ولقد ذكر أفلاطون ، وأعقبه فيلون

الصموبة التى يمانىها الانسان فى التقرب عقليا من الله .

وكان المصريون قد رأوا الاتجاه الذى كان يجب السير فيه .

وكما تستدير الأشجار والنبات صوب الضوء ، وكما ترقص

الخليقة بأجمعها ابتهاجا أمام الشمس ، يجب أن يستدير

الانسان صوب الاله ، المصدر الأوحد للحياة والبهجة . انه

بالحب ، يرفع الاله القلوب اليه :

ان الناس سعداء ، عندما تطلع ،

يجل الوهن بالقطيع عندما تلمع

ان حبك يوجد فى سماء الجنوب

ورفقتك فى سماء الشمال .

ان جمالك يغلب القلوب ،
وحبك يجعل الأندرع تهوى ،
وشكلك بالغ الكمال يسلب الأيدى القوة ،
ان القلوب تنسى كل شيء لأنها تطلعت اليك •

لقد كان عن قصد اننا أردنا اختتام هذا الكتاب عن الـهة مصر بقصائد دينية تشهد بتجربة روحية عالية • ان هذه النصوص بأجمعها ، يتراوح تاريخها بين عام ١٥٠٠ وعام ١٠٠٠ ق م • ويوجد غيرها كثير من القصائد المعاصرة او اللاحقة • انها تقيم الدليل على العمل الجليل المجيب الذى أنجزه الفكر الدينى المصرى ، الذى لم ينقطع ، حتى انطلقا نوره ، عن اثاره المشاكل اللاهوتية والروحية والخلقية • ان ارتقاء القمم هو الذى يتيح للمرم أن يصدر حكمه على أحد الشعوب ، وقد قمنا — خلال جولتنا الطويلة عبر القطر — بزيارة أكبر عدد من المعابد وحاولنا ان نفهم على قدر الاستطاعة طبيعة آلهتها • وقد رأينا أنواع الحيوان المقدس والأشكال المجيبة التى أضفيت على المعبودات التى كانت نصف حيوانية ونصف بشرية • وحاولنا ان نحيط علما ببعض الاشارات التى كانت توضع عليها والشعارات التى كانت تصحبها • وفى كل هذا الخليط التقليدى الذى ترجع عناصر معينة منه ، بكل تأكيد ، الى عهد ما قبل التاريخ ، عكف علماء اللاهوت دون انقطاع على التدخل لوضع الترتيب والتنظيم • هذا هو اذن دين المصريين الذى ينير لنا طريقة دراسة هذه الآلهة المحلية ، التى تتبنى عددا مختلف القدر من الآراء التى كان يضعها فى عناية كهنة المراكز الهامة والتى كان يذيعها « بيت الحياة » • ومع هذا ، فإنهم لم يكفوا — مهما بلغ المستوى الروحى الذى ارتفعنا اليه الا خلال مرحلة اختناون الوجيزة عن المحافظة على ذخيرة

التقاليد التي استمرت تتكاثف في ازدياد مطرد اذ كان يضاف اليها دون انقطاع . وكان الامر يتطلب تفسير التعابير بالغة القدم وقد انضمت شروح الى شروح ، حتى انه في العصر المتأخر تجمعت كومة من التوضيحات الرمزية والتفسيرات التي نجد عنها في ان نشق طريقنا وسطها . وعندما وصلت المسيحية الى مصر ، لم تكن قد بقيت للدين المصري قوة ئيلتقى بالتيار الداخلى الذى كان كهنة آمون قد رووه . لقد تصلب واستغلق (Elle s'était sclérosée et fermée) استخدمنا تعبيرا عزيزا لدى برجسون ، ولم يبق امامه الا ان يتواري ولكن دون ان يموت ، لأنه ورث الاغريق والعبريين أعز ما كان لديه . ليعيش مرة أخرى فى المثل الأعلى الذى يسمى عالمنا ، على الدوام فى شكل أو آخر - الى الارتقاء اليه .

حاشية

منذ عشرات الأعوام ، أقوم ببحث عن علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية ، اذ كنت أؤمن بأننا نصل الى استجلاء التاريخ بالآثار وبفقه اللغة جميعاً . ولقد أهاب الباحثون فى علم الانسان بفقهاء اللغة لتأييد آرائهم عن أصل قدماء المصريين .

وارانى مضطرا الى التعليق على ما جاء فى هذا الكتاب الشعبى الذى وضعه عالم الآثار النابه فرانسوا دوما فيما يتصل بأسماء الالهة قدماء المصريين والى أن ينشر ما وصلت اليه فى بحثى نشر علميا ، أحفظ بما أذكره الآن .

فى عام ١٩٥١ أقيمت حديثا على «جمعية الآثار المصرية» عابجت فيه موضوع علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية بالمقاييس التى وضعها علماء اللغات للموازنة بين لغة وأخرى وقد نشرت مقدمته صحيفة الأهرام فى العدد الصادر بتاريخ ١٩٥٤/٧/٢٦ .

وقد أعلنت فى ذلك الحديث ما يأتى :

« والمستقبل كفيل بأن يظهر لنا أن أساس مفردات اللغة المصرية القديمة سامى محض وعلى وجه التخصيص عربى محض » .

ولقد تأيد هذا القول تمام التأييد من مصادر خارجية .

(١) فى مقال نشره و . فستيل W. Vycichl فى مجلة
كوشر Kush ، المجلد السابع عام ١٩٥٩ جاءت هذه
العبارة :

« ومن وجهات النظر الجديدة هذه لا تقع اللغة المصرية
القديمة كما كانت حتى الآن (فى اعتباره) فى حاشية نطاق
اللغات السامية ولكن فى صميمها » . ودعاء الى هذا ما أقره
ريسلى Rössler من أن لغة البربر سامية تماما » .

(٢) تحول سير الن جاردنر عن رأيه الذى ورد فى الطبعة
الثالثة من أجروميته الى الرأى الذى جاء فى كتابه « مصر
الفراعنة » ، اكسفورد عام ١٩٦١ واقتبس منه ما يأتى :
« ومن الوجهة الاخرى فان العلاقة باللغات السامية (العربية
والعبرية) لا يمكن كذلك أن يتطرق اليها الخطأ اذا لم تكن
عظما » .

والآن ، أقرر أن علاقة اللغة المصرية القديمة بالحامية
لا سند له . وأسوق شاهدا :

فى الرسالة التى وضعها ف . كاليس F. Calice بمنوان
Grundlegen der agyptisch-semitischen Wortvergleichung. 1936

ذكر فى القائمة الرابعة الألفاظ المصرية التى يوجد
ما يقابلها فى اللهجات الحامية فقط ، وقد تبين لى أنها ترجع
الى اللغة العربية

ومثال ذلك :

اللفظ المصرى

mm يمسك - يقبض على

يقابله فى اللغة العربية لفظ لم - واللم الجمع الكثير
الشديد واللم مصدر الشؤ يلمه لما جمعه - اللمة الشؤ
المجتمع » .

واللفظ sh 3 - منجل

يقابله في العربية خصين وهي الفأس ذات الحد الواحد
وجمعها آخصن *

واللفظ wsm - يمجن

يقابله في العربية شوب وهو المزج والخلط الشوب
وفيه قلب وابدال

واللفظ نبرى - الحنطة والهة الحنطة

يقابله في العربية نبر - أنبار الطعام واحدها نبر مثل
سدر ، قلت ومعنى الأنبار جماعة الطعام من البر والتمر
والشعير - (مختار الصحاح) *

وساقتصر الآن على أسماء الآلهة وهو موضوع الكتاب *

جاء في الفصل الثاني :

« ان أصل أسماء الآلهة فيما عدا اسم «خنوم» لا يطابق
أى حيوان معروف في اللغة المصرية أو في أية لغة أخرى من
مجموعتها الحامية - السامية » *

والواقع أن أسماء الحيوان بما فيها أسماء الطيور
والأسماك والحشرات ترجع الى اللغة المربية ومثال ذلك :

الاله في اللغة المصرية المقابل في اللغة المربية

skr صقر

spnw سيد - طائر لين الريش (المترجم) *

hkt هجاة (هجاة الضفدع قاله ابن

سيده والمروف الهاجة) (الديميرى) *

hr طير الحر أو ساق حر

inpw أبو نوفل من كنى الثعلب أبو نوفل

الخ

وجاء ان حابى (حعبى) اله الفيضان ليس مصرىا على
اليقين *

يوجد فى اللغة المصرية لفظ آخر يرادفه وهو لفظ
Beh وهو الفيض وتمثيل وتاليه الوفرة ويقابل فى اللغة
العربية البحر وهو « الماء الكثير ملحا كان أو عذبا سسمى
بدلك لعمقه واتساعه وكل نهر عظيم فهو بحر ويقال فلان
بحر أى واسع المعروف » *

hni أما لفظ فقد قوبل بلفظ حفل اذ يقال حفل
الوادى اذا كثر ماؤه *

و « سن » من المنه أى القوة بدليل وضعته المعروفة
ونبات الخس الذى يرسم الى جواره ، جالب القوة واسم
آمون مشتق منه والقوة على الدوام شىء خفى *

وأجد تأييدا لهذا ان اسم مركب آمون ، المقدسة هو
وسر حات أى قوى المقدمة وقد استخدم كلقب لآمون نفسه *

ولفظ وسر ومعناه قوى يقابل لفظ أزر فى اللغة
العربية *

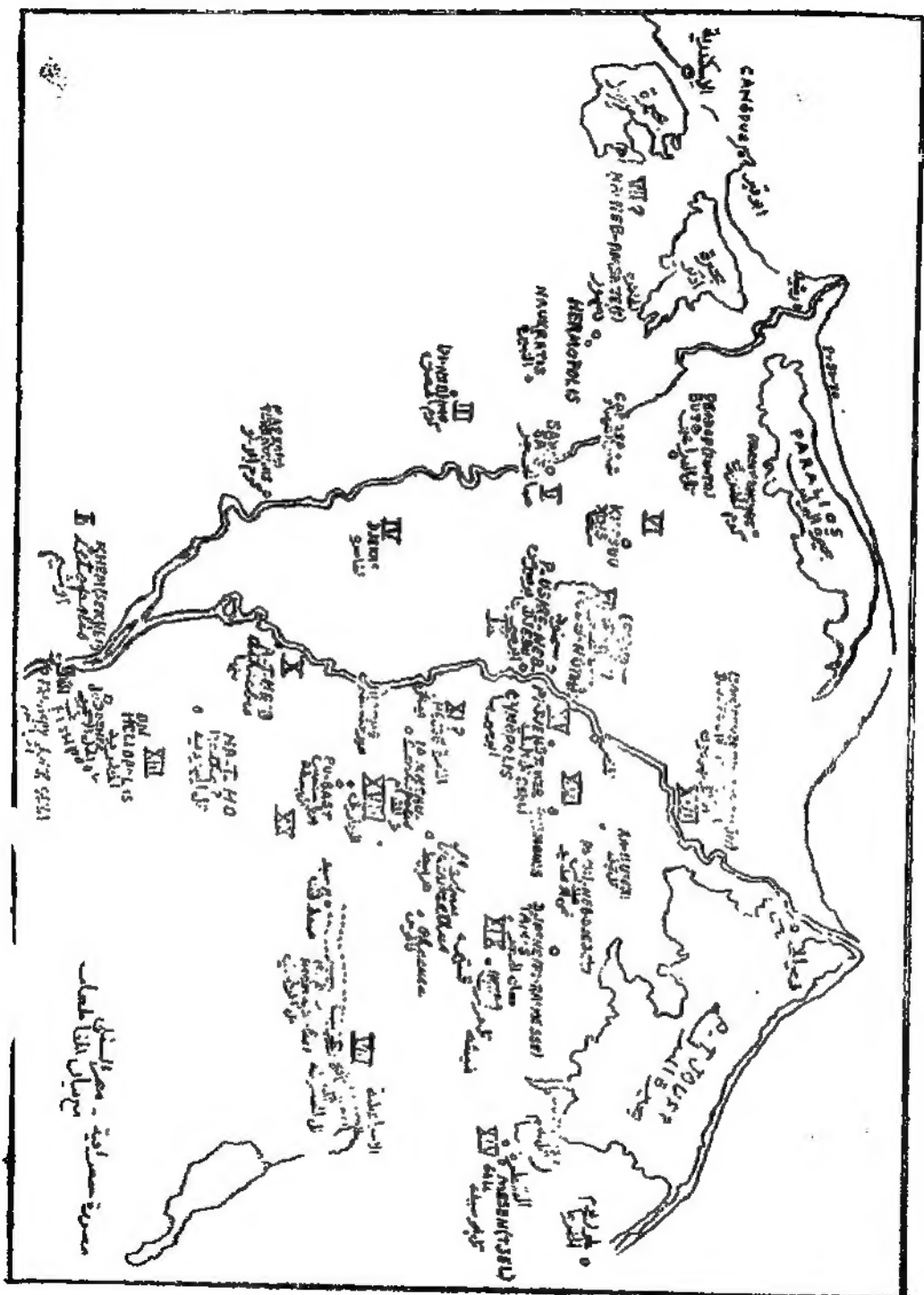
لقد تمكنت من المقابلة بين أسماء الأصنام التى عبدها
العرب فى الجاهلية وآلهة مصر القديمة وقد ذكرت بعضها
فيما تقدم *

والآصنام التي وصلت إلينا أسماؤها يبلغ عددها حوالى
١٢٠ صنما من ٢٦٠ صنما كانت تضمها الكعبة *

ويرجع السبق فى هذا للمفطور له أحمد كمال باشا ، اذ
نشر فى مجلة *Recueil de Travaux* عام ١٩٠٢ مقابلة بين
٢٢ صنما من بينها اللات والعزى ومناة والهة قدماء
المصريين *

ويؤيد هذا شاهد من مصر القديمة :

أطلق التعبير «تانترو» ومعناه قطر الاله او الأرض الالهية
ويرادفه «تاوى نترو» الآلهة أو أرض الآلهة ، المزدوجة ، على
المنطقة الصحراوية التى تقع بين النيل والبحر الأحمر ،
وصحراء بلاد العرب (او صحراء سكان الكهوف) ، المنطقة
التي كان قدماء المصريين يعتقدون أنها الموطن الأصلي لأهم
معبوداتهم * ويوجد رأى يقول ان هذا التعبير لم يكن يطلق
على الصحراء التى تقع بين النيل والبحر الأحمر أو جزء
منها وحسب ، أو قطر بنط أو بلاد العرب ولكن على كل
النطاق القديم الذى كان ينتمى للاله حورس أى كل مناطق
العالم الشرقية التى كان لقدماء المصريين علم بها من أقصى
الجنوب الشرقى (بنط) حتى أقصى الشمال الشرقى (قطر
الحيثيين) وفى توسع كان يشمل كريت (Kuentz B.I.F.A.
Oxv p. 178) ويشرح فارينا (Farina, Aegyptus VI p. 52-53)
هذا الاسم بأنه تمبير يدل على الشرق عامة ، مجموع المناطق
التي كان يبدو للمصريين أن الشمس الاله الأول يجيء منها
(Gauthier noms. Geog. p. VI).



رقم الايداع بدار الكتب ١١٩٨٩/١٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5483 — 0